

مركز الرأية للنشر والإعلام

● مركز الرأية هو دار نشر حرة مستقلة تتبنى قضايا جادة وهادفة .

● وقد تم تأسيس هذا المركز من وحى احساسنا بدور الكلمة المطبوعة في التعبير عن قضايانا المصيرية . وكشف أوجه القصور . وتصحيح الأوضاع المقلوبة . أو المفاهيم الخاطئة . وإثراء حياتنا الفكرية والثقافية .

● ورغم أن المركز لا يزال في بداياته الأولى إلا أن حسن استقبال القارئ العربي من المحيط الى الخليج لمطبوعاتنا جعلنا ندرك حجم المسؤولية الملقاة على عاتقنا ، ونحاول قدر جهدنا تقديم كل جديد وجاد وهادف .

الناشر

محمد قري

محمد رضوان

شعراء الحب

مركز الراية للنشر والإعلام

كلمة الناشر

هناك شعراء وقفوا حياتهم على التغنى ببدايع الحسن وروائع الجمال ،
وعاشوا تجارب الحب بكل ألوانه من وصال وهجر ، وفراق وحنين ، ودموع
وضحكات ، وعبروا عن مشاعرهم وأحاسيسهم الوجدانية بكل صدق وحرارة
وأمانة .

وكان أكثر شعراء الحب الذين اتسموا بالصدق هم شعراء الرومانسية
الذين اشتعل وجدانهم حباً وعشقا ، فملأوا الدنيا غناء وتشبيهاً ، ومن بينهم نخبة
من الشعراء الذين ظهروا مع جماعة أبوللو ، ونشروا بمجلة أبوللو قصائدهم ومن
أبرزهم على محمود طه ، وإبراهيم ناجي ، وصالح جودت ، وأحمد فتحي ،
والهمشري .

وفي هذا الكتاب الجديد للكاتب الصحفي محمد رضوان دراسة موسعة
شاملة عن المؤثرات التي لعبت دوراً عميقاً في حياة شعراء الوجدان وشعرهم ،
ودور الحب في حياتهم ، فجاء شعرهم تسجيلاً أميناً لقصص حبههم ، وصدى
لذكريات ليالى الحب والغرام التي عاشوها .

أحمد فكرى

مدير مركز الرواية

رقم الإيداع ٩٩/٤٨٤٥

**منهج محمد رضوان
فى أدب السير والتراجم**

**بقلم السفير الشاعر :
أحمد عبدالمجيد**

مركز الـاية للنشر والإعلام

أسسه أحمد فكرى عام ١٩٩٩

اسم الكتاب : شعراء الحب

المؤلف : محمد رضوان

تصميم الغلاف : أحمد فكرى

الطبعة الأولى : ١٩٩٩

كافة حقوق الطبع والنشر والتوزيع

هى حق من حقوق الناشر لا يجوز

اقتباسها أو نقلها إلا بإذن كتابى منه

يحبب لي وأنا مسترخ في برجي العاجي الذي يرتفع فوق محلات من السنين
المديدة التي قطعتها من عمرى ، أن أشاهد بمنظاري أدباء من الشباب اتخذوا مسلك
الأدب حرفاً وتنوعت ميولهم واتجاهاتهم في الدراسة والإنتاج ، لفرع هذا الأدب وألوانه .

ولتختلف نظراتي إلى هؤلاء الأدباء الشبان المثابرين ، من نظرتي إلى زهور
حديقة النمو ، في حديقة ، تقاوم عوامل الطبيعة وتمتص مما حولها ملقحات الحياة ،
حتى يشتد مودها ، وتتفتح زهورها ، وتؤتي مطرها وثداها فواجا ذكيا ، أو تهتم
بها ربح هوجاء ، تقتلحها من جذورها وتعمرها من مناعم الحياة .

والشبان من أدباء عصرنا الحالى ، يختارون من فروع الأدب ، ما تنزع إليهم
نفوسهم ما يثقل مع ميولهم ورغباتهم . ولكل فرع من فنون الأدب ، مناهج تتباين بتباين
طالبى هذا الفرع وتكوينهم وتأثرهم بها حولهم وبما حطوه وما همومه من هـذا
التحصيل .

والمنهج ، كما نعلم ، هو المسلك والمصار والسبيل الذى يسلكه طالب البحث
حتى يصل إلى مبتغاه .

وتختلف المناهج باختلاف الطبائع والأذواق لدى أصحاب البحث ومواضع البحث .

ونحن إذا نظرنا إلى مجموعة من المسافرين على طائفة تقطع بهم فيافى الأجواء
حتى تصل إلى شاطئها الخافية ، وجدنا أن كل مسافر قد نهج منهجا مستقلا مسن
غيره من المصاهيرين له فى السفر ، فى طريقة قطعه للوقت ، دفعا للملل ورقابة
المنظر المحيط .

لبنما تجد أحدهم قد مكث على لراية محيلة أو كتاب ، إذا بك ترى غيره قد أغنى
بكتب أو برسم أو يلعب الورق أو يتحدث أو يعمل مالا يدويها لتسلية وأزجاء
الوقت .

وهناك من يعتمد لهذه الرحلة بتهيئة أسباب النوم ، حتى لا يمس وطأة طول
الساعات ومخاطر المجهول ..

XXXXXXXXXXXX

أحمد عبد الحميد (١٩٠٥ - ١٩٨١) شاعر مرمي معاصر . عمل بالملك الدبلوماسى
المصرى أكثر من ثلاثين عاما تنقل خلالها في الكثير من بلاد العالم ، من مؤلفاته
" لكل أغنية قصة " و " سدياه ديبلوماسى " و " أغواء " على الدبلوماسية
وله ديوان شعر بعنوان " همسات " وكتب هذه المقالة عام ١٩٧١

وكتابة السيرة أو الترجمة ، تعتبر فى هيقينى عملا جليلا ينطوى على مناحى
الخير والصدق والجمال .

فهذا العمل ، يعهد الى تسجيل أعمال فنان ، كييلما كان فنه الذى ولع به ،
واتخذة غاية ومأربا .

ثم لايلبث أن يجد القارئ الى جانب تسجيل أعمال الفنان ، أن كاتب سيرته
يعيد خلق شخصيته فى سيرة أخرى ، غير التى كان يحياها كحياة فردية .

ذلك أن كاتب السيرة أو الترجمة ينصرف همه الى الاخلاص للواقع الفنى
ولذلك كانت أعظم التراجم فى العالم ، هى التى تقدم موضوع الفن على حقيقة وواقع
الفنان ، ثم تتعدى ذلك الى خلق صورة حية للفنان فى اطار أعماله وفى ضوء ماألفه
به على انتاجه من قدرة وتفرد واحسان .

والترجمة لفنان من الفنانين ، لاتكون صادقة الا اذا احتوت على تحليل عميق
للمشاعر البشرية ، وتكشفت لها الدوافع والغايات الانسانية التى تكون
هاديا لكاتب السيرة ومناارا يقيه العثرات .

xxxxxxxxxx

ويختلف كاتب الترجمة أو السيرة عن الناقد فى أن الأول يكشف عن خيـر
مافى أعمال المترجم له من نواحي الكمال والجمال ، لأنه تأثر به وملأت عينه
أعماله ، وأكبر فيه ماأنتجه من آثار ، فى حين أن الثانى ، لايحرص ، اذا
كان مايكتبه عن الفنان الذى يتناول فنه بالنقد ، يقضى الى هدم صاحبه ،
مادام هو فى صدق واخلاص ، قد أرضى ضميره ، وارتاح الى حكمه ، واتبع مسلكا
لاشبهة فيه لميسل أو هوى .

وكتابة السيرة أو الترجمة لفنان من أهل الفن ، أمانة كبرى ، تستبد
بالمخاطر ، ولاتترك له مخرجا للراحة الا أن يكون ذلك عن طريق التنفيذ
الكامل لما حمل من أمانة ، وما آلى على نفسه من الوفاء بها .

ولقد من للأديب الناقد محمد رضوان أن يحمل على عاتقه هذه الأمانة .

وقد تهيأ لى الاطلاع على كتاب ، توفر على وضعه الأديب محمد رضوان عن الكاتب

والشاعر والناشر الدكتور زكى مبارك هو " صفحات مجهولة من حياة زكى مبارك " والذي كان من فرط تنوع انتاجه بين نشر وتقيد ونظم وتحليل بالاضافة الى حصوله على ثلاث شهادات للدكتوراة يتندرون بقولهم منه :

" الدكتور زكى مبارك " ..

كما سلحت لى سائحة أخرى بالإطلاع على كتاب أعده الأديب محمد رضوان عن الشاعر الرقيق أحمد فتحي ، أحسن اختيار عنوانه " اعترافات شاعر الكرنسك " كما اطلعت على مسودات دراسات شاملة له عن الشاعر على محمود طه والشاعر ابراهيم ناجي والشاعر صالح جودت والشاعر عبدالحميد الديب والشاعر كامل الشناوي .

ويجمل لى أن أرجى الحديث من العاملين الكاملين اللذين أشرت اليهما إلى حين تناول وضع الأديب الناقد محمد رضوان من أدب السير والتراجم ومنهجه فيه .

xxxxxxxxxxxx

لقد اختار الأديب الناقد محمد رضوان هذا اللون من الأدب بعد أن قرأ لى ذهنه أنه مولع به ومتفان فيه ومخلص فى الكشف عن خوافيه مهما كلفه البحث من جهد وعنت .

وانك لتراه عندما يختار تمثاله الذى يريد أن يلقي عليه الضوء ، قد ملأ يديه وقلبه وعينيه وذهنه بكل ماكان يحيط بالمرجم له فى حياته ان كان قد قفى ، أو مايزال يضطرب فيه ان كان من الأحياء .

ولست أغلو اذا أنا قلت أنه يكاد يتنسم نسيمه ويشاركه نبض قلبه وطرفة عينه ..

وهذا ضرب من الاخلاص فى العمل يحس أن يخذو خذوه كل كاتب للترجمة عن فنان ، حتى تجيء كتابته نابضة بالحياة والصدق .

ولدى أسباب تحملنى على هذا القول ، أوجزها فيما يلى من سطور :

١ - ان محمد رضوان مخلص فى مسله لهذا الفن الذى تعلقت به نفسه ، والسذى لم يسزره

كطيف خيال في الكرى أو كطم من أحلام الرغبات المكبوتة التي تغادره عند الصباح ، وكان شيئا لم يكن ، بل أنه ليصبح ويمسى ولاشاغل له الا هذا اللون من الكتابة ، ولابدل له عنده مهما تنوعت الفنون والآداب من حوله أو فيمما يقرأ أو يشاهد أو يطلع .

٢ - انه صادق في رغبته من اتخاذ الشعراء الرومانسيين مسرحا لأعماله ، بعد أن شغلته أعمالهم وأحب فيهم نزماتهم وامتلا قلبه اعجابا واكبارا لفنهم .

وهو يريد مخلصا أن يخرج أعمالهم على مسرحه الذي أقامه لهم وحشد لـه جهد وتغان ومشقة ، كل ما يضمن لعمله النجاح ، ويلقى من المشاهدين التطبيق والاستحسان .

٣ - انه اختار "المنهج النفسي" في كتابة التراجم ، بعد أن أيقن من حسن معالجته لهذا اللون الذي يتطلب خصائص ذاتية ، يتعين توفرها في أول الطريق ، ثم لا يلبث أن يصفها المران من حول المعاناة والسهر على هذا اللون فـي سبيل الاجادة والاحسان .

على أن هذا اللون من أدب التراجم شاق المآخذ ، وعمر المسالك ، عميق الغور ، فان على من يختاره أن تكون عدته من الاطلاع على خوافي شعـر المترجم له وافية ، ونفوذه الى أسرار صناعته سليم المآخذ واضح الجادة . والعثور على مفتاح شخصية الفنان أمر عسير المآرب ، ولايستجيب الا لقللة من الكتاب .

وهذا المفتاح كالشفرة السرية التي تكتب بها البرقيات الخطيرة فـي السياسة أو في الحـرب .

وعلى طالب هذا اللون أن يزود نفسه الى جانب مطالعته العديدة فـي أدب المترجم لـه ، أقول أن يزود نفسه بقراءات مستفيضة فـي علم النفس ، حتى يكون حكمه مستندا الى قواعد من العلم ، الى جانب مايسوقه في بحثه من شواهد من الفن .

وهو في هذا الشأن كالطبيب الباطنى المعالج ، على سبيل المثال ، الذى
ينجح فى الوصول الى سلامة تشخيصه ، كلما كان إمامه بعلم النفس واسعا
ومحيطا ، ودرايته بأساليب التعليل والتحليل وافية وسليمة .

٤ - كما أنه أحب أن يتخصص فى الترجمة النفسية لشعراء لم ينصفهم زمانهم ،
للعلة فى أعمالهم ، ولكن لعله فى زمانهم وفى أهل زمانهم .

وهذا وفاء أقطع بأنه نادر المثال فى وقت وزمن وحين تذهل كل مرضعة عن

أرضعت من فرط اللففة على تحميل ما تصل اليه اليد من مادة ، وليذهب الى
الجحيم غيرها من الأيادى ، ولأم الواهن الهبل]

ومن المعويات التى تواجه كتاب هذا اللون من التراجم ، ما أسوقه فيما يلى
كمثال :

فلقد قُغت محكمة استئناف باريس فى شهر مايو ١٩٧٠م بتعويض على جريدة
" فرانس ديمانش " لأن أحد محرريها نشر عنوان " مغنى " كان يوشر أن يهبط
فى الظل بعد أن عشى بصره من ضوء الشهرة ، كما نشر رقم تليفونه وعنوان
منزله الرقيق واسمه الحقيقى قبل مزاولة فنه ، وذلك وهو بسبيل عرض
بعض أعمال الفنان وذكر ماضيه الفنى .

وكان الحلم يستهدف انتقاد الحياة الخاصة من ادعاء الحق فى حرية التعبير
التي لا يجوز أن تكون بمقدار .

فمن حق المرء أن يكون فى مأمن من أى تعد على حرته أو سمعته أو
خصوصيته أو رغبته فى اللسان ،

ذلك أن كاتب الترجمة النفسية ، حرصا منه على استكمال الصورة لمن يترجم
له ، يفحص وراء ما يمكن أن يصل به الى الكمال ، مهما كشف خلال بحثه مسـ
جوانب لها خصوصيتها ، ولها احترامها وقداسـتها .

xxxxxxxxxx

وأعود لأحدث من عمل الكاتب الصحفي محمد رفوان الذى تجسد بدايته فنى

الكتابة من الأديب الشاعر الناقد الدكتور زكى مبارك ، والشاعر والأديب الرقيق أحمد فتحى .

وقد أغراه بالكتابة عنها ، انتماؤهما للمدرسة الرومانسية التى جلبت لسبب المترجم واستأثرت باهتمامه .

وإذا تركنا أمر الوفاء لفنانين لم يبنالا حظهما من الشهرة فى حياتهما ، وبعد وفاتهما ، حتى لاستجدى الاستحسان ، ونبتز عواطف الرفا عن فن الأديب رفوان ، بعرض هذه الواجهة الخلقية النادرة الكريمة ، فإنه يبقى أمامنا عمل الفنان خالما لوجه الفن .

فهو حين يتولى ترجمة حياة الشاعر أحمد فتحى فى كتابه " اعترافات شاعر الكرنك " ، نراه يذلل الى روح هذا الشاعر ، ويتسرب الى حياته ، وما فطرب فيها من حال الى حال ، ويتشج برداء عصره الذى عاشه ، ويتنسم ما كان يستنشقه فجاءت ترجمته كظل الغمن أو رجع الصدى .

وقد حشد الأديب رفوان لبحثه كل ما يظمن له من شتى المصادر والمراجع والمطآن ، وقد لمست من لهفته على رد الاعتبار لشاعر قفى دون أن يذكر له أحد فغلا ، ما أشاع فى نفسى اليقين من قدرته على ما أخذ نفسه به .

والشاعر أحمد فتحى جدير بأن تتناول شعره أقلام عديدة ، وبحوث فريضة ، يتود هو وشعره هذه الأقلام والبحوث الى ما يتبغى من وفوح وإبانة .

xxxxxxxxxxxx

لقد لمست الجهد الصادق والمشقة البالغة ، والتفانى فى احاطة بحثه بكل ما يعين القارئ على استيعاب ما أراد المترجم من الكشف عن المترجم له ، والأخذ بيد القارئ نحو مسالك ممهدة ، لا يلمس قاطعها كم من جهد بذله الكاتب فى تمهيد هذه المسالك ، كالذى يعمل فى صقل الماس ، حتى يراه الناظرون فى شوبه الناصع اللاء ، مبرءا من كل شائبة ، دون أن يعيروا بالا لمعاناة من صقل هذا الماس الذى أخرجه فتنة للعبيون .

ولعل اطمئنتنى إلى عمل محمد رضوان مرده إلى إخلاصه فيه وصنقه فيما بررى،
وتكالبه على جمع مواده من أصدق العظان ، وهذا فى يقينى سبيل كويم ، يتعين عليه
أن يستزبد منه ، ويعتمد عليه ، ويمضى على بركة الله .

والأديب الناقد محمد رضوان رغم أنه لم يتخطى عتبة الشباب بعد ، فإنه فى
أدب التراجىم النفسية الذى اختاره واختار التخصص فيه ، قد جاوز مرحلة
الشباب ودلف الى رجولة تتنسم منها وضوح العبارة ، وحن التوبيب ، وبراعة
العرض ، وصدق الاستنتاج ، الى جانب الغنى والشراء فى المادة التى يصنع منها
معشال مملسه .

وانسى أظالبه كامل يبشر بأولى المحاصيل الفنية ، بأن يداوم على
اطلاعه ، وأن يستزبد من معارفه ، وأن يقرأ فى كل علم أو فن يجده معاوناً
له فى بحثه ، وأن يتابع ثمرات المطابع والأقلام ، وأن يغم الى كل ذلك بعهدا
عن الميل والهوى ، حتى يجيء عمله مبرءاً من كل شبهة لتعير أو انفعال .

أحمد عبد المجيد "

مقدمة المؤلف

حرصت على تناول سيرة هؤلاء الشعراء الخمسة الذين غنوا أجمل أغاريد الحب والجمال والقاء الأنسواء على شعرهم مستخدما في ذلك " المنهج النفسى " فى الربط بين حياة الشاعر وانتاجه .

وقد تناولت هؤلاء الشعراء الخمسة لأنهم تجمعهم أواصر الشعر الرومانسى الوجدانى ووشائج الرقة العاطفية وعبادة الحسن والجمال والثورة على القديم كما أنهم يكونون مدرسة شعرية لها سماتها الخاصة المتفردة أستطيع تسميتها بمدرسة " الشعر الوجدانى الغنائى " .

والظاهرة التى نلمحها فى هذا الكتاب أن هؤلاء الشعراء ظهر انتاجهم ولمعوا على صفحات مجلة أبولو التى فمت شتى التيارات والمدارس ، وان كان يغلب على شعرائها ذلك الطابع الرومانسى الوجدانى الغنائى .

ولكن هل كان هؤلاء الشعراء لاهم لهم الا التغنى بالحسن والجمال والعيــــــــش فى برج عاجى بعيدا عن هموم الوطن ومشاكله ؟

ان هذا الكتاب يظهر عدم دقة هذا الاتهام ، فلقد فتدت دعوى من بعض النقاد اللذين يصفون شعر هذه المدرسة بأنه كان ينمو منحنى دعوة الفــــــــــــن للفــــــــــــن Art For Art's Sake

وكان هذا غير صحيح لأنهم عاشوا فى عذابات المجتمع وهمومه ولم يخاطبوا الجمهور من برج عاجى ، ولكنهم عاشوا فى فترة قاسية مظلمة أثرت فى حياتهم وبالتالي فى انتاجهم فى فترة سادت فيها الرومانسية المجنحة الحالمــــــــــــة ، ولكنهم نافلوا فى سبيل حرية مصر واستقلالها ومن أجل العدل الاجتماعى .

لقد كان هؤلاء الشعراء الخمسة أصحاب قضايا اجتماعية وسياسية واضحة ، فنادوا بحرية الانسان وتحرره من قيود الاستعباد والتحكم ، كما نادوا بمجتمع جديد يسوده الحب والمفاه الانسانى والعدل .

وأثرى هؤلاء الشعراء شعرنا العربى بشروء نفيسة من المعانى الوجدانية الفياضة وجددوا فى التمبدة العربية شكلا ومضمونا واستحدثوا لونا جديدا فــــــــــــى شعرنا المعاصر يتميز بسمات خاصة متفردة .

ولكن كيف كان منهجى فى هذا الكتاب ؟

وكيف تناولت سيرة الشعراء الخمسة ونتائجهم ؟

لقد استخدمت منهج التحليل النفسى Psychoanalytic فى
أدب التراجم والسير ، فدرست شعر هؤلاء الشعراء من خلال سيرة حياتهم وتتبع الأطوار
المختلفة التى مروا بها وانعكاس ذلك فى نتاجهم فى كل حقبة من فترات
حياتهم وربطت بين حياة الشاعر وآثاره ، لنخرج بصورة متكاملة لملامح الشاعر
الدوقية والنفسية والروحية .

اننى رسمت للشاعر الذى تناولته بالترجمة صورة نفسية مستمدة من حياته
وبيحته ثم أظهرت وبنيت العوامل التى أثرت فى أدبه ولونت فنه .

وبذلك وضعت فى يد القارئ مفتاح شخصية المترجم له ومن ثم مفتاح أدبه .

xxxxxxxxxxxx

وبعد ، فليكن هذا الكتاب تاريخاً ودراسة لشعراء أشروا وجداننا بنتائجهم
وأدوا دوراً كبيراً فى نهضة شعرنا المعاصر وتطوره ، فكان حقاً علينا أن نذكرهم
بالوفاء والعرفان لما أدوه لحياتنا الأدبية من ذوب أرواحهم ووجدانهم .

" محمد رضوان "

مع شعراء الحب والجمال

" جماعة أبوللو "

أصدر الدكتور أحمد زكي أبو شادي مجلة أبوللو في سبتمبر عام ١٩٣٢م وكانت تضم نخبة كبيرة من الشعراء القدامى والناشئين منهم : أحمد شوقي و خليل مطران وإبراهيم ناجي وعلى محمود طه وحسن كامل الميرفي وأحمد فتحي وكامل الشبلي وأحمد محرم ومصطفى الرافعي وكامل الكيلاني ، وكانت أغراض جماعة " أبوللو " كما يلي :

- ١ - السمو بالشعر العربي وتوجيه جهود الشعراء توجيهًا شريفاً .
- ٢ - مناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر .
- ٣ - ترقية مستوى الشعراء أدبيا واجتماعيا وماديا والدفاع عن كرامتهم .

وقد حيا شوقي مولد جماعة أبوللو بتمنيده مطلعها :

أبوللو مرحبا بك يا أبوللو فانك من عكاظ الشعر ظل
عكاظ وأنت للبلغاء شوق على جنباتها رحلوا وحلوا
وينبوع من الانشاد صاف مدى المتأدبين به يبل

ونستطيع من خلال مراجعة الأسماء التي لمعت على صفحاتها أن نقول أنها لم تكن مدرسة بل كانت مجرد جماعة تضم بعض الشعراء المجددين والتقليديين من أجل رسالة شعرية سامية وإن كانت الأسماء التي لمعت على صفحاتها وأظهرتها المجلة يغلب عليها الطابع الرومانسي الحالم وقد استحدثوا ثورة جديدة في شعرنا العربي المعاصر .

ويقول أحد أعضائها من الذين لمعت أسمائهم على صفحاتها وهو الأستاذ صالح جودت عن هذه الجماعة (١) :

" استطاعت هذه الجمعية ، التي أسست رئاستها إلى أمير الشعراء ، ثم

(١) صالح جودت / بلايل من الشرق / ط ١ / ص ٥٧ .

بعده الى شاعر الاقطار العربية خليل مطران ، أن تستحدث ثورة في عالم النقد ، وأن تنشئ مدرسة جديدة في الشعر العربي الحديث ، تسمو برسالة الشعر عـنـن أن يكون أداة للمدح أو للقصـد أو للمناسبات ، وتجرده من التقليد ، وتنشأ بوحدة القصيد ، وتحلق فوق الذرا العالية " .

وإذا كانت جماعة " أبوللو " تغم بعض التيارات والاتجاهات المتباينة فإننا سوف نأخذ نماذج منها ممثلة في هؤلاء الشعراء الخمسة (ناجي وعلى محمود طه وصالح جودت والهمشري وأحمد فتحي) الذين يـكـوـنـون مدرسة واحدة قوامها الرومانسية العالمية والتجديد في الشعر شكلا ومضمونا وعبادة الجمال الى غير ذلك من أوجه الشبه التي تجعلهم في مدرسة واحدة تسمى " مدرسة الحب والجمال " .

XXXXXXXXXXXX

ولقد شهدت صفحات " أبوللو " انتاج هؤلاء الشعراء الخمسة الخصب فقد صدر من المجلة الديوان الأول لناجي " وراء الغمام " عام ١٩٣٤م وديوان صالح جودت عام ١٩٣٤م وأصدر على محمود طه ديوانه الأول " الملاح التافه " عام ١٩٣٤م ، أي صدرت الدواوين الثلاثة في عام واحد ، أما الهمشري فقد مات عام ١٩٣٨م ، دون أن يصدر له ديوان مطبوع وصدر ديوان أحمد فتحي الأول والأخير " قال الشاعر " عام ١٩٤٩م ، وقد شارت مدة معارك ومساجلات عنيفة حول الدواوين الثلاثة التي صدرت عام ١٩٣٤م بين جماعة " أبوللو " وخصومها .

" شعراء الرومانسية "

بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) سادت مصر موجة من الرومانسية
الحاملة نتيجة لظروف المجتمع وقتئذ

كانت ظروف المجتمع السياسية والثقافية والاجتماعية سيئة في مصر في تلك
الحقبة وكان الشباب الطامح يرى هذه الأوضاع ، ويرى نفسه عاجزا عن تغييرها بسبب
قهر الاستعمار وجبروته ، فيشعر بالحزن والأسى والمرارة .

وسادت الرومانسية مصر في العشرينات والثلاثينات واتخذ الأدباء الرومانسيين
ملجأ وملادا يهربون اليها من هجير الحياة ومرارة الواقع الذي كانوا يعيشونه
في تلك الحقبة ويقاسون منه .

فالنظرية الرومانسية | Romanticisme ترى أن الشعر هو تعبير عن المشاعر
وتركز على العالم الداخلي للشاعر .

" ان عالم الشاعر الداخلي عالم واسع ، فهو يشمل الحالة الذهنية لديه ،
كما يشمل المشاعر والأفكار ، وطاقت الحدس والادراك .

" وقوة الخيال الخالق هي البوتقة التي تنصهر فيها كل مناس هذا العالم
من ذهنية وشعورية ، وهذه القوة هي التي تعدل من هذه المشاعر ، وتنظمها ، وتجمع
أشتاتها ، وتصنعها في النهاية في قالب متلاحم متجانس هو العمل الشعري ، والشعر ،
اذن تعبير عن العالم الداخلي أو لنقل العالم الخارجي كما ينعكس في نفس
الشاعر ، وذلك بعد أن تنظمه قوة الخيال الخالق عنده تنظيما فنيا " (١) .

xxxxxxxxxxxx

ان من أبرز سمات الرومانسية كما تجلت في شعر الشعراء الخمسة التركيز على
الأسطورة والرمز في التعبير الشعري والذاتية والهروب من الحياة وعبادة الحسن

وتلدهيس الجمال واللجوء الى الطبيعة باعتبارها كائنا حيا ، هربا من هجير الحياة
ومرارة الواقع .

ولقد انعكست كل هذه السمات في شعر شعرائنا الخمسة وتمثلت في مجموعة
من الاتجاهات الفنية الجديدة .

■ الاتجاه العاطفي :

وهذا الاتجاه يدور حول الحب والحنين واللهفة العاطفية والعتاب والغزل الحسى
والعذرى وأبدع هؤلاء فى شعر الحب Love Poetry
يناجى صالح جودت محبوبته الهاجرة فيقول لها هاما :
أيها الهاجر من غير سيب
لو تجافى أنا راض بهـواك
العيون الزرق والشعر الذهب
الجانى يا حبيبى لهـواك

ويستلهم ناجى من عيني محبوبته الزرقاوين أجمل الظلال والأضواء فى شعره
ويسبح فى بحارهما قائلا :

قربى روحك منى قربى	ظليلنى واغمرينى برغاهما
وتعالى حدثينى .. حدثى	أنت مرآة شجونى وصداها
فهينى ساعة الصفو التى	تقسم الأيام مانيها سواها

ويبدع شعراؤنا فى غزلهم ————— م ****

يناجى الهمشرى محبوبته فى قصيدة تجمع بين العاطفة والرمز الشعرى وهى لـون
من ألوان الغزل العذرى العذيف :

أنت حلم منور ذهبى
طاف فى أفق عالم مسحور
وتحلى على غياهب روجى
بجناح من الغياض البشير

ونجد على محمود طه تتسامى روحه ويكتفى من الزهرة بعبيرها كبلبل يتغنى لى
رياض الحسن والجمال :

قلت حسبي من الربيع ثداه ولعيش زهره اللـمـحـاح
نحن طير الخيال والحسن روى كلنا فيه بلبل صـدـاح

ونجد الغزل الحسى العنيف فى قصيدة " طمآن " لمالح جودت :

أجـل طمآن ياليلى وماء الحب فى نهرك
خذيلى فى ذراعيك وضميلى الى صدرك
دميلى أشرب النور الذى ينساب من شعرك
وروى لهفة الطمآن بالقلبة من شـغـرك
هس لى ليلة أشمل باليللى من غـمـرك

■ الاتجاه الانسانى :

كان من أبرز صفات شعرائنا التسامى الروحى والرحمة الانسانية ومطاء القلب .

يقول الشاعر ابراهيم ناجى :

سموت ودق احساسى وجرت عوالم البشر
نسيت صفات الناس ففرت اساءة القـسـدر

ويرى هؤلاء الشعراء أن التغنى بالحب والجمال من عوالم المطاء والحسب
والرحمة ، ويعبر على محمود طه عن هذه المعانى فى قصيدته " ميلاد شاعر " فيقول :

أبها الشاعر اعتمد قيثارك واعزى لأن منشدا أشعارك
واجعل الحب والجمال شعارك وادع رباً رعى الوجود وبارك

وهذا الاتجاه الانسانى يتجلى بأظهر خصائصه فى الرحمة للنفوس الشقية الخاطئة
وهذا الاتجاه نجده عند الشعراء الرومانسيين وذلك بالتخفيف من تلك النفوس والمسح
بيد الرحمة من أحزانها وآلامها فى قصيدة صالح جودت " الهيكل المستباح " يعالج قضيتها
ويواسيها وقد جسد مآساتها قائلاً :

وقفت بالبواب في ثوب رقيق
تفتح الباب لقطاع الطريق
كم سروق نال منها جانبها
ومضى ما أمجب اللص الطليق

ثم يتعاطف مع تلك المأساة الانسانية ويتساءل بمرارة والسم :

يا الهى كيف أعددت لها
بعد دنياها عذابا هل تطيق
أشقى الدهر يشقى بعده
وهو الرحمة فى الأخرى خليق

وفى نفس الاتجاه نرى ناجى فى قصيدته " قلب راقصة " يعالج تلك المأساة
ويتعاطف معها وبواسيها :

لاتكتفى فى الصدر أسراراً
وتحدثى كيف الأسى شواء
أنا لا أرى اشعا ولا ماراً
ولكن أرى امرأة وبأسواء

■ الاتجاه الومضى :

كانت الطبيعة هى ملجأ الرومانسيين باعتبارها كائناً حياً .
وقد كثرت الصور الشعرية عند شعرائنا المستوحاة من الطبيعة . وقد أكثروا
من التشخيص Personification المظاهر الطبيعية .
يناجى الهمشوى " النارنجة الذابضة " فى تشخيص مبدع هرباً من أحزانه
وحنيننا لأيام تسلفت :

قد كنت أرجو أن تكون نهائتى
فى ظل هذا السور حيث أراك

ويكون آخر ما يهذر مسمعى
زرزورك الهتاف لسوق زراك
كانت لنا ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزور

وقد تجلى فى هذا الاتجاه التمثوير الشعرى Poetic imagery عند الشعراء
الخمسة فرسموا لوحات شعرية رائعة ..

فى قصيدة " صوت السنين " يرسم أحمد فتحى هذه اللوحة الجميلة :

أى سحر بعثت شمس الأصيل
فى ضياء شاحب الخطو نحيل
ونسيم واهن الخطو عليل
راح يلتف بأعناق النخيل

ويناجى شاعر الأطلال ، ناجى البحر فى " خواطر الغروب " قائلاً :

قلت للبحر اذ ولدت مساء
كم أطلت الوقوف والاصفاء
وجعلت النسيم زادا لروحى
وشربت الظلال والأضواء

ويغلب على هذا الاتجاه أنه شعر غنائى Lyric poetry يتسم بالرفقة والعذوبة ،

■ الاتجاه القومي :

الشعراء

يجمع بين هؤلاء الخمسة حب الوطن والدفاع من قضيته . ولكن جبههم فى أكثر
الأحيان يأخذ صورة الأشادة بمواطن الحس والجمال فى ربوعه والتغنى بها والأشادة
بمجد مصر والتليد وتاريخها المجيد ..

يقول على محمود طه فى قصيدته " مصر " :

هوى لك فيه كل ردى يحسب

فديتك ، هل وراء الموت حسب ؟
فديتك مصر ، كل فتى مشسوق
اليك ، وكل شيخ مـسـسـب
ويحلم بالفدى طفل فطيم
وكل ربيعة فى المهد تحبـسـو
أراك أينما وليست وجهـسـى
أرى مهجا لوجهك تشرئـسـب
وأرواحا عليك محومـسـات
لها فوق الغلاف خطى ووـسـب
مليها من دم الغادين سـسـار
له بيديك تغليـر وعـسـب
حمتك مدروها يوم التـسـادى
ووقتك الليالى وهى حـسـرب

ولناجى قصيدة بعنوان " مصر " أيضا يقول فيها :

أجل ان ذا يوم لمن يفتدى مصرا
لمصر هى المحراب والجنة الكبرى
حلفنا نولى وجهنا شطر حبـسـا
وننفذ فيه المبر والجهد والعمرا
نحطم أغلالا ونمحو حوائـسـلا
ونخلق فيها الفكر والعمل الحرا

ولأحمد. فتحتى عدة قصائد تصور حضارة مصر التليدة ، وأمجادها العريقة أظهرها
قصيدة " الكرنك " .

كما أن لمصالح جودت قصائد كثيرة فى هذا المجال .

أما الهمشرى فقد قصر شعره على المناداة برسالة اجتماعية هامة وهى الدعوة
الى الحضارة البريطانية .

وقد عبروا جميعها عن مشاعرهم الفياضة نحو وطنهم ، والاشادة به ، والدفاع عن
قضاياها ، والتغنى بجمالها وتاريخه وعظمتـسـه .

ثقافتهم

كانت ثقافة هؤلاء الشعراء الخمسة ثقالة مربية وغربية ، فقد قرأوا التـسـرـاـث العربى واستوعبوه وأنادوا منه وكانت الآثار التى تأثروا بها هى : دواوين المتنـبـى والبـحـترى والشـرـيـف الرضـى من القـدـامى وأحمد شوقى من المحدثين .

واستقوا ثقافتهم الغربية من قراءتهم لشعر شعراء الرومانسية الانجليز الخمسة الكبار وهم : وليم بليك w.blake ووردزورث wardsworth وكوليريدج coleridge وكيـتـس Keets وكان هؤلاء الشعراء الانجليز يكونون وحدة منسجمة ، ويمثلون وجهة نظر موحدة فى معنى الشعر ، وفى وظيفة الخيال ، كما يكونون وحدة فى استعمال المورة الشعرية ، والرمز الشعرى ، والأسطورة ثم ظهرت آثار هذا التأثير فى نتـسـاـج شعرائنا الرومانس بصورة جديدة بعد أن استوعبوا التراث الشعرى العربى والشعـر الغربى الرومانسى .

xxxxxxxxxxxx

وكانت الحقبة التى أمضاها الشعراء الأربعة بالمنصورة ١٩٢٧- ١٩٣١م (ناجى وجودت وعلى طه والهمشـرى) ذات آثار بعيدة فى شعرهم ، فقد استوعبوا التراث العربى الكلاسيكى والشعر الانجليزى الرومانسى وساعدهم على ذلك اجادتهم للانجليزية وقـسـد جمعهم أواخر الشعر الرومانسى وشانج الشباب وعبادة الجمال وروح الثورة على القديم وأصبح لهذه المدرسة لون جديد وفريد فى شعرنا المعاصر وكانت كما يصفها صالح جـوـدـت " كانت هذه الحقبة مدرسة جديدة فى الشعر تقاربت خطوطها فى ذلك العهد الى حـسـد ان اختلط شعر الأربعة على الأدباء فى كثير من الأحيان " (١) ولايختلف شاعر الكرنك ، أحمد فتحى عنهم فى منابح ثقافته واتجاهاته الفنية .

لقد طرق شعرائنا الخمسة موضوعات جديدة وابتكروا الكثير من التعبـيـرات والتراكيب الجديدة التى أضافت ثروة نفيسة فى شعر الوجدان
وإد أبدعوا بمفلة خاصة فى شعر الوصف الغنائى وقصائد الحب والغزل بشقيـهـ

العذرى والحسى كما أنهم ندموا الكثير من الصور الشعرية الطريفة
فى شعرهم .

وقد اشترك هؤلاء جميعا فى صفة واحدة خاصة فى المراحل الأولى من
حياتهم وهى : الاقتراب الروحى .

ويرجع ذلك الى ظروف سياسية واجتماعية ونفسية فى مطالع هذا القرن
ما جعلهم يلودون بالرومانسية هربا من هجير الحياة ومرارة الواقع وقسوته
ولقد جدوا فى الشكل والمضمون وان غلبت على شعرهم صفة الذاتية Subjectivity

لقد اتمف شعر هذه المجموعة من الشعراء المبدعين بالأصالة Originality
والعذق الفنى لأن شعرهم كان تعبيرا أميناً وصادقا من أحاسيسهم ومواقفهم
وليس شعر المنعة والتكلف ورص الكلمات الجوفاء .

" أغاريد الحب "

ان هؤلاء الشعراء الذين فنوا للحب أجمل الأغاريد وأعذبها على
قيثارهم الشجي الحالم ، الجديرون بدراسات موسعة شاملة .
لقد غنوا للمرأة واستوحوا من حسناتها واستلهموا من روحها أجمل الصور
وأرق التعبيرات الغزلية في شعرنا المعاصر .
ووقفوا أمام صور الحسن وبدائع الجمال يستلهمونها حتى جاءت
آثارهم غنية بالجمال شريفة بالرقّة ، ولسوف يظل نتاجهم أنشودة
خالدة على ألسنة العشاق ماعاش الحب وما بقيت الحياة .

إبراهيم ناجي

شاعر الأطلال

(١٨٩٨ - ١٩٥٣)

انني امرؤ فشئت زماني
حائرا معذبا
فراشة حائمة
على الجمال والعيب
تعرفت فاحترقت
أغنية على الرب

ناجي

" في مدينة الأحلام "

ماش الدكتور ابراهيم ناجى للحب وبالحب ... تغنى به وله ... وكان قلبا محبا رقيقا ونفسا مرهفة حساسة .

كانت حياته قصيدة حب حاملة تتماوج فيها أنغام الهجن والوصال والحب والبغض والرضا والألم .. وقد أفصح عن أسرار قلبه وسراثر روحه في قصائده الرقيقة الحاملة بصدق وحرارة وأمانة وهو يعد بحق " شاعر الحب " واللهفة العاطفية بعد أن عكس في شعره معاناته وتجاربـه العنيفة مع المرأة التي أوجت اليه بأجمل أناشيد الحب والجمال .

xxxxxxxxxx

ولد ابراهيم ناجى فى ٣١ ديسمبر ١٨٩٨م فى بقعة شاعرية جميلة سماها جماعة من الوجهاء " مدينة الأحلام " بحى شبرا ... وكانت يومئذ تجرى من تحتها نهيرات التربة البولاقية ، وتتفرع منها قنوات تنساب فى شاعرية وجمال تحيط بها الخضرة اليناعية وكان يقطن فى هذا الحى جماعة من محبى الأدب والفن . وكان والد شاعرنا ميسرا يعشق الفن والأدب ويقرأ مختلف فنون الأدب قديمة وحديثة وكثيرا ماشهدت الدار ندوات أدبية ماهرة .

وهكذا شب شاعرنا بين جمال الطبيعة الحاملة وبين وسط ثقافى رفيع أفاد منه أفضل افادة وأعمقها ..

وكان والده يحرص على أن يجمع أولاده كل ليلة عندما شبوا عن الطوق ويلخص لهم ماقرأ من أمهات الكتب فى التراث العربى وروائع الأدب العالمى . وكان ابراهيم يسمع بلهفة وحب الى هذه الأحاديث الخصبة ثم مالبت أن امتدت يده الى مكتبة أبيه وبدأ يقرأ منها روائع القصص والشعر ، واستهواه أدب تشارلز ديكنز القصصى وشدته بمسمة خاصة قصة " دافيد كويرفيلد " ثم سعى الى قراءة دواوين الشعر فبدأ يقرأ الشعر القديم واستوقفه شعر الشريف الرضى والبحتري ثم وقف طويلا عند أمير الشعراء ، أحمد شوقى الذى حفظ شوقياته من ظهر قلب وبهرته مسرحياته الشعرية الخالصة

مجنون ليلي " و " مصرع كيلو باترا " و " عنثرة " الخ .

xxxxxxxxxxxx

التحق شاعرنا بمدرسة باب الشعرية الابتدائية عام ١٩٠٤ وظهر فيها تفوقه على أقرانه ثم مالبث أن حصل على الشهادة الابتدائية عام ١٩١١ م ، فالتحق بمدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا وفي المرحلة الثانوية زادت قراءاته للشعر العربي قديمه وحديثه وكان مفتونا بشعر شاعرين : الشريف الرضي وأحمد شوقي وبدأ يكتب محاولاته الشعرية الأولى . ورغم كونها كانت تتحدث من موضوعات تقليدية في الحب والغزل مثل الفراق والحنين والوجد والسهر ومكابدة الشوق إلا أنها كانت تعد إلهامات لمولد شاعر كبير

ومن شعر الصبا في هذه الحقبة وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة قصيدة بعنوان " كلانا " يقول فيها :

كلانا حزين فلا تجزعني	ودمعيك تسبقه أدمعي
وان كان بين طموحك نار	فنار الصباة في أضلعي
وان كان نجم هنالك غاب	فنجم هناسي لم يطلع

وله قصيدة رائعة نظمها في سن الرابعة عشرة بعنوان " على البحر " تلمح من جولات له وصولات في هذه السن المبكرة ، وتبين أنه شب مولعا بعبادة الحسن وبدائح الجمال ، كما كانت تبشر بشاعر الحب والعاطفة . يقول فيها :

هل أنت سامعة أنيني	ياغاية القلب الحزين
ياقابلة الحب الخفي	وكعبة الأمل الدفين
اني ذكرتك باكي	والأفق مغبر الجبين
والشمس تبدو وهي تغرب	شبه دامعة العيون
أمسيت أرقبها على صخر	وموج البحر دوني
والبحر مجنون العباب	يهيج شائره جنوني
ورضاك أنت وقايتني	فاذا غضبت ، فمن يقيني ؟

لقد تبلورت اتجاهات ناجي في هذه الحقبة في المرحلة الثانوية وهو في الرابعة
عشر من عمره وكانت له محاولات كثيرة تسبق عمره ، وأنجز شامرنا دراسة الثانوية
بعد حصوله على شهادة ، "البكالوريا" والتحق بمدرسة الطب عام ١٩١٦م وتخرج فيها
عام ١٩٢٣م وعمره أربع وعشرون سنة ولم يستمر طويلا في العمل طبيا بقرى مصر
ونجومها فافتتح مهادة خاصة بميدان العتبة الخضراء ليبدأ حياته العملية وليخوض
خضم الحياة .

وهكذا أصبح شامرنا طبيبا

" بين الأدب والطب "

ولقد تناقل بعض الأطباء في ذلك الحين ما هي العلاقة بين الطب والشعر وكيف جمع ناجي بينهما ؟

فكتب ناجي يرد على تلك التساؤلات في قصيدة رليّة يقول فيها : (١)

والناس تحال والهواجس حمة	شعر وطب ، كيف يتفلسفان ؟
الشعر مرعقة القلوب ، وسره	هبة السماء ومنحه الديهان
والطب مرعقة الجيوع ونبعه	من ذلك الفيض العلى الشان
ومن الغمام ومن معين ظله	يجدان الهاما ويستقيان

وكان ناجي في تلك الحلقة قد بدأ يدخل غمار الحياة ويمطد بالواقع ويخبر الحياة بخيرها وشرها وهو الإنسان المرهف الحس الرقيق الوجدان فنجده يمطد بالكثير من مفاجآت الواقع ومرارته ، فيتمزق ويحاول الموازنة بين طبيعته الموهبة الحساسة ومرارة الواقع وموتته .

وقد صور مصانته والصراع الحاد الدائر في نفسه بين المادة والروح والخيال والواقع ، فقال :

" ما أظلم القدر ... فقد شاء أن أكون طبيبا ... وليس بالطب من حرج ،
وانما الحرج أن يكون الخيال مركبا في طبيعة انسان ، فاذا بالقدر يواجه بالواقع ،
ويمدده .

" وانما الحرج أن يكون الشعر مركبا في طبيعة انسان ، فاذا بالقدر يلغمه
فوق السنة المادة ، ويخرج في الدائرة التي لا شعر فيها ولا خيال .

" وانما الحرج أن تكون طبيعته أن ينصت الى أنات الروح ، فيأخذ القدر الى
حيث ينصت الى أنات الجسد ، وتنان بين هذه وتلك .

" وانما الحرج أن تجذبه طبيعته لناحية ومهنته لأخرى ، حتى يتمزق بين شـد

وقد أفصح ناجي من نظراته الواسعة العميقة لمهنته في اعترافاته الشعرية
والنثرية .

xxxxxxxxxxxx

وقد أشرت مهنة الطب في ابداعه الشعري وفي رسم الصور الشعرية المبدعة التي
جاءت في قصائده .

في قصيدة مثل " العودة " تتجلى هذه الخميصة في الألفاظ وفي الخيال مثل :

- ١ - رفرق القلب بجنبى كالذبيح .
- ٢ - فيجيب الدمع والماضى الجريح .
- ٣ - وفرغنا من حنين وألم .
- ٤ - ورضينا بسكون وسلام .
- ٥ - وانتهينا لفرغ كالعدم .
- ٦ - وسرت أتناسه في جـوه .
- ٧ - والبلى أبهرته رأى العيان .
- ٨ - كل شيء فيه حى لا يموت .

الى غير ذلك من مزج للأفكار بالعاطفة الصادقة ، واخراج الصورة الشعرية
المؤشرة .

" عند صخرة الملتقى "

عمل ناجى فترة بعبادته بالقاهرة ثم مالبت أن عين بالقسم الطبى بمصلحة السكك الحديدية ، ونقل الى سوهاج ، ثم الى المنيا ، وأخيرا انتقل الى المنصورة وهنا بدأت مرحلة جديدة فى حياة ناجى وشعره .

نقل ناجى الى مدينة المنصورة حوالى عام ١٩٢٧م .

والمنصورة أرض الحب والغن والشعر والخيال ، توحى بالغن والشعر والجمال وترخر بالوان الفتنة فى كل بقعة من بقاعها .

وقد التقى ناجى على شاطئ المنصورة بثلاثة شعراء آخرين هم : شاعر الجندول على محمود طه ، وشاعر لياالى الهرم صالح جودت وشاعر الأعراف ، محمد عبد المعطى الهمشرى .

ثم كانت صلبة فى الأدب أثرت نتائجها شريفا خصبا . . .

وكان يحلو لشعراء المنصورة الأربعة الالتقاء فى جلسة هادئة على صخرة تلتصق بين شاطئ البحر والصحراء بأطراف المنصورة سموها " صخرة الملتقى " واستوحى كل منهم ما استوحى واتخذها ناجى مكانا للقاء محبوبته ، إذ كانت له هناك صولات وجولات ، ثم كان الفراق ، فراح يندب عهد الحب عند هذه الصخرة قائلا :

سألتك يا صخرة الملتقى	متى يجمع الوهر مافرقا ؟
فيا صخرة جمعت مهجتيين	أفاءا الى حسنهما الملتقى
إذا الدهر لج بأقداره	أجد على ظهرها الموشقا
قرأنا عليك كتاب الحياة	وفض الهوى سرها المفلقا
نرى الشمس ذائبة فى العباب	وننتظر البدر فى المرتقى

وتستمر الصلبة وتثمر أجمل ثمارها فى دنيا الشعر

ثم مالبت شعراء المنصورة الأربعة أن اتجهوا للقاهرة فى عام واحد هو عام ١٩٣١م ؛ ناجى الى وظيفته بالقسم الطبى بمصلحة السكك الحديدية وعلى محمود طه لوظيفته كمهندس بوزارة الأشغال والهمشرى الى كلية الآداب وصالح جودت الى كلية

التجارة .

ودعوا المنصورة بقلب مشبوب وحرص ناجى على زيارة مهد الحب والجمال ، فقال فيها :

يا قلب لا يتلاقى الجبر والفسق	بأى معجزة فى الحب نتلق
تكاد فى ظلمات الليل تأتلق	يا قلب ، اننا لقينا اليوم معجزة
بقبة من بقايا العمر تحترق ؟	ظللت أسأل نفسى كيف تعشقها
تطفو وترسب أو تعلو فتعتلق	وأمنيتها وقلول النور دامية
أبصرته ، أم على المنصورة الشق ؟	لم أدر حين تبدت لى إذا شلقى

xxxxxxxxxxxx

كانت فترة المنصورة (١٩٢٧ - ١٩٣١) من أخصب الفترات فى حياة شعراء المنصورة وفى شامريتهم ونتائجهم ، وقد السهمتهم أجمل ماكتبوا من شعرهم الرومانسى وقد انعكس هذا التأشير فى دواوينهم الأولى والتى أحدثت ضجة كبيرة عند صدورهما لما فيها من روح التجديد والابداع والثورة على القديسم .

" العبودة "

عاد ناجى من المنصورة الى القاهرة ومر بدار " ليلاه " التى كانت له معها
نصف حب عنيفة فرآها قد تغيرت وأصبحت تعمل فيها الريح ، وتكسوها خيوط العنكبوت ؛

هذه الكعبة كنا طائفيها والمصلين صباحا ومساء
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها كيف بالله رجعنا غرباء؟

xxxxxxxxxx

دار أحلامى وحبى لقيتينا فى جمود مثلما تلقى الجديد
أنكرتنا وهى كانت ان رأتنا يضحك النور إلينا من بعيد

xxxxxxxxxx

رفرف القلب بجنبى كالذبيح وأنا أهتف يائلب أثمد
فيجيب الدمع والماضى الجريح لم عدنا؟ ليت أنا لم نعد

xxxxxxxxxx

لم عدنا؟ أو لم نطو الغرام وفرغنا من حنين وألهم
ورضينا بسكون وسلام وأنتهينا لفراغ كالعدم

xxxxxxxxxx

أيها الوكر اذا طار الأليف لا يرى الآخر معنى للهناء
ويرى الأيام صفرا كالخريف نائحات كرياح المحررا؟

xxxxxxxxxx

آه مما صنع الدهر بنا أو هذا الظلل العايب أنت ؟
والخيال المطرق الرأس أنا شد مايتنا على الفك وبنتا ؟

xxxxxxxxxx

أين ناديك وأين السمر أين أهلك بساطا وندامى
كلما أرسلت عينى تنظر وشب الدمع الى عينى وغامما

xxxxxxxxxx

موطن الحسن ثوى فيه السام وسرت أنفاسه فى جـوهِ
واناخ الليل فيه وجشم وجرت أشباحه فى بهـوهِ

xxxxxxxxxx

والهلى أبهرته رأى العيان وبداه تنسجان العنكبوت
صحت - يهاويحك تبدو فى مكان كل شيء فيه حى لايموت

xxxxxxxxxx

كل شيء من سرور وجـزن والليالى من بهيج وشجـى
وأنا أسمع أقدام الزمن وخطى الوحدة فوق السـدرج

xxxxxxxxxx

ركنى الحانى وملئى الشفيق وظلال الخلد للعانى الطليح
علم الله لقد طال الطريق وأنا جئتكم كيما أستريح

xxxxxxxxxx

وملى بابك ألقى جعبتى كغريب أب من وادى المحـن
فيك كف الله عنى غريبتى ورسا رحلى على أرض الوطن

xxxxxxxxxx

وطنى أنت ولكنى طريد أهدى النلى فى عالم بؤسـى
فإذا عدت فاللنجوى أمود ثم أمضى بعدما أفرغ كأسـى

xxxxxxxxxx

إن ناجى هنا يرثل لحنا حزينا مستغرقاً فى التأمل فى أعماق ذاثيرته الخاصة وهذا

يرجع الى رومانسيته المرفهة .

وكانت قصيدة "العودة " تعبيراً عن تجربة شعورية خاصة لشاعر عاد الى ديار

أحبابه ووقف على أطلالها يتأملها ويناجيها

ان الأفكار فى القصيدة واضحة مرتبة فيها عمق وتحليل وابتكار ، فقد عبر عن

مافيه الجميل وحاضره الموحش بتفصيل واستقصاء وأجرى حواراً داخلها أحبا المعانى

وجسمها في مشهد درامسى راسخ .

وقد برع شاعرنا في صوره الشعرية poetic Picture فأجاد في التصوير الكلى الذى نقل لنا لوحات فنية متكاملة ، الأجزاء حافلة بالظلال والألوان كما برع فى التموير الجزئى المعتمد على التشخيص Personification والتجسيم وبث الحياة والحركة فى المعنويات والجمادات ، فالدمع يجيب :

فيجيب الدمع والمافسى الجريح .

والبللى ينسج : والبللى أبهرته رأى العيان ويداه تنسجان العنكبوت

والسأم يقيم : مواطن الحزن شوى فيه السأم

والليل ينسج ويجثم : وأناخ الليل فيه وجثم

والزمن له أقدام تتحرك :

وأنا أسمع أقدام الزمن وخطا الوحدة فوق الســــدرج

وقد أثبت الشاعر مقدرته الفنية الأصيلة فى انتقاء الألفاظ وتنسيق العبارات بحيث تتعاون فى رسم الجو النفسى المسيطر عليه ، وقد كان لسيطرة مشاعر الحزن والأسى على شاعرنا انعكاس فى هذه القصيدة فجاءت الفاظه وعباراته نابغة من هذه العاطفة مثل " شوى فيه السأم " ، أناخ الليل ، وجثم ، جرت أشباحه ، البللى ، العنكبوت ، خطا الوحدة .

لقد عاد الشاعر الى دار أحبابه بعد هجر طويل مدفوعا الى العودة بحثين هلا ب ، وشوق فياض ، فلم يجد حبيبته ، وألقى نفسه فريضا والدار موحشة فاستعاد ذكريات الماضى الجميل وعبر عن آلامه النفسية فى هذه القصيدة التى جاءت وليدة تجربة شعرية ذاتية عاشها الشاعر وعانها بوجدانه .

" من وراء الغمام "

قامت جماعة " أبوللو " للشعر عام ١٩٣٢م برئاسة أمير الشعراء أحمد شوقي ،
وأمينها العام أحمد زكي أبو شادي ومالئث الدكتور ناجى أن انضم اليها وأصبح من
أبرز أعفائها ...

وظهرت على صففائها أرق أشعاره العاطفية وأعذبها مما لفت اليه الأنظار كشاعر
مجدد أضاف لقاموس الشعر الوجدانى شروة عن المشاعر والأحاسيس الفياضة فى
شعر الحب واللفقة والحنين .

وتنشر له " أبوللو " قصيدة " اللقاء " يقول فيها : (١)

أهاب بنا فلبينا	مناد ضم روحينا
كانا اذ تماقنا	تعانقنا بكفينا
كان الحب تيار	سرى ما بين جسمينا
يؤجج فى نواظرننا	ويشعل فى دماغينا

وفى نفس العدد كانت له قصيدة " أفنية فى هيكل الحب " يقول فيها :

كم تجربنا هواننا	ولقينا فى هواننا
وبلونا نار حاسب	لم ندق فيها أماننا

ونجد له فى نفس العدد أيضا قصيدة " رجوع الغربب " يقول فيها :

عادت لطائرنا الذى غناها	وشدا فهاج حنينها وشجاها
أى الحلو أعادها فيها	ونجى وحدتها وألف صاها

وفى عدد نوفمبر نجد له عدة قصائد وجدانية رفيقة منها قصيدته " ساعة التذكار "
و " الى القمر " و " عتاب " و " أصوات الوحيدة " .

يقول في قصيدة " متصاب " (١) :

هجرت فلم نجد ظلا يقينا	أحلما كان مطلق أم يقينا ؟
أهجرا في الصباة بعد هجر	أرى أيامه لا ينتهيها
لقد أسرفت فيه وجرت حتى	على الرمق الذي أبقيت فينا
كان قلوبنا خلقت لأمر	فقد أبصرنا من نهوى نسينا
شغلن من الحياة ونعن عنها	وبتن بمن نحب موكلينا
فان ملئت مروق من دماء	فانا قد ملأناها حنيننا

وفي عدد ديسمبر ١٩٣٣م نجد له قصيدة " الفراشة " .

وفي عدد يناير ١٩٣٤م نجد له قصيدة " الى س " وقصيدة " الشباب الثاني " .

في قصيدته " الى س " يستلهم من الفنانة " ز " معاني جميلة وكانت هذه الفنانة ممثلة مسرح شهيرة أحبها أكثر من شاعر وتمتاز بشعرها الذهبي وعينيها الزرقاوين كزرق البحر . يقول فيهما : (٢)

نحن أرواح حيارى افتترقت	ثم عادت فتلاقت في شجاهنا
سوف ينسى القلب إلا سامة	من رضا في وكرها الحاني فضاها
هتف القلب وقد حدثتني	أي ماض كشت لي شفتاهنا
همست في خاطري فاستيقظت	روحي الحيري وأصفت لنداهنا
فأنا ان لم أكن توأمها	فكأنى كنت في الغيب أخاهنا
نحن أرواح حيارى تملأت	وانتشت سكري على لحن أساهنا
قربى روحك منى قربي	ظليليني وأغمريني برضاها
وتعالى حدثيني .. حدثني	أنت مرآة شجونى وصداها
فهبينى ساعة الصلو التسي	تقسم الأيام ما فيها سواها
ثم أمضى لحياة مسرة	صبحها عندي سواها ومساهنا

XXXXXXXXXX

(١) أبوللو / نوفمبر ١٩٣٣م / ص : ٢١٤ .

(٢) أبوللو / يناير ١٩٣٤م / ص : ٣٩٦ .

واستمر ناجى ينشر أشعاره الوجدانية فى مجلة أبولو وشد الانتباه بتعبيراته المبتكرة فى قاموس الوجدان والعاطفة ، ثم مالبت أن جمع شعره وصدر فى ديوان بعنوان " وراء الغمام " عام ١٩٣٤م فأشار فجة كبيسة

وصف الدكتور أحمد زكى أبو شادى ناجى بأنه شاعر اللفظة والشاعر العاطفى المبدع وكتب أحمد الصاوى محمد دراسة للديوان تناول فيها شاعرية ناجى ورقة شعره وعدوبة روحه وقال عن ديوانه انه قصيدة حب وأن ناجى ليس شاعرا مستهما فـ فقط ولكنه مصور ومفكر وأن ظهور هذا الديوان الصغير فى تاريخ الأدب يوم مشهود وحركة وشابة جديدة لأنه الشعر الخالص للشعر والحب الخالص والرحمة الخالصة للإنسانية .

ولقد هاجم الدكتور طه حسين عنوان الديوان وتساءل : ما المقصود بمعنى " وراء الغمام " فى مقال له بصحيفة السياسة الأسبوعية .

ويفسر الأستاذ صالح جودت رفيق ناجى وصديق شبابه وعمره عنوان " وراء الغمام " فيذكر أن المقصود بالغمام حين يتطلع الشاعر الى الأرض فيراه يحجب الناس ، فتلك راقصة تلهو وتمرح وكأنها أسعد أهل الأرض فاذا انفض عنها الغمام ، تجلست وراءه مأساة عنيفة ، يعورها لنا ناجى فى قصيدته " قلب راقصة " التى يقول فيها :

لاتكتمى فى الصدر أسراراً وتحذى كيف الأسى شفاء
أنا لأرى رجسا ولا عارا لكن أرى امرأة وبأساء

" الغمام الذى يبعد ناجى بعينه الى السماء ، فيراه يحجب حقائق السماء ، فيسمو اليها بخياله قائلاً فى قصيدته " صلاة الحب " :

سموت ودق احساس وجزت عوالم البشر
نسيت اساءة الناس غفرت خطيئة البشر

xxxxxxxxxxxx

ولقد ظهرت ملامح شخصية شاعرنا فى شعره فى هذا الديوان فهو شاعر وأديب مثقف لم يمنعه اشتغاله بالطب عن تنمية مواهبه بالاطلاع على الأدب العربى والأدب الأوربى ، وهو انسان مرهف الحس ، صادق الوجدان ، عفيف فى عزله ، عميق التأمل ، مرتب الفكر ، بارع الخيال .

" وداعا أيها الشعر "

وحوالى عام ١٩٣٥م سافر الدكتور ابراهيم ناجى الى لندن فى مهمة علمية ، وذات يوم وهو هناك بديار الغربه وصلته مجموعة من الصحف والمجلات المصرية وعلى صفحاتها معركة عنيفة حول قيمة شعره يقودها بعض كبار الأدباء مثل العقاد وطه حسين لاختلافهما مع أبو شادى وبالتالى مع جماعة أبولو لظروف سياسية وحزبية .

ويشعر ناجى بالحزن والمرارة ويردد بأسى :

هى محنة وزمان ضيق وتمخضت عن لاصديق

وبينما هو يسير فى شوارع لندن شاردا حزينا تدهمه سبارة فتصيب ساقه ويرقد فى المستشفى عدة شهور ولكن أجريت له عملية جراحية فشفيت ساقه وان ظل يعاني من مراوة نفسية هائلة . وركب الباخرة ليعود الى مصر ... وعندما اقتربت به من شواطئ مصر هتف يقول :

هتلت وقد بدت مصر لعينى	رفاقى ، تلك مصر يارفاقى
خرجت من البلاد أجر سقى	وعدت الى البلاد أجر ساقى
أتدفعنى وقد هانت جناحى	وتجذبنى وقد شدت وثاقى

xxxxxxxxxxxx

وعاد ناجى الى مصر بنفسية حزينة يائسة وزاد ألمه أنه وجد بعض الأدباء يحاولون الفخ من قيمة شعره أيضا فأصيب بكآبة نفسية حادة وندم على ماضيه من وقت وجهد فى نظم شعر كان يظن أنه سيجعله فى الذروة من قمة الشعر فأعلن أنه سيودع الشعر والفن والفكر وكتب يقول :

" وداعا أيها الشعر

" وداعا أيها الفن

" وداعا أيها الفكر

ثم احتجب لفترة من نظم الشعر .

وكتب الدكتور طه حسين مقالا في صحيفة الوادى يدعو فيها ناجى للعودة الى رياض الشعر بأسلوب ذكى طريف ، فقال :

" اننى لم أحن حين رأيت الدكتور ناجى يعلن زهده فى الشعر لأنى قدرت أن الدكتور ناجى ان كان شاعرا حقا ، فسيعود الى الشعر ان رافيا وان كارهيا ، سواء ألححت عليه فى النقد أو رفقت به ، وان لم يكن شاعرا فليس على الشعر يأس فى أن ينصرف منه ويزهده فيه " .

وكانت لهذه الدمعة الذكية من الدكتور طه حسين أثرها السريع فسرعان ما استجاب الدكتور ناجى لها وعاد لروضة الشعر يعاود الغناء والتغريد فوق أفنان الجمال ليقدّم لقراشه أجمل أناشيده فى الحب والجمال وعاد يفنى لملمته بعد صمت طويل فقال لها : (١)

أيها الماضى الذى أودعته	حفرة قد خيم الموت بها
أيها الشعر الذى كفنته	مقما لا قلت شعرا بعده
أيها الشعر الذى مزقته	صارخا : مهدك ييا قلب انتهى
قسما مامات منكم أحـد	انها رقدة يأس .. انها
آه لو قام رسول ضارع	أو شفيح منكم يعض لها
آن من يخبرها عن طائر	نسى الأوكار الا وكـرها

(١) ليالى القاهرة / ص : ١٩١ .

" ليالى شاعر الأطلال "

فى نهاية عام ١٩٣٩م شبت أوار الحرب العالمية الثانية ، وألقت الحرب بظلالها القاتمة على مصر وتأثر ناجى بالظلام الذى غمر " ليالى القاهرة " ، وهو عاشق الليل والنور والنعيم .

وأوجت هذه الليالى المظلمة لناجى بمعان وجدانية رفيقة ، فهو لم يرى فى هذه الليالى المظلمة الا معانى الوصال والمناجاة مع محبوبته

ودخل فى حياته حب فى تلك الحقبة واستلهم من هذا الغرام قصائده " فى الظلام " و " أنوار " و " الميعاد الضائع " و " اثنان فى سيارة " و " لقاء فى الليل " فالشاعر العاطفى ناجى لا يستلهم من جو الحرب والأظلام معانى الضرب والقصف بل لا يجد منه الا جو اللقاء العاطفى ولا يجد فيه الا العاطفة .

يقول فى قصيدة من أجمل قصائد شعره التصويرى العاطفى بعنوان "لقاء فى الليل" يصف فيها لقاء مع محبوبته فى ظلمات القاهرة أيام الغارات تحت الغمر والظلمة والقصف والخوف ، يقول :

قالت تعال ، فقلت لببيك	هيها أعمسى أمر مينيك
أنا يا حبيبة طائر الأيك	لم لا أغننى فى ذراعيك

xxxxxxxxxxxx

أفديك مقبلة على جرع	بسطت الى يمين مرتجف
وبها ارتعاشة طائر لزع	من قلبها تسرى الى كتفى

xxxxxxxxxxxx

فى تلك الحقبة المظلمة الظالمة بدأت قصة حب عنيفة مع معشقة جبهة هي " ر " ملأت فراغ روحه وقلبه ونفسه بعد اخفاق قصة حب مع ملهمة " ليالى القاهرة "

وقد أحب هذه المعشلة أكثر من أديب وشاعر وصحفي (١).

وقد امتد هذا الغرام بين مدِ جزر : بين الرضا والغضب والهجر والوصال والحب والحنين لفترة خصبة وكانت بينهما مراسلات عاطفية تعد من أجمل رسائل الحب والجمال .

وقد شهدت ليالى القاهرة قصة هذا الحب العاصف أثناء اشتعال الحرب العالمية الثانية حوالى عام ١٩٤١م ، وقد انتهت قصة حبها معها بالفرقة ، واعتكف شاعرنا بعدها يسترجع ذكريات هذا الغرام العاصف يتبتل وخشوع

واستوحى من هذه التجربة الخصبة ملحمة العمر " الأطلال " ومن الطريف أنه كتب مطالعها الأولى على " روثة " وأرسلها الى تلك العلهمة .

قال فى مقدمة الأطلال: " هذه قصة حب عاشر ... التقياً وتحاباً ، ثم انتهت القصة بأنها هى صارت أطلال جسد ، وصار هو أطلال روح ، وهذه الملحمة تسجل وقائعها كما حدثت " .

يمر الشاعر العاشق الحب كيف سما بهما الحب الى ذرى عالية وجعلهما كروحين هائمين فى سماء الخيال :

لست أنساك وقد أغريتنى	بالدرا الشم فأدمنت الطموح
أنت روح فى سماي ، وأنا	لك أعلو فكأنى محض روح
يالها من قمم كنا بها	نتلاقى وبسرينا نهبوح
نستشف الغيب من أبراجها	ونرى الناس ظللا فى السفوح

ويصف أحاسيسه ومشاعره وآسائه وهو يقف على أطلال هذا الغرام الراحل وكيف أصبحت أمامه الدنيا منادح وأهوال ، فيقول :

قد رأيت الكون قبرا حنيفا خيم اليأس عليه والسكوت

(١) راجع مقال محمد محمود رضوان بعنوان " مأساة عاشق الجمال " الهلال

ورأت عيني أكاذيب الهوى	واهيات كخيوط العنكبوت
كنت ترش لي وتدرى ألمي	لورشي للدمع تمشال ممسوت
عند أقدامك دنيا تنتهي	وعلى بابك آمال تمسوت

ثم يصور كيف أضناه الوجد والحنين ، وكيف أصبح كالطائر الحزين
يشكو جراح قلبه وآلام نفسه :

ذهب العمر هباء فاذهبى	لم يكن وعدك الا شحبا
صفحة قد ذهب الدهر بها	أثبت الحب عليها ومحبا
أنظري منحنى ورقصى فرجا	وأنا أحمل قلبا ذهبا
ويرانى الناس روحا طائرا	والجوى يطحننى طعن الرجا

وتفصح حياته بعد الهجر ببابا وتقرأ موحشا صامتا لاتجد فيه أنيسا
أو سلوى بل أطلال معبد الحب الذى طالما فرد فيه للحب والوصال :

كنت تمشال خيالى فهو	المقادير أرادت لا يدي
ويجها لم تدر ماذا حطمت	حطمت تاجي وهدت معبدي
يا حياة الياس المنفرد	يا بابا مابه من أحدد
يا قفارا لافحات مابه	من نجى ياسكون الأبدد

ثم يختتم الملحمة بهذه الصورة الحزينة القاتمة الشائرة ، فيقول :

وإذا مازهرات دفـرت	ورأيت الرعب يفسى قلبها
فترفق واتكد واعزف لها	من رقيق اللحن وامسح رملها
ربما نامت على مهد الأسى	وبكت مستصرخات ربها
أيها الشاعر كم من زهرة	هوقبت لم تدر يوما دنبها

xxxxxxxxxxxxxxxx

وقد أبدع ناجى فى رسم لوحات تصويرية جميلة فى هذه الملحمة رسمتها
ريشة فنان مبدع .

ومن تلك الصور المحلقة فطلع الملحمة :

بافواذى رحم الله الهوى	كان مرجا من خيال فهوى
اسقى واشرب على أطلاله	وارو عنى طالما الدمع روى
كيف ذاك الحب أمسى خبرا	وحديثا من أحاديث الجوى
وبساطا من ندامى حلم	هم تواروا أبدا وهو انطوى

ثم يemor كيف يتقلب على وهج الحنين والوجد والوفاء رغم طعنات
للهمجر والعقوق من المحبوب فيقول :

يارباحا ليس يهدأ عضلها	نصب الزيت ومباحى انطفأ
وأنا أقتات من وهم عفا	وأنى العمر لناس ماوفى
كم ثقلت على خنجره	لا الهوى مال ولا الجفن عفا
وإذا القلب على غفرانه	كلما غار به النفل عفا

لقد اتسمت ملحمة الأطلال بالخيال المجنح واللهفة العاطفية ، والمدق
اللفى ، فهي تعد من أجمل وأرق ألوان الشعر العاطفى التصويرى المعاصر شـ
ومشـونـا .

" زازا وعاصلة السروح "

كان ناجى يعانى من محنة عنيفة قاسية فى سنواته الخمس الأخيرة من عمره ، كان يعانى من ظروف نفسية وصحية ومادية وعائلية فاتجه الى الشراب وأسرف فيه عليه ينسى وأصبحت حياته ليلا طويلا موحشا لاتجد فيه لمحة ضوء أو مصباح أمل

ثم جاءت لمحة الضوء فى حياته فى تلك الحقبة الكثيبة من حياته جاء هذا الحب فى وقت كان ناجى يعانى كآبة فى نفسه وكانت القاهرة يخيم عليها الظلام والصمت أثناء الحرب العالمية الثانية .

وكان هذا الحب يمشاة لمحة الضوء التى سقطت فى دهاجى الظلمات فى حياة شاعرنا ابتداء اللقاء بينها على الورق من جانبها ، من قارئة مثقلة وأسملة الاطلاع لشاعر جهير ابتدع صورا مبدعة فى قاموس الحب والعاطفة ، فبعثت لــــه برسالة اعجاب ومالبت أن رد عليها ثم توالى الرسائل بينهما لمدة عام كامل ، وكان أول لقاء بينهما أثناء الصيف فى الاسكندرية وبدأت لقاءات أدبية وفنية وعاطفية بينهما يتناقشان فى شتى فروع الأدب والثقافة والفن والحب ...

ثم قررت " زازا " الاشتغال بالفن واعترفت أسرتها الصعيدية المحافظة - ولكن ناجى - وكانت تربطه بأسرتها علاقة ودية - أفلح فى اقناع أسرته بالسماح لها بالاشتغال بالفن ... وأصبحت زازا معثلة شهيرة وأصبحت تقيم ندوات أدبية وفنية أسبوعية بصفة منتظمة تدور فيها أحلى الأسرار وأشهى الأحاديث فى الأدب والفكر والفن وكان من أبرز من يؤم هذه الندوات العقاد ورامى وصالح جودت وفكرى أباطمه وأنور أحمد ومحمد عبد الوهاب .

ويلقى الأستاذ صالح جودت الأضواء على قصة هذا الحب الكبير فى حياة ناجى ، فيقول عن تلك الملهمة : (١)

(١) صالح جودت / ناجى ، حياته وشعره / ١٩٦٠م ص : ١٢٩ .

لقد لعبت زازا فى حياة ناجى فى تلك الحقبة دورا كبيرا فى تخفيف آلام روحه وأحزان نفسه ... كان فى تلك الحقبة يعانى المرفى وعقود الأصدقاء وهجر المحبوبات وعسر المال فضلا عن الأحقاد والدسائس من خصومه فى عمله الذين استغلوا محنته لضيقوا عليه الخناق وشددوا عليه الكرة للنيل منه فى وظيفته وكان يقترب حينئذ من الخمسين فزاد ذلك من محنته وأحس بأنه قد شاخ .

وانعكس كل ذلك على نفسيته وبالتالي على شعره الذى أصبح أكثر ارهاقا وحزنا ووحشة .

ورقد على الفراش حين اشتدت عليه العلة من أثر السهر والاسراف فى الشراب وفى لحظة يأس أحس بالنهاية ورأى بعينى خياله الزورق يفرق ولا مجيب لمــــــراخ الملاح وسجل أحاسيسه القاتمة فى تميدة موحشة بعنوان " عاصفة الروح " خاصة أنه كان يعانى من هجر محبوبة العمر ولمحة الضوء الوحيدة فى حياته " زازا " فى تلك الحقبة الحزينة من سنواته الأخيرة ، والتي كانت الباسم الشافى الذى خلف منه الكثير من آلام روحه .

لم ير شاعرنا أمامه فى تلك الحقبة الا زورقه تعبت به الأمواج وسط الأنسواء والغيوم والرياح وقد غرق الشراع وأوشك على الفرق دون أن يجد مرسى فى شاطئء للأمان والرجاء .

يا مــــباب الهمــــوم	أين شط الرجاء
ونهارى فيــــوم	ليلى أنسواء

xxxxxxxxxx

أسمعنى الديــــان	أعولى يا جــــراح
زورق غضبــــان	لا يهـم الريبــــاح

xxxxxxxxxx

فى صميم الشــــراع	البلى والشقــــوب
وخيال الــــوداع	والغنى والشحــــوب

xxxxxxxxxx

اسخرى يا حياء
تهتهى يار مود
الصبا لن آراه
والهوى لن يعود

XXXXXXXXXXXX

الامانى غرور
فى فم البركان
والدجى مخمور
والسردى سكران

XXXXXXXXXXXX

راحت الايام
بالتسام الشفور
وتولى الظلام
فى مناق المخمور

XXXXXXXXXXXX

كان رؤيا منام
طيفك المحفور
ياضفاف السلام
تحت عرش النور

XXXXXXXXXXXX

وتبلغ الكآبة ذروتها والحزن مداه فيودع كل شىء بعد وداعه للحب
الوحيد فى حياته الذى كان يفىء أفق حياته ، ويبدد عن روحه
ظلماتها وأحزانها ، فيقول :

اطحنى ياسمين
مزقنى يا حمراب
كل برق يبين
ومغه كذاب

XXXXXXXXXXXX

اسخرى يا حياء
تهتهى يا غيوب
الصبا لن آراه
والهوى لن يود

XXXXXXXXXXXX

ويذكر الأستاذ صالح جودت أن زارا ظلت الى جانب ناجى الى آخر

حياته تهيه حياتها وهي حبيبة ، وهو شيخ يكترب من الستين ، وهو فوق
ذلك قاييل الحظ من المال والجال والفحولة ، مريض بذات الرئة ،
فما من شك بعد ذلك أنها كانت تحبه حبا مثاليا لا غاية وراءه
الا الحب في ذاته .

" مأساة الطائر الجريح "

كان شاعرنا رقيقا وديعا صافى القلب مذهب الروح ... كان - كما يصفه - ابراهيم المصرى - فى تلك اللوحة انسانا رقيقا جالسا :

" تلتقى بالدكتور ناجى ، فتشعر كأن نسيما منعشا يهب عليك ، وتصالحه فكانما يفتح لك صدره ، وتجلس اليه وكأنك فى حفرة روح حائر ، وتستمتع الى حديثه فيأخذك العجب من طهارة قلبه وبراعة نفسه وسلامة طويته وعدوبة صوته وطلاقة محياه ، فتذهل ، ويتفاهل شخصك فى عين نفسك ، ويعز عليك نقصك ، ولايعزبك فى النهاية الا يلقينك بأن الخير الذى فادرك قد استقر فى سوال وتمثل نابها حيا فى قلب هذا الشاعر النبيل " .

كانت هذه لوحة صادقة ودقيقة لملامح شخصية شاعرنا وقد عكست تصرفات شاعرنا الانسانية الكثير من هذه المعانى ...

فقد كان يتخذ من الطب مهنة انسانية أولا ، ويجعله هواية فى كثير من الأحيان . وكثيرا ماكان يخرج من جيبه ثمن الدواء - وأحيانا ثمن الفذاء - للمرضى الفقراء ...

وكان أهل الأدب والفن من متوسطى الحال يعالجون عنده وفى أغلب الأحيان كانت عيادته تزخر بالوان من المرضى الفقراء وكان حصيلة كل هذا أقلل الخليل من المال ، ولكنه كان يشعر بسعادة غامرة ازاء ذلك .

ولقد طابت أيامه عندما عمل طبيبا بوزارة الأوقاف فى عهد الوزراء الثلاثة وهم : عبدالهادى الجندى وابراهيم دسوقي أباطة وعبدالحميد عبدالحق ، اذ كانوا يقدرون شعره وشجوعه واخلاصه فى عمله وفى سنواته الأخيـرة مائى الكثير من الدسائس والمؤامرات وراحت السنة الحاسدين والحاقدين تدس لـه مند رؤسائه فى العمل وتزعم أنه غير منتج ، وأنه منصرف من الطب إلى الشعر والأدب .

ونجحت الدساتير في الهبوط به من منصب المدير الى منصب المراقب ، ثم
ماله أن انتهى به الأمر باخراجه من وظيفته نهائيا ، وهو في حوالى
الثانية والخمسين أى عام ١٩٥٢م .

كانت صدمة هزيمة هزته هذا عنيقا من أعماقه ...

وغامت الدنيا أمام عين الشاعر الرقيق ، واستسلم للعزلة وغشت الكآبة
نفسه واحتوته سورة اليأس والعذاب الممض وأسرف في الخمر اسرافا شديدا
ينشد فيها السلى والنسيان واعتزل المجتمع وغابت ابتسامته الحلوة ...

لقد تغير كل شيء في ناجى في سنواته الأخيرة ...

لقد صمت القلب العاشق المغرد وأصبح غناؤه نواحا وترنيمه أنينا .
وأهمل نفسه فلم يعد ياهبه لطعام أو صحن أو ملابس وحدثت خلافات بينه
وبين زوجته . وشرع يقف لياليه ساهرا هائما على وجهه مع ليالى
القاهرة لارقيق له سوى الأقداح وبقايا الذكريات وشيطان الشعر ...

وانخفض منه معظم أصدقائه الا عدد محدود ظلوا بجانبه في محنته منهم
صديق عمره صالح جودت الذى ظل ملازما له وفيما لمحبته حتى آخر نسمة
في حياة ناجى ، ومنذما رحل ناجى كتب صالح جودت ترجمة ممتعة لحياته
بعنوان " ناجى حياته وشعره " صدرت عام ١٩٦٠م وقدم لها العقد بمقدمة
تحليلية رائعة عميقة أبرز فيها مفهومه حول الرقة العاطفية عند ناجى
وسماتها الخاصة به .

" وغرق الزورق "

وراح شاعرنا يدوب سريعا ... أسرف في الشراب واتخذ من الليل صديقاً
له يهبه نجواه على يجد السلوى والنسيان وأصبح حطاما يدب على الأرض بعد
أن أصابته عدة هجمات ...

كان يعاني من المرض وفرقة الحبيب ومكابد الأعداء وغدر الأصدقاء
ومقوتهم بعد عسره وخروجه من الوظيفة بفعل الدسائس وكانت مأساة
الطائر الجريح ...

فسرعان ما سمت القيثارة الشجية التي أبدعت لنا أجمل أنغام الحبيب
والجمال وغرق الزورق ...

ففي ذات ليلة وهو في عيادته يدنى أذنه إلى صدر أحد مرضاه لسمع دقات
قلبه ، سقط الطبيب وعاش المريض ...

مات الانسان الكبير والشاعر المبدع وهو يهتف في أسى مودعا محبوبه العمر
بصوت متحسّر :

داو ناري والتيامنى	وتمهل فى وداعنى
يا حبيب العمر هب لى	بفع لحظات سىراعى
قف تأمل مغرب العمر	واخفاق الشمعى
وابك جبار الليالى	هذه طول الصراعى
وضياع الحزن والدمعى	على العمر المضاعى
وهتاف القلب بالشكوى	على فير انتفاعى
ما يهم الناس من نجوم	على وشك الزمعاى
هاب من بعد طلوع	وخبيا بعد التمعاى

وعندما مات ناجى فى ٢٥ مارس ١٩٥٣م عن عمر يناهز الثالثة والخمسين أصيبت رازا ،
بصدمة عنيفة وأمرت على أنه لم يمت بل - كما قالت - " ذهب ولم يترك عنوانه " .

" شاعر الحب "

كان ناجي قلبها محبا عاشقا ... يسعى الى المرأة ويستلهم منها أجمل
المغارييد الحب والجمال ...

كان شعر ناجي حديث القلب ونجوى الحبيب ومكابدة السراق ...

وناجي شاعر يبدع كل الابداع في قصائد الحب والعاطفة وتلمس في شعره
حرارة الابداع وصدق العاطفة ...

ان شعر الحب Love Poetry عند ناجي يتسم بالرفقة العاطفية
والصدق الفني وحرارة العاطفة ...

ان شعره العاطفي صادر من عاشق قوى العاطفة مشتعل الاحساس صادق الوجدان
ويرجع هذا الى حرفة وجدده وقوة عاطفته .

ان شاعرنا عاشق محب يرى للحب تأثيرا كبيرا في حياته وفي نظرتيه
للحياة والوجود ، فيقول :

ذلك الحب الذى علمنى	أن أحب الناس والدنيا جميعا
ذلك الحب الذى صور من	مجدب القفر لعيني ربيعا
أنه يعزنى كيف السورى	هدموا قدسه الحصن منيعا
وجلا لى الكون فى أعماقه	أعينا تبكى دماء لادموعا

فى شعر ناجي العاطفي نجده عاشقا واله القلب قوى العاطفة يتقلب
على سفير الوجد وهج العاطفة والحنين ... وقوة العاطفة هي التي منحت شعره
الأصالة والجمال والابداع .

يناجي محبوبته ويصور لها الدنيا كعباب يلعب بهمها :

أنا ان ضاقت بي الدنيا أفىء	لشوان رحبة قد وسعتنى
انما الدنيا عباب فمنا	وشطوط من حظوظ فرقتنى

ولقد اُطلِق عليه قَلْبًا هَارِثًا فِي لَحْظَةِ قَدِ جَمَعْتُنَا

وَيَجِدُ فِي مَحَبَّتِهِ الْمَوْكِلَ وَالْحَنَانَ وَالْأَمَانَ بَعْدَ طَوْلِ غُرْبَتِهِ وَوَحْشَتِهِ وَأَحْزَانِ
رُوحِهِ :

وعلی بابك القی جعبتی
فیک کف الله عنی غربتی

کفریب آب من وادی المحسن
ورسا رحلی علی أرض الوطن

XXXXXXXXXXXX

وطنی آنت ولکنی طریقہ
ہذا مدت فللنجوی امود
آہدی النفی فی عالم ہوسے
ثم امضی بعدما افرغ کاسے

ويرى أن حب محبوبته هو المحراب وبיתه كعبته التى يقف أمامها بتبطل وخشوع وقد سار إليه على الأشواك واستعذب منارج الهول والأهوال ليحظى بوصال المحبوب :

وحبيب كان دنيا أملنى
من مشى يوما على الورد له
خلق القلب له مختلفا
قد لانى فتكرت لىه

حبه المحراب والكعبة بيته
فطريقى كان شوكا ومشيتـه
خفقة المصباح اذ ينضب زيتـه
وطوى صفحة حوى فطويتـه

XXXXXXXXXXXX

كان ناجى أحد فرسان الغزل العذرى ...
لقد عرف الحب العذرى ولغنى له ، وهو حب خالص من شوائب الحس من
فرسانه مجنون ليللى والعباس ابن الأحنف .
ويرى الدكتور زكى مبارك (١) أن الحب العذرى لا يقوم على الزهد المطلق

(١) الدكتور زكي مبارك / العشاق الثلاثة / ١٩٤٤م.

فى المتعة الحسية انما يقوم على أساس الصراع بين روحين يغالبان
مطالع الأئدة ومطالب الحواس ، فالحب العذرى هو معركة منيفة ففى
ميدانين : الأول ميدان الصراع بين الشاعر وهواه والميدان الثانى ميدان
القتال بين الشاعر ومن بهواه وهو فى الميدان الثانى لا يطارده فريسة لاتنسلال
بأسر الجهد وانما يطارده ضحية عمماء لاتنال الا باقتحام الأحوال فوق
قمم الجبال والحب العذرى حين شتموره هذا التصور لا يكون الا رياضة أخلاقية
فى أنف من أقبلوا عليه من الشعراء العظام .

وكان الدكتور ناجى شاعرا عذريا عاشقا يرى الحب طريقا الى تهذيب
الأرواح وتربية العواطف .

أنه بمرنى كيف الورى هدموا قدسه الحصن المنيعا

وقد خلق شاعر الحب للمرأة فى شعره شمائل تميزها عن سائر بنات
حواء فقد خلق منها عروسا للشعر وجعلها امرأة مثالية وقوة روحية
تسيطر على مسالك فلاله ومذاهب هداه وخلق منها مثالا رائعا لاتحده
الأوهام والظنون وكثيرا ماصورها عروسا للشعر بعيدة عن دنيا البشر ...

يتغزل شاعرنا فى محبوبته فيصور مواطن سحرها فى أسلوب تصويرى
وجدانى رائع ، فيقول :

كل ما فيك من الأسرار يفرى	أى سر فيك ؟ أنى لست أدرى
فتنة تعصف من لفتة نحر	خطر ينساب من مفر ثغر
زورق يسبح فى موجة عطش	قدر ينج من خلة شعر
وأصلا ما بين عينيك وعمرى	فى عباب فامض التبار يسرى

أنه هنا يجيد التعبير العاطفى Emotional Expression فى رسم
صور متتابعة حية لجمال محبوبته وسحرها القهار ويجد معها الحنان
والماوى والحب والظل الظليل من هجير الحياة :

هذه الدنيا هجير كلها أين فى الرمضاء ظل من ظلالك

ربما تزخر بالحسن ومما في الدمي مهما غلت سر جمالك
ربما تزخر بالنور وكـم من ضياء وهو من غيرك حالـك
لو جرت في خاطري أقصى المنى لتخيلت خيالا من خيالـك

xxxxxxxxxxxx

ويرى عباس محمود العقاد أن ناجي من شعراء الرقة العاطفية Sentimentalism والتي كانت غالبية على بعض أصحاب الأقلام في مصر من الناطمين والناشرين في أوائل هذا القرن ولكنه يرى أن رتته لها نمط خاص ، فيقول : (١)

" ولاشك في صدق تعبيره عن تلك الرقة العاطفية شعرا ونثرا ، بل خلقا وشعورا كما عرفناه وعرفه أصدقاؤه الأقربون .

" رقة ودقة ... هاتان الخصلتان اللتان نسجت منهما العاطفية الشعرية في سليقة ناجي " .

والمعروف أن العقاد كان قد انتقد ناجي عام ١٩٣٤م حين صدر ديوانه " وراء الغمام " واتهم شعره بالانحراق في البكاء والحنين والرغـاوة العاطفية ورد عليه ناجي مما لايتسع له المجال هنا .

كما اتهم ناجي بالانحراط العاطفي Sentimentality من بعض النقاد والدارسين ولكن غاب عن بالهم تكوين ناجي العاطفي ورقة عاطفته ورفاهة احساسه ثم أنه كان صادقا مع نفسه فجاء شعره انعكاسا لمشاعره وأحاسيسه ومواقفه وذلك هو غاية الصدق الشعوري والفني .

وشعر ناجي مليء بالحنين واللهفة والألم والعتاب والمناجاة ولكن هناك لوحات تصويرية مرحلة مبتهجة منها هذه اللوحة المرحية الراقصة لحيبيبين أعضاء لهما الحب أضواء البهجة فانطلقا يمرحان ويشبقان ظلهما الراقص :

هل رأى الحب سكارى مثلنا كم بنينا من خيال حولنا ؟

(١) مقدمة العقاد لكتاب " ناجي حياته وشعره " / ص :

ومشينا فى طريق مقمـــــر	تشب الفرحة فيه قبلنا
وتطلعنا الى أنجمـــــه	فتهاوين وأصبحن لنا
وضحكنا ضحك طفلين معـــــا	وعدونا فسلنا ظلنا

ويرى فى محبوبته الأمل والربيع والبهجة والاشراق :

عندما أقفرت الدنيا جميعا	لحن لى تحمل عمرا وربيعا
ان يكن حلما تولى مسرعا	أجمل الأحلام ماوى سريعا
ان يكن ماكان ديننا يقتضى	خاس أدفعه عنك دمرعا
قد شيناه عزيزا غالينا	ان تكن بعث فانى لن أبيعا

وهذه لوحة مرحلة مبتهجة لمحبين نسيا كل شىء فى الوجود وقد أجاد
ناجسى فى رسم صور متحركة , Moving picture , لمــــرح
المحبين وبهجتهم فى ظل الوصال والنجوى :

نمشى وقد طال الطريق بنا	ونود لو نمشى الى الأبد
ونود لو خلت الحياة لنا	كطريقنا وغدت بلا أحد

xxxxxxxxxxxx

نبنى على أنقاض ماضينا	قمرا من الأوهام عملائنا
ونظل ننسج من أمانينا	وشيا من الأحلام براقنا

xxxxxxxxxxxx

وأظل أسقيها وتملاً لى	من مورد خلف الظفون خلفى
حتى اذا سكرت من الأمل	وترنحت مالت على كتفى

بعد هذه البهجة والسعادة فى ظلال الوصال والحب والنجوى ينتبه
على صوت النذير يروعه بالفرقة بعد ساعات الهناء والسعادة :

حان حرمائى ونادائى النذير	ما الذى أعددت لى قبل المسير
زمنى ضاع وما أنصفتنى	زادى الأول كالزاد الأخير
رى عمرى من أكاذيب المنى	وطعامى من عفاف وضمير

وعلى كفك قليب ودم وعلى بابك قيد وأسيـر

وبعد الفرقة ينتابه الأسى ويعكف على كأسه وعلى سراجه ينتظر على
أمل أن تلبى محبوبته النداء وتعود إليه ليالى الوصال والنجوى والنغم :

انى على يأس وكأس كابى وعلى سراجه عاكف وشرابى
ولقد فرغت من التعلل بالمنى الا وميضافى السراب الخابى
رمقا يعللنى بأنك عائـد يوما لقلبي قبل يوم ذهابى
أنرى شروقك فى أفول مغاربى وأشم عطرك فى ذبول شهابى؟

xxxxxxxxxxxx

يرى الشاعر صالح جودت أن شعر الحب منذ ناجى خالد وأصيل ، فيقول : (١)

" ان أجمل مقياس لخلود الشاعر ، هو أن تظفر بالبيت له ، فتسأل
نفسك " الى متى يعيش هذا البيت " ولست أشك فى أن أكثر شعر ناجى
فى الحب قمين بأن يعيش الى أن تنتهى قصة الحب على الأرض .

" هذا هو الشاعر الخالد وهذا هو الخلود " .

ويرى بعض النقاد أن شعر ناجى فى الحب قد أشر فى الشعراء الذين جاءوا
بعـده .

" ان ناجى قد بلغ الذروة فى التعبير من ظمأ الروح واللهفة الخالدة
الى الحب ، وعاش طول حياته روحا ظامئا لهيفا يبحث عن العواطف ويعبر
عن أشواقه المتدفقة .

" وامتد هذا الظمأ والحنين فى شعره حتى آخر حياته فى دواوينه الثلاثة
" وراى الغمام سنة ١٩٣٤ م " و " ليالى القاهرة سنة ١٩٤٤ م " و " والطائر
الجريح الذى صدر بعد وفاته سنة ١٩٥٧ م " .

(١) صالح جودت / ناجى ، حياته وشعره / ص : ١٥٦ .

" في هذه الدواوين نلح ناجى المتعطش الى الحب يمثل تيار أبوليسو
أصدق تمثيل ، ولقد أثر في كثير من الشعراء الذين جاءوا بعده ، بهـل
لعلنا نحس آثاره حتى الآن في شعرنا المعاصر " (١) .

xxxxxxxxxxxxxxxx

وبعد ، فهذا هو شاعر الحب ، ناجى ، الذى كانت أغاريده العذبة
دافقة بالشعور الحى والحرارة والجمال وكانت تتسم بالمــــدق
الغنى لأنه قبها من نار روحه ونور وجداسه .
لقد كان شعر الحب Love Poetry عند ناجى لونا جديدا
وفريدا في شعرنا العربى المعاصر .

(١) عبدالعزيز الدسوقي / جماعة أبوليسو / ص: ٥٧٣ .

مختارات من شعر ناجي

- ١ - أغنية في هيكل الحب
- ٢ - البعث
- ٣ - الفد
- ٤ - الوداع
- ٥ - الخريف

١ - أمنية في هيكل الحب

كم تجرمننا هواننا
ولتيننا في هواننا
وبلوتنا نار. حب
لسم نذق فيهما أماننا
وإذا حل الهوى
هيهات تدرى كيف كاننا
فاذا ماملك الأنفس
أملاهنا هواننا
فهو نمل مستقر
ولهيب لا يداننا

xxxxx

يا حبيبى هذا الليل
ولم يسهر سواننا
لالدجى فمد جرحيننا
ولا المبح ثماننا
لا الهوى رق ملنا
الشاكى ولا قاسيه لاننا.
قد لدونا فرغ الرامنا
كما شاء رماننا
والننى بالله نطرق
هيكل الحب كلانا
سامية نبكى على الكمان
ونشكو من سقانا

٢ - البعث

يا جمالا وجلالا يتدفق
رجع الليل أم عاد الربيع
بهر النور مبهوش ، فترفق
حين تدنو ، اننى لا أستطيع

xxxxxxxx

أيها الورد الذى طاف بنا
أيها الطل الذى بل الغمام
لا أراك الله حالى وأنا
أطأ الشوك ويغزونى الظمأ

xxxxxxxx

يا أمانىَّ وجبى وخيالى
لاتفجع لحظة ، فالعمر ضائع
لا أراك الله حالى ، والليالى
كاسفات ليس فيهن شعاع

xxxxxxxx

قد بلوت الليل فيها ، لابلوتنا
وأنا أبداً يومى بالمساء
وعرفت الخيق ، فيق القلب ، حتى
لم أجد فى الكون ثقباً من رجاء
لا ودى ، ليس فى الدنيا ختام
حين يقدو البعث نجوى من حبيب
حين يستيقظ قلب من منسى
والمنادى أنت ، والحب مجيب

٢ - الغد

ياحنانا كيد الأتسى السرووم
وشعاعنا يشتهى بعد الغيوم
أنا فى بعدك مفلقود الهيسدى
ضائع أمشو الى نور كريــــــــم
أشترى الأحلام فى سوق المعنىسى
وأبيع العمر فى سوق الهمسوم
لا تقبل لى فى فسد موعدهنسا
هالغد الموعود نسا كالنجموم

xxxxxx

أفدا قلت ؟ فعلمنى امطيارا
ليتنى أختصر العمر اختصارا
عبرت بهى شوة من فــــــــرح
فرقمنا أنا والقلب سكارى
ومرانا طائف من خبــــــــل
فاندفعنا فى الأمانى نتبكارى
سندم النور حتى يتلاشى
وندم الليل حتى يتسوارى

xxxxxx

أنفردنا أنا والقلب عشيقا
شئناج الآمال والنجوم سويكا
فركبتنا الوهم نبغى دارهــــــــكا
وطربنا الدهر والعالم طيــــــــكا
فبلغناها وهللنا لهــــــــكا
ونزلنا الخلد فينانا نديــــــــكا
ولقينا الحن هنا والمحبــــــــكا
وتعلمنا الجلال الأبدىــــــــكا

xxxxxx

قال لى القلب : أحقا ما بلغننا ؟
كيف نام القدر الساهر هنا ؟
أتراها خدعة حاقت هنا ؟
أتراها ظنة معا ظننا ؟
قلت : لاتجزع لكم من منــــزل
عز حتى صار فوق المــــتمنــــى
أذن الله به بعد النــــوى
فثوبنا واسترحنا وأمنــــا ؟

xxxxxx

ياجنان الخلد قدمت أمتــــذارى
اذ يطوف الخلد مقمى ودمــــارى
أيها الأمر لى ملك الهــــوى
امف عن لهفة روحــــى وأوارى
أشتهى فمك حتى أشتفــــى
فكانى ظامىء آخذ شــــارى
هیر أنسى كلما امتدت يــــدى
لعناق ظلت أن تؤذيك نــــارى.

xxxxxx

أيها النور سلاما وخشوعــــا
أيها المعبد صمتا وركوعــــا
ملككت قلبى ولبى رهبــــة
عمقت بالقلب واللب جميعــــا
رب قول كنت قد أمددتــــه
لك اذ التاك يأتى أن يطعمــــا
وحبيس من مثاب لى فمــــى
قد معانى فتفجرت دمومــــا ؟

xxxxxx

لدمتني دمعته تلتفح خـــــــسدي
نبتتني من فلال ليس يجدي
اختفت تلك الروى من ناظرى
وطواها الغيب فى سحرى بهرد
وتلفت فلا أنست ولا
جنة الخلد ولا أطياف سعــــد
وإذا هى فارقة من محنتــــى
وبلاى ، أقطع الأهم وحــــدى

xxxxxxxx

هات قيثارى ودمتني للخيال
واسقنى الوهم ... وعلل بالمحال
ودع المدق لمن ينشــــده
الحجى خمى فامر بالفســــلال
وخذ الأنوار منى ، ربهــــا
أجد الرحمة فى جوف الليالى
ظنى بالشوق أستدنى فســــدا
فغدا هندي كآباد طــــوال؟

٤ - السوداع

حان حرماني وناداني النذير
ما الذي أعددت لي قبل الميسر
رمي ضاع وما أنصتني
زاد الأول كالسراد الأخير
رى عمري من أكاذيب المنى
وظامى من مفاسد وغمير
وملى كلك قلبي ودم
وملى باهيك قيد وأسير

xxxxxx

حان حرماني فدعني يا حبيب
هذه الجنة ليست من نعيم
آه من دار نعيم كمالها
جنتها اجتاز جبرا من لهيب
وأنا إلك فى ظل العيب
والشباب الغض والعمر القشيب
أنزل الربوة ضيفا هابيرا
ثم أمضى منك كالطير الغريب

xxxxxx

لم يهاجر أصبحت رحيم
والحنان الجم والرقية طيم
لم تلتينى من شهد الرضا
وتلاتينى مطولا وكريم
كل شيء صار مرا فى فمى
بعد ما أصبحت بالدنيا عليه
آه من ياخذ عمري كله

ويعيد الطفل والجهل القديم؟

xxxxxx

هل رأى الحب سكارى مثلنا؟

كم بنينا من خيال حولنا
ومشينا في طريق مقمر
تشب الفرحه فيه قبلنا
وتطلعنا الى أنجمه
لنتهاوين وأصبحن لنا
وفحكننا فحك طفلين معنا
ومدونا فسبقنا ظننا

xxxxxx

وانتهينا بعد ما زال الرحيق
وأفتنا .. ليت أنا لانفيسق
يقظة طاحت بأحلام الكسرى
وتولى الليل ، والليل مديق
وإذا النور نذير طالوع
وإذا اللجر مظل كالحرى
وإذا الدنيا كما تعرفها
وإذا الأحباب كل في طريق

xxxxxx

هات أعدنى ودعنى أعبدك
قد دنا بعد الثنائى مسورك
فأدنيه فانى ذاهب
لاعدى برجى ولابرجى مسدك
وابلاشى من ليالى التمسى
قربت حينى وراحت تبعدك
لاتدمنى لليالى ففسداً

تجرح الفرقة ماتاسو بهـدك

xxxxxx

أزف البين وقد حان الدهـباب
هذه اللحظة قدَّت من مـذاب
أزف البين ، وهل كان النـسوى
يا حبيبى غير أن أُلقى بهـباب؟
مفت الشمس لأميت وتـسدد
أفلقت دونى أبواب السـحاب
وتلففت على آثارهـباب
اسأل الليل .. ومَن لى بالجـواب ؟

وثنى الركب منسان البقا

xxxxxx

عندما انفرت الدنيا جميعا
لحلى تحمل عمرا وربيعا
ان يكن حلما تولي مسرعا
أجمل الأجل ماولى سريعا
ان يكن ماكان دينا يقتضى
خلص أدفعه منك دموعا
قد شربناه عزيزا غالينا
ان يكن بعث فانى لن أبيعا

xxxxxx

يانداس الحب سمار الهوى
كجوا لى السهد فى ذاك السراب
أرقونى أجمع القم وبسى
مطرة الكأس وأوهام الحب سباب
كلما تقبل أيام المنى
تنجلي النعماء من ذاك السراب
وترى أيامى الحيرى على
مرسها الفاحك أحزان الفيساب

xxxxxx

لم أتبدك بشئ فى السهوى
أنت من حبى ومن وجدى ظليق
الهوى الخالص قيد وحده
رب حر وهو فى قيد وثيق
مزقت كفيك أشواك الهوى
وأنا غقت بأعجار الطريق
كم ظمى بظمى يرتوى

وفريق مستعين بفريقـــــــــــــــــ

xxxxxxx

ياليتالى العمر ماسر الليالى
البطيئات المعلمات الطـــــــــــــــــوال
مسرعات مبطئات ولهـــــــــــــــــا
خفة الموت وأثقال الجبال
كاسفات البال مرعاء العنسى
ماشرات الحظ شوها الظلال
عجبا للعمر يفتى مسرعا
للعنايا بلحفاة المــــــــــــــــلال

xxxxxxx

ياكنار الروض فى آيك الهوى
جفت الروضة من بعد النديم
حل بالآيك خريف منكـــــــــــــــــر
وظلال قاتمات وفيــــــــــــــــوم
ماتت الروضة الا طائفــــــــــــــــا
من هوى حى على الذكرى يقوم
فإذا أنكر ما حل بهــــــــــــــــا
فر يفتى سربه بين النجوم؟

xxxxxxx

شاهقت الدنيا وجوها وروى
وثولها سهوم ووجــــــــــــــــوم
ياعدارى الحسن فى ظل المــــــــــــــــبا
كل حسن بعد ليلاي دميــــــــــــــــم
يانعيم العيش فى ظل الرضا
آه لو أعرف ما طعم النعيم
أنكر الجنة قلب فــــــــــــــــجر
أهدى النار مومول الجحيم

xxxxxxx

طالما موهت بالفحك فـما
غير التمويه رأيا لك فيـما
كلما تنظر في ميني تـسرى
سرى الغالى ومعناى الخليا
وترى في عمق روجى زهـرة
قد سقاها الحزن دمعاً أبديا
ويراه الناس طلا وتـسرى
أنت دمعاً غائما في مقلتيـما

XXXXXXXX

يا فؤادى ماترى هذا الغروب
ماترى فيه انهيار العمر؟
ماترى فيه لربنا ذا شحوب
يتلاشى في خفم القـسـدر؟
ماتراها اتادت قبل المغيب
ورمت من مرثها المنحـدر
لفتة الحسة للشط القريب
قبل أن تسلط خلف النـهـر

XXXXXX

يا فؤادى قاتل الله الفجر
ومذاهى بين حل وسطـر
ماترى قنطرة من بعدهـما
راحة ترجى وبال يستقـر
ذلك الجرح وما أفدحـه
مأمله لو الى السلوى مـبر
قد طواه اليوم فى بردتـه
وأتى الليل عليه فانفجـر

XXXXXX

مر بيومى فارها منك ومــــــســن
أمل اللقيا لما أتعى يومــــى
أنت بيومى ، وغدى أنت ، ومــــنا
من زمان مر بهى لم تك همــــى
آه كم ألدو يـفيرا ، حاجتــــى
لك كالطفل الى رحمــــة. أم
ولكم أكبر بالحب الــــى أن
أغتدى مستشرنا آفاق نجم

xxxxxx

أى سر ليك انى لــــست أدري
كل مافيك من الأسرار يــــغــــرى
خطر يناب من مفسر شــــغــــر
فتنة تعمف من لفته نحــــر
قدر ينسج من خلسة شــــغــــر
زورق يسبح فى موجة عــــظــــر
فى غباب فامض التيار يجــــرى
واصلا ما بين مينيك ومــــســــرى

xxxxxx

ذات ليل والدجى يغمرنــــنا
أترى تذكر اذ جزنا المدينــــة؟
كلما روعت من نار شــــج
حر ما يعلى تلمست جبينــــه
بيد شفاة مثل الندى الرطــــب
تعيد النار بردا وسكينــــه
أيها الآسى لنارى هــــذه
مالدى تمتع بالنار الدفينــــه؟

xxxxxx

أخيلاً كان هذا كـــــــ
ذلك الجسر الذى كنا عليــــه ؟
والمعابيح التى فى جانبــــه
ذلك النيل وما فى شاطئــــه ؟
وشعاع طولت فى مائــــه
وظلال رسبت فى فطــــه
وحبيب وادع لى ساعــــدى
وومود نلتها من ثفتيــــه !

XXXXXX

رب لحن قى فى خاطــــرى
قصة الحادى الذى قنى مهــــاده
وكان الممت منه واحــــه
هيات من مشبها الرطب وســــاده
هانا عدت الى حيث التقيــــنا
فى مكان رفرفت فيه المعــــاده
وبه قد رفرف الممت عليــــنا
ان فى صمت المعين عبيــــاده

XXXXXX

رفرف الممت ولكن اقبلــــت
من اقاص السهل اعداء بعيدــــه
تتهادى فى عباب ماحــــر
مرسل للشط امواجــــه
كم نداء خافت مبتــــد
تشتى اذن الهوى ان تستعيــــده
عاد منسابا الى اعماقــــه
هامسا فيها بأعداء جديــــده

XXXXXX

رفرف الـمـت ولـكـن هـاـهـنـا
كل ما فيك من الحـن يـقـنـسـي
آه كم من وتر عـلـيـسـي
مدر مود نوم غاف مـطـمـئـنـسـن
وبه شتى لحن من أسـسـي
وحنين وأنين وتمـنـسـن
رقد العاصف فيه وانـطـسـوت
مهجة العود على صـمـت مـسـرن

xxxxxx

هذه الدنيا هجير كلهـا
أين الرفاء ظل من ظلالـك
ربما تزخر بالحـسـن ومـسـا
في الدمي مهما قلت سر جمالـك
ربما تزخر بالنور وكـمـسـم
من ضياء وهو من غيرك حالـك
لو جرت في خاطري أقصى العـنـسـي
لتمنيت خيالا من خيالـك

xxxxxx

أنا ان فانت بي الدنيا أفـسـي
لشوان رحبة قد وسعتنـسـا
انما الدنيا عباب ضـمـنـسـا
وشطوط من حطوط فرقتنـسـا
ولقد اطلو عليه قلـلـسـا
فارقا في لحظة قد جمعتنـسـا
كلما تـرى المعاني أجلتـسـي
خلف معناها لاسرارك معنـسـي

xxxxxx

ما الذى صلك بها فى الفسـوـاد ؟
ما الذى ان أقمه عنى مـسـاد ؟
طافيا يعمف ممثلا بالرشاد
ظامثا سيمان قسرب ويعـسـاد
ساهر العينين مومول السهاد
ما الذى يجرى لهيبا فى الرمسـاد ؟
ما الذى يخلقنا من عـسـدم
ما الذى يجرى حياة فى الجمـسـاد ؟

xxxxxx

كم حبيب بعدت مهبـسـاؤه
وتبقت نفحة من حبيبـه
فى نسيج خالد رغم البـسـسـى
عبث الدهر وما يعبث بـسـسـه
ما الذى فى خيلة من شعـرـه ؟
ما الذى فى خطه أو كتبـه ؟
ما الذى فى أثر خلفـه
من أفانين الهوى أو عجبـه ؟

xxxxxx

ما الذى فى مجلس يـالـفـه
فقد الحب عليه مومـسـده ؟
ربما يبكى أسى كرسيمـه
ان شأى منه وتبكى الماشـسـدة
ربما نحسبها هـسـست اذا
عائد هـسـلـها أو هـسـده
ربما نحسبها تـسـالـنـسـا
حين تـمـسـى أفراق لعـسـده ؟

xxxxxx

كم أعدت لك سترا في الخفــــــــــــــــاء
وتأرت من عيون الرقيبــــــــــــــــاء
كم أعدت نفسها وانتظــــــــــــــــرت
واستوت موحشة تحت السمــــــــــــــــاء
وهي لو تملك كفا ما فحــــــــــــــــست
كفك الحسوة في كل مســــــــــــــــاء
وهي لو تملك جودا بذلــــــــــــــــت
كل ما تملك كف من سخــــــــــــــــاء

xxxxxxx

رب كرم هذه الليل لنــــــــــــــــاء
فتواثينا له نبغى اقتطــــــــــــــــاءه
وعلى خيمته أســــــــــــــــوده
مربى الجود شرقى الضيــــــــــــــــافه
وجد العرس على بهجــــــــــــــــته
وسناه دون ورد فأفــــــــــــــــاهه
شم وارت يده جنيــــــــــــــــه
وطوته كاساطير الخرافــــــــــــــــه

xxxxxxx

أرج يعبق في أنحــــــــــــــــاءه
حملته نحو مرشينا الرــــــــــــــــياح
كل مظر في ثنــــــــــــــــايا ســــــــــــــــرى
كان سرا مغمرا فيه فــــــــــــــــراح
بالحا من حقة كانت مــــــــــــــــسى
قمر فيها كآماد فســــــــــــــــراح
نتمنى كلما طابت لنــــــــــــــــاء
أن يظل الليل مجهول الصــــــــــــــــراح

xxxxxxx

بأنفادى العمر سطر وانظر سوى
وتبقت ملحة قبل السوى
مالدى يغريك بالدنيا سوى
ذلك الوجه ، وذياك الهوى

صالح جـودت

شاعر العيون الزرق والشعر الذهب

(١٩٧٦-١٩١٢)

أيها الملاح قد أغرقتنس
في محيط الحب قذا واندفاعا
كيف أنتقلت السرى من لجسة
ضيعت منى فحس العمر ضياعا

" صالح جـودت "

" بين الأدب والسياسة "

كان ذلك على الشاطئ الآخر من البحر المتوسط : في تركيا
كان مؤسس الأسرة ومعهدها سياسيا محنكا وأديبا لامعا يجيد الكتابة
بأكثر من لغة ...

كان هذا الرجل هو جودت باشا ...
وكما يقول عنه معجم " المنجد " : (١)
" جودت باشا (١٨١٢ - ١٨٩٤) ولد في لوفجة من ولاية الطونة وزير
عثماني ألف بالعربية والتركية والفارسية .
" من كتبه " تاريخ جودت " ترجمه عن التركية عبدالقادر الدنا وفيه
أحوال الدولة العثمانية ولاسيما أخبار الإنكشارية " .
وقد تزوج جودت باشا وأنجب ليمين وأنجب من أولاد اسماعيل جودت وشب اسماعيل
وروجه تشغل وطنية وفيرة على الوطن والدين .

xxxxxxxxxxxx

كان اسماعيل جودت أحد أحرار الترك الثوار ... وكان خطيبا مفوها وأديبا
لامعا ووطنيا شائرا وشاعرا رقيقا ينظم الشعر بالتركية والفارسية وقد
لعب دورا بارزا وهاما في مقاومة السلطات الحاكمة في بلاده فاهبطه ولاحقته
السلطات بشتى ضروب الاضطهاد والتشريد والعنت ، وكانت مصر وستظل ملجأ للأحرار في
كل مكان وزمان ، فشد رحاله اليها واستقر بها واتخذها وطن له وبرغم أرومته
التركية الا أنه أحب مصر وشارك في أحداثها وانفعل بقفيتها وتحمس لها
وعمل بالمحاماة

(١) المنجد / الأعلام / بيروت / ص : ١٤٤ .

والظاهرة الملفتة للنظر أن جل شعرائنا الذين كانوا من أصل تركي كالمشمري وشوقي وصالح جودت كانوا من أمدة الشعراء وطنية وتغنيا بحب مصر والمناداة بحريتها واستقلالها ، وفي تلك الحقبة كان متزوجا من سيدة تركية .

وعندما شبث الثورة العربية (١٨٨٠ - ١٨٨٢) انفعل بها وشارك في أحداثها ولعب دورا بارزا وفعالا في مقاومة الخديوي والانجليز ، فقد ساء ماوجده ممن الأحوال السيئة التي تشهر الأسى ، والمظالم التي ترتكب .

ولكن القوى الاستعمارية والرجعية تألبت على تلك الثورة القومية الوطنية فشاء الله أن تخذل وتبغض على الثوار الأحرار وسبق اسماعيل جودت الى المحاكمة ثم قضى عليه بالنفسى الى " البحر الأبيض " بالسودان لمدة ثلاث سنوات (١) .

ولكن السلطات آثرت ابعاده الى تركيا ليكون تحت العيون والأرصاد خشيعة أن يشهر شائرة الناس في السودان على الانجليز والخديوي ، فنفى الى اسطنبول .

وفي اسطنبول ولد ابنه كمال الدين جودت عام ١٨٨٢ .

وفي حوالى عام ١٨٩٦ عاد اسماعيل جودت الى مصر مرة أخرى بصحبة ابنه كمال الدين الذى لم يكن يتجاوز الرابعة عشرة من عمره ، ورأى أباه وهو يتحمل صابرا التشريد والعذاب في سبيل الوطن والحريية ، فشب على كره للاستعمار منذ نعومة أظفاره .

واستأنف اسماعيل جودت اشتغاله بالمحاماة .

وورث كمال الدين جودت عن أبيه حبه للقراءة والاطلاع ، فقرأ من مكتبة أدبية أمهات كتب الأدب العربى القديم مثل مقامات الحريري والأغانى والأمالى وغيره من شوامخ كتب التراث ، كما قرأ دواوين الشعراء الفحول من أمثال المتنبي وأبى تمام والبحترى وعمل كمال الدين مهندسا زراعيا ، فكاد لا يكاد يستقر في بلده واحد بحكم ظروف عمله . وفي عام ١٩٠٨ تزوج كمال الدين من سيدة من أسرة علم

(١) عبدالرحمن الرافعى / الثورة العربية / ص : ٤٩١ .

كان والدها الشيخ عبدالرحمن من أصل تركي ووالدتها من أصل مغربي
كانت سيدة مؤمنة تلبية صافية القلب هادئة الطبع
وكان كمال الدين عذب الروح حلو الفكاهة يعشق الفن والأدب والجمال ويكتسب
شعرا رقيقا في الحب والغزل وقد نظم "جغرافية مصر" بالزجل وصدر في كتاب ،
ومن شعره قصيدة يصف فيها رقمة بالينة رائعة أشارت إعجابه ، فرسم هذه
اللوحة الشعرية الجميلة المعبرة عن تلك الرقمة عام ١٩١٢م بعنوان " وصف بال "
يقول فيها :
راقصات عاريات في ضياء الكهريساء
ناظرات قاتلات لنفوس الأبرياء
ماشيات بقدود كفصون في هواء
قادمات كنسيهم طائرات في الفضا
راجعات كنجوم تائهات في الجواء
ماثلات دون سكر لأمام وورا
سالبات لأعبات بعقول العتلاء
ليس هذا الخلق شأن الخلق من طين ودماء
إنما هذا مصاغ من لجين وصفاء

وكان كمال الدين يملك الكثير من الغياص والثروة ، ولكنه كان شامسا
أراد أن يتمتع بنفسه ، فبدد أكثرها قبل وفاته

" طفولة شامس "

كان كمال الدين جودت - كما قلت - كثير التنقل والترحال من محافظة لأخرى بحكم وظيفته كمهندس زراعى

وفى مدينة الزقازيق بمحافظه الشرقية كان مولد شامسنا

وكان والده يعانى سكرات الموت بالمستشفى وأرادت والدته أن تسميه " عبدالرحمن " تيمنا باسم أبيها ، فكان لها ما أرادت ..

وفى اليوم السابع من مولد شامسنا صنع الأطباء معجزة أنقذت الأب من الموت بأعجوبة ، وأراد الله أن يمد فى عمره

وخرج الأب من المستشفى ليثير معركة كبيرة حول الطفل الصغير الذى اسمه عبدالرحمن والذى يجب أن يكون اسمه صالح تيمنا باسم شقيق له كان لامعا فى دولة الأدب والقانون يومئذ وهو المرحوم المستشار صالح جودت (١) وكان للأب ما أراد ...

ومدر اعلام شرمى بتغيير الاسم الى صالح جودت ثم مالبت الأسرة أن انتقلت الى القاهرة بعد سبعة أيام فقط من مولد الطفل الصغير ...

xxxxxxxxxx

كان للأسرة بيت بمصر الجديدة تله حديقة خضراء جميلة

وفى طفولة شامسنا المبكرة كان يسمع أباء وهو ساهر فى الحديقة بالليل ، وحوله نفر من أصحابه ويقرأ عليهم من الشوقيات ، إذ كان ملتونا بشوقى ، وكان يعبه سيد القدامى والمحدثين .

(١) من مؤلفاته : آمة الملايو (١٩٠٨) ومصر فى القرن التاسع عشر (١٩٢١) ، وترجم الكثير من القصص منها " كيد الغانيات " و " جهاد القلوب " تأليف لويز أيتو ومسرحية " الايمان " تأليف أوجين بريو (١٩١٤) وترجمات جوستاف لوبون توفى عام (١٩٦٨) عن الثمانين .

وفى هذه السن المبكرة ، أعجب شاعرنا جرس الشعر الذى يصفه كل ليلة ، فشرب
موسيقا الشعر وأنغامه منذ نعومة أظفاره .
وعندما استطاع الطفل أن يقرأ بدأ يقرأ مقامات الحريرى وهو فى العاشرة ،
وأعجبه الصنعة فى هذا الكتاب .

ثم بدأ يقرأ الشوقيات حتى حفظها جميعا وهو فى الثانية عشرة ، وظلت
موسيقاها حتى أصبح وظل طفلة حياتـــــــــــــــــه يؤمن بأن الشعر هو أول ما يكون موسيقا
وأن على من ينظم الشعر إذا لم يحسن الموسيقى أن يهجر الشعر الى النثر
وكان الابن تختلف مع أبيه فى كثير من أسس الأدب ، كان الأب يعجبه شعر حفنى
ناصر ومائشة التيمورية وفيهرهما من معاصريه . وكان الابن شغوفا بلادب الحديث
ورواده الجدد والتقى الاثنان عند رأى واحد فى أمير الشعراء ، شوقى ، وبدأ
شاعرنا بمحاولات بسيطة لنظم الشعر ولكنه استمر وبدأ يترنم بالشعر منذ طفولتيه
المبكرة وهو دون العاشرة ، وكانت أشعاره وقتئذ تتسم بالموسيقية والرقية
وهذا هو السر فى احتواء شعره على قدر كبير من الموسيقية والرقية والعدوبة
نتيجة قراءاته لشوقى فى سن مبكرة .

وعندما لقي كمال الدين جودت وجه ربه فى يناير ١٩٥٢م كان قد أصاع كبل
ثروته ولم يترك شيئا وراءه ولكنه ورث صناعة القلم لابنه ، وهو أطيح ميراث ..

xxxxxxxxxxxx

اختلف صالح جودت الى مدرسة انجليزية فى مصر الجديدة وكان فى تلك الحقبة
مرحبا كثير الحركة والمداعبات وله ذكريات طريفة من طفولته المبكرة .
من ذكرياته المبكرة أنه كان يكسر عدادات النور والمياة ويشعل مجموعة من
الحرائق ، وكانت بالمدرسة مدرسة انجليزية حسناء شقراء من موظفات المدرسة ...
كانت وقتئذ فى العشرين من عمرها وكان صالح لم يتجاوز السابعة من عمره ...
ورغم فارق السن الكبير الا أن الشاعر العاشق الصغير الفتون . هامر بهما
حبا ونظم فى حبها عشرات الأبيات من الشعر الغزلى الألفاظى يبهشها حبه ونجواه
ومواطفه الشبوبة .

وعلمت بمواطنه نحوها ، فأولته اهتماما وشجعتة وظلت تلك الحساء المثقلة
هي المثال الحي للجمال في رأى شاعرنا ثم التحق بمدرسة الغرير بعد ذلك ...

ثم التحق بمدرسة مصر الجديدة الابتدائية وقاسى الأمرين من معا ناظر
المدرسة التركي بايزيد أفندى لشقاوته

XXXXXXXXXXXXXXXXX

ثم ظفر صالح جودت بالشهادة الابتدائية وعمره عشر سنوات
وعندما وقف لأول مرة في طابور الصباح بالسنة الأولى للمدرسة الثانوية نادى
ناظر المدرسة اسمه وقال : ان هذا التلميذ هو أصغر من نال الشهادة الابتدائية
في تاريخ هذه الشهادة ...

واسكرت هذه الكلمات الشاعر الصغير ، وكانت نتيجة هذا أنه تعثر بالسنة
الأولى لمدة ثلاث سنوات متمثلة

كان شاعرنا الصغير العاشق يقضى جل وقته في مسارح عماد الدين ومسارح
روفي الفرج وكانت كثيرة

ولى هذا الجو الساحر المطعم بألوان الفن وسحر الأدب والجمال شرب النغم
وتعرف على مشرات من النقاد والممثلين والمؤلفين والمطربين والمطربات ...

كان يسهر الليل ولا يعود الى البيت الا قبل الثانية صباحا ...

أصبح الشاعر الصغير المفتون بوهيميا ...

واندفع في هذا التيار الساحر بلا وعى ...

ولكن حدثت معجزة أنقذته من الانسياق في هذا التيار الساحر الجارف ...

قرر والده وكان يعمل وقتئذ مهندسا زراعيًا بالمتصورة أن ينثره من جو
الطاهرة ولياليها ويلحقه بمدرسة المتصورة الثانوية لعله يفلح .

واتجه صالح جودت الى المتصورة عام ١٩٢٧ الى المدرسة الثانوية ليلتحق بها ..

ونجحت المحاولة ...

ومرة أخرى أصبح دائما ترتيبه الأول على لرقته كل سنة

" في المنصورة "

وفي مدرسة المنصورة الثانوية ظهرت موهبته الحقيقية في نظم الشعر وبالرغم من بساطة ما كان ينظمه إلا أنه كان يعد ارهاصات لما سيأتي بعد من مولد شاعر كبير..

وكان ينظم في المدرسة قصائده ويقرأها على التلاميذ والأساتذة ...

وحدث أن جاءت فرقة يوسف وهبى الى المنصورة ، واستضافته المدرسة هو وأعضاء فرقته ، وقال صالح في تحية الفنان الكبير قصيدة منها هذان البيتان :

هذب نفوس شبيهة ليخلق أحبوج ماتكسون
فالخلق ان بلغ الكمبال بأمة ، هدم السجون

ويبدو أن القصيدة قد أعجبت المحتفى به ، فأخذها منه ونشرها في إحدى مجلات القاهرة الكبيرة

وفي العام نفسه ، قرأ في مجلة " الصباح " وكانت يومئذ من أشهر المجلات الفنية والأدبية مقالا يتهم فيه كاتبه على أم كلثوم ، وكان نشأ على حب فنهما ، فامتشق قلمه ، وكتب مقالا طويلا دالعا فيه من أم كلثوم وبعث به الى المجلة ، التي نشرته تحت عنوان " بقلم الأستاذ الكبير صالح جودت " ...

ومنذ يومئذ ، لم ينقطع من مراسلة هذه المجلة ، سواء بالشعر أو النثر ، ومن هنا بدأ اتصاله بالصحافة الفنية والأدبية التي برع فيها وأجاد ...

xxxxxxxxxxxx

وفي المنصورة في الفترة (١٩٢٧ - ١٩٣١) كانت المنصورة خميلة شعرية جميلة يغنى فيها شاعر الأطلال ، ناجى ، وشاعر الجندول على محمود طه ، وشاعر الأعراف الهمشرى

وكان هؤلاء الشعراء يجلسون على شاطئ النيل بالليل يسمرون في شتى ألوان الأدب والفن والجمال

وكان الأربعة يحلوا لهم الالتقاء عند "مخبرة الملتقى" ويستوحون منها
أجمل الشعر وأعذبهم ...

ومن المنصورة بدأ صالح جودت يتصل بعحف ومجلات القاهرة وتبلورت اتجاهاته
الشعرية في تلك الحقبة ، فقد بدأ يتجه شعر الحب والغزل يجذع فيه
أيما إبداع .

وكان الشعراء الأربعة تجمعهم أواصر الشعر ووشاح الشباب وعبادة الجمال
وروح الثورة على القديم .

وفي المنصورة بدأ الحب يتسلل الى قلبه ... فأحب ملكة جمال المنصورة
حينئذ واستوحى منها عدة قصائد غزلية منها قصيدته " تسورى " التي
يقول فيها :

قلت لها تسورى	يافتنة المصور
تسورى حكايته	في حبك المحيّر
حكايته كأنه	خرافة المعمّر

وصالح جودت هو ابن المنصورة ، فقد تفتح شبابه الفضل على صفائها الفيح
وعرف بين ريوها هذا الحب العاصف المزلزل الذي أوحى اليه بأعذب أشعاره ...
وأنجز شاعرا دراسته الثانوية وانتهت أيام المنصورة الحلوة واتجه
الشعراء الأربعة الى القاهرة في عام واحد ، هو عام ١٩٣١م كل الى وظيفته ودراسته .
ودع صالح جودت المنصورة وفي قلبه حشرات على فراق مهد الصبا ومدينة
الحب والجمال والشعر والخيال .

ودعها بقلب مشوب يتعسر على لياليها الشاعرية الساحرة :

آه مما بي ، وهل تدرين ما بي	يوم ودعتك ودعت شبابي
أين أحلامي على تلك الروابي	ذابت الأحلام في قلبي المذاب

ويسترجع ذكريات الجمال في مدينة الحسن والجمال حينما كان يشتهب بعينيّه

شوارد الحسن على فلانها الخفسر :

مادعما لحنى ولاغنى نشيـــــدى
فير فاداتك فى الخطو الوثيـــــد
حين يخطرن على النيل السعيـــــد
بالوجوه السمع كالنور المـــــذاب
يتهادين بمعسول الدعـــــاب
آه معا هى وهل تدرين ما بـــــى
يوم ودعتك ودمت شبا بـــــى

ثم يسودع محبوبته فيها ، فيقول :

لى حبيب فيه أفديه بعمـــــرى
سفرة النيل على خديه تجرـــــى
هو الهامى وأحلامى وشعـــــرى
ونعيمى بين مينيـــــه وسكـــــرى
كان عند الليلة الظلماء بســـــدى
وله نجواى فى دنيا اغترابـــــى
ياترى يذكرنى بعد الغيـــــاب؟

وظل شاعرنا يحمل لمدينة المنصورة أجمل الذكريات وأطيبها طيلة حياته ، المدينة
التي راق فيها رحيق الحب والوصال وتشربت روحه من جمالها عبادة الحسن
والجمال .

" مع جماعة أبوللو "

التحق صالح جودت بكلية التجارة جامعة القاهرة عام ١٩٣١م ، وفي هذه الفترة قامت جمعية " أبوللو " عام ١٩٣٢م برئاسة أمير الشعراء أحمد شوقي والدكتور أحمد زكي أبو شادي .

ويضم الركب القادم من المنصورة الى تلك الجمعية وهكذا التفتوا حول رسالة أبوللو .

ووجد صالح جودت نفسه وهو دون العشرين ، عضوا بمجلس ادارة الجمعية ، فمثلا للشباب ، يجالس كبار الشعراء والأدباء ...

ثم نسبت المعركة بين مدرستي شوقي والعقاد ، فيهب صالح جودت مدافعاً عن شوقي ، مهاجماً خصومه بعنف وقوة .

وتشهد صفحات أبوللو لمناشد الشاعر الشاب العاشق وتدور حول الحسب والغزل والحيرة والقلق ...

في عدد أول ابريل عام ١٩٣٣م يجد له قصيدة غزلية رقيقة لم يتجاوز العشرين بعد بعنوان " الشارد " يقول فيها : (١)

أيها الشارد عن وكر الهوى
قد عفا من بعدك القلب وذاب
كنت لا أشهد الا نغمة
فاذا النغمة قد أمت يباب
كنت لا أسمع الا بلبل
فاذا الشادي على الأيك شراب
كنت لا أشرب الا خمرة

فى كئوس قد ملئت اليوم صباب
كنت لى ياتاركى فى لوعتى
أنت والألحان والكأس وطــــلاب

xxxxxxxxxx

لست أنسى فى حياتى ليلــــة
أنمفتنا بعد ما طال الغيــــاب
قربت منا فما نحو فــــم
وتقفت بين لــــوم وعــــباب
وسكون الليل أذكى شجونا
وظلام الليل مسدول النقباب

xxxxxxxxxx

لك شعر ذهبى ساحر
ضاع فى موجاته قلبى وذاب
لك خدان تهبت فيهمــــا
حمرة تنساب من قلبى المذاب
والعيون الزرق من فوقهمــــا
رائحات غاديات كالسحاب
حين قالوا ان آلام الفتى
ليس يفنيها من الدهر الذهباب
خفت هذا العيش أن يعضى بنــــا
أو بعيد الشيب أهوال الشبــــاب
مشغلا بالصب من آلامــــه
أن يفيح العمر فى هذا العــــذاب

ومن نفس الملهمة صاحبة " العيون الزرق والشعر الذهب " وكانت ممثلة
جهيرة أحبها أكثر من شاعر وأديب منهم ناجى وأحمد عبد المجيد وأحمد راسم

استلهم صالح جودت قصيدة أخرى بعنوان " العيون الزرق " نشرت في أبوللو
يقول فيها : (١)

عين من يهواك تشتاق الكــــرى
قلب من يهواك يشدو بالحنين
هل رأيت الدمع من عيني جرى
هل سمعت القلب موصول الانين

xxxxxxxxxxxx

يا شقيق الزهر والطير... اما
سألت نفسك عن أخويك
أنا في روثك أروييه بمــــا
فاض من دمعى مدى العمر عليك

xxxxxxxxxxxx

أزرع الآمال في روث هــــواك
وأرويها بدمعــــى ودمــــى
فإذا ما عدت ألفت نــــواك
في ثنايا الروث بينى ما تمى ؟

xxxxxxxxxxxx

أيها الهاجر من فير سبــــب
لو نجاني أنا راض بجفــــاك
العيون الزرق والشعر الــــذهب
الجانى يا حبيبى لهــــواك

وفي تلك الحقبة كان يعانى - كشاب في مطالع العمر - من الحيرة ،
والقلق والشك في كل شيء ومكن تلك الأحاسيس والانفعالات في عدة قصائد منها

(١) أبوللو / سبتمبر ١٩٢٣ م / ص : ٦٠ .

قصيدة " على الرمس " التي يقول في مطلعها :

قمت في الليل أناجى مفعجك

ليتنى في الرمس أميت معك

وقصيدة " أكذوبة الموت " التي يقول في مطلعها : (١)

قد حرت في الموت ولى أمره

ومازواه الله من سره

وتبلغ ذروة الشك والتمرد في نفسه في مطولة بعنوان " الراهب المتمرد " (٢)

استخدم فيها الشاعر الأسطورة Math ' والرمز الفني في إبراز فكرته وهي عبارة من حوار فلسفي طويل في دير بين راهب متمرد شاك في جوف الغلالة وبين كاهن الدير الذي يناقشه ويرد عليه ويحاول اقناعه .

وكان هذا الشك من الشاعر الشاب وهذا التمرد على كل شيء باعثا على حملة ضارية من الشيوخ ، فهجر شاعرنا الشعر حيناً ، ولكنه سرعان ما عاد يغرد مرة أخرى ، عاد اليه هذه المرة بعد أن ازدادت قراءاته ، وتعمق فيما يقرأ ، ولا سيما في أدب التصوف والمتصوفين ، فعاد الى الله قوى الايمان ، مفرطاً في الحب لذاته ، رغم فلسفته القائلة بعبادة صور الحسن وبدائح الجمال للتقرب من الله ...

وفي عام ١٩٣٤م نشر شاعرنا عدة قصائد عاطفية منها قصيدته " رمس الهوى " في فبراير (ص ٤٩٣) وفي نفس العدد قصيدة ماضية (ص ٥٠٣) وفي عدد أول ابريل قصيدة " القصيدة الأخيرة " (ص ٦٨٥) . وكتب الدكتور ابراهيم ناجي يقول من صالح جودت بعد الحملة العنيفة التي تعرض لها بسبب جراته (٣) .

(١) أبوللو / ص : ١٢٥ / أكتوبر ١٩٣٣م .

(٢) أبوللو / ديسمبر ١٩٣٣م / ص : ٢٩٣ - ٣٠٣ .

(٣) أبوللو / ديسمبر ١٩٣٣م / ص : ٣٠٣ .

" صالح جودت هو أحد الشعراء المجددين الجزئيين ، الذين لا يبالون في سبيل الحرية الفكرية بأى حقبة ولا حائل ، وهو لذلك ماضى إلى الأمام دائما ، مفطرد التقدم .

" وعقله الخصب ، ونبله الوافر ، كليلان بأن يغمما له سبعا وتجليه في الميدان الذى اختاره لمواهبه الكبيرة " .

xxxxxxxxxxxx

ديوان صالح جودت :

صدر أول ديوان لشاعرنا في بداية عام ١٩٣٤م وهو لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره بعنوان " ديوان صالح جودت " .

وكان تجربة أدبية مبدعة استقبلها النقاد بحرارة وحساس...

وقد تميز شعر هذا الديوان بالموسيقا الهامة وخلوة الجرس والطلاوة ويحتوى على قصائد مفعونها يغلب عليه روح التمرد والشك والتساؤل والحيرة لشاب فى عنوان تفتحته وما يدور فى النفس من هواجس وتساؤلات كما يشتمل على قصائد عاطفية ملتهبة يبلغ فيها أقصى غايات الإبداع والعذوبة .

وقد كتب الشاعر الدكتور أحمد زكى أبو شادى مقدمة للديوان أشاد فيها بالشاعر الشاب وبين نواحي الإبداع والتجديد فى شعره وأصالته المتميزة ، فقال عنه : (١)

" ان صالح جودت بفطرته شاعر فئاض حساس ، خلو العبارة ، فيض العاطفة ، جياش بالمعاني العذبة الرقيقة ولكنه الى جانب ذلك الشاعر الوطنى والشاعر الفلسفى حينما تشيره ظروف خاصة فترى فى ذلك الشعر الحيرة والاضطراب والآمال والآلام المتغلغلة فى مشاعر هذا الجيل " .

(١) ديوان صالح جودت / مقدمة أبو شادى .

كان هذا رأى الدكتور أبو شادي فى شاعريته صالح جسودت وقد تبين
منذ تلك الحقبة اتجاهات صالح جودت الذى جمع فيما بعد بين
العاطفية والوطنية فى مزاج جميل خاص .

وقد أهدى شاعرنا الديوان الى ملهمته الاولى صاحبة
" العيون الزرق والشعر الذهب " .

وقد كان هذا الديوان بمثابة مولد شاعر جديد له أثره
المتميز فى تطور شعرنا العربى المعاصر .

" ملامح شخصية "

من أبرز ملامح شخصية صالح جودت المدق والمراحلة والوضوح . هذه الصفات كانت هي السبب المباشر في كثرة معاركه ومساجلاته الأدبية ...

وقد صور مشاعره وعواطفه وأحاسيسه في شعره بصورة نابضة بالصدق والمراحلة وأبرز هواجس نفسه وما يعتل فيها من صور الهوى والهدى بصورة صريحة .

وقد سافر صالح جودت الى كثير من بلدان العالم ، فقد أحب السياحة والرحلة وقد كان لهذه الرحلات والأسفار زاد نفيس أمد أدبه بغنى جديد من المشاعر والأحاسيس وكان من نتاج ذلك كتابه في أدب الرحلات " قلم طائر " .

وهو عاشق مفتون بهيم بالحن والوان الجمال لأنه جذوة من الوجدان .

ونفسيته مشرقة واضحة تلمس ملامحها في أشعاره التي رسم فيها صورة لنفسه وأفكاره ومشاعره .

xxxxxxxxxxxx

قرأ صالح جودت في صباه ويطامته الكثير من أمهات كتب الأدب العربي القديم مثل الألفاني ومقامات الحريري ودواوين المتنبى والبحتري والشريف الرضي وفي الحديث والشوقيات التي حفظها من ظهر قلب .

وفي فترة المنصورة (١٩٢٧ - ١٩٢١) استوعب مع رفاقه شعر شيللى وكيتس ووردن ورث وبايرون وفن شعرهم وأغرم في بداية حياته الأدبية شعر الطبيعة في الأدب الانجليزي والأدب الفرنسي واستهواه بصفة خاصة الشعر الرومانسى واستوممه ثم أصبحت الرومانسية من أظهر سمات شعره .

فهو شاعر رومانسى حالم مجنح يتغنى بالحب والجمال ويعبر عما يجيش بنفسه بمدق وحرارة .

xxxxxxxxxxxx

وقد نال صالح جـودت بكالوريوس كلية التجارة عام ١٩٣٧م ثم ظفر
بالمجستير عام ١٩٤٩م وكان أول دبلومه وكانت رسالته بعنوان
" الدولة المثالية في الاسلام " .

وقد عمل فترة في الديوان الاقتصادي ببنك مصر ثم مال به
أن تفرغ للأدب والشعر والمقالة الأدبية والفنية والسياسية .

" شاعر الحب والجمال "

لا شك أن شعر صالح جودت العاطفى نسيج وحده فى شعرنا العربى المعاصر، فهو منفرد بأهالة خاصة وسمات معينة وقد وصل الى ذروة الكمال الفنى فى السنوات الأخيرة ...

وقد صور صالح جودت مشاعره وأحلامه وعواطفه فى شعره أعظم تصوير وأصدق ورسم خفقات قلبه وأهواءه بأمانة وحرارة وصدق ، فبرز شعره رفيقا شجييا ...

وقد طرق شاعرنا موضوعات لم يسبقه قبله شاعر فى طرقها وأبدع صوراً جديدة وفريدة هى ثروة فى قاموس الوجدان فى شعرنا العربى المعاصر ، فأتسم شعره العاطفى بالبساطة والغنائية والصدق .

لقد أجاد شاعرنا التعبير العاطفى Emotional Expression فى شعره وأضاف لشعرنا العربى الكثير من المعانى والتعبيرات الجديدة المبتكرة ...

من أجمل قصائده العاطفية وأرقها قصيدة " فى جزيرة معك ، التى تبين رومانسية شاعرنا الحاملة وفيها يود لو غاب هو وملهفته بعيدا عن الناس حيث النجوى والوصال بين الطبيعة الساخرة وفى جزيرة ناشئة ، فيناجيهما قائلا (١) :

ان تسلىنى يا حبيبى
أى حلم أشتهيه
فهو أن ألقى عملى
فى فراغ أنت فيه
فمتى تأمرنى أن أتبعك
وأغنى فى جزيرة معك

ثم يصور لنا جوا عاطفيا مشحونا بالظلال والشاعرية ، صور

لنا فيه صورة شاعرية جميلة للقاء العاشقين وخلقات قلبين وهمسات روحيتين
يتناجيان :

أسأل الليل إذا الليل دنسا
ببدره المشرق أم بدرى أنسا
المنى والسحر والعطر هنا
والهوى والكأس والليل لنسا
وأنسا بين يديــــــــــــــــك
أجتنى من شفتيــــــــــــــــك
رشفة منك الــــــــــــــــيك
وأوى فوق مدرى مضمــــــــــــــــك
وأغنى فى جزيرة ... معــــــــــــــــك

ثم يواصل رسم اللوحة الشاعرية المبدعة فى صور شعرية
متتابعة متناقة :

العصافير التى توقظنا عند الصباح
والأزاهير التى تسكر أنفاس الرياح
والمزامير التى تهتف بالحب المباح
والمقادير التى تجهل ألوان الجراح
كل هذا الحسن يدمونى هــــــــــــــــنا
أى شىء لك فى تلك الدنــــــــــــــــا؟
لاتجيبها وأجب قلبى أنــــــــــــــــا
واسأل الأقدار هى أن تجمــــــــــــــــك
لأغنى فى جزيرة معــــــــــــــــك

ومن أجمل قصائده العاطفية المعيدة " الملاك الأبيض " التى يقول
فيها :

بأملأكى نشر الليل غلالات الظــــــــــــــــلام

فافتح قلبك للأحلام والنجوم ونامسى
واتركينى فى اشتياقى واحترامى ياغرامى
جئت أستشلى من الحب فضاغت سقامى
ثم يستثير قلبها لتعفو عنه وتعود اليه :

يا ملاكى سامح طيشى ورقى لجنونى
واغفرى الماضى وما يوحيه من سود الظنون
وارحمى فعلى إذا ما شئت ألا ترحمينى
هل ترين اليوم الاك خيالا فى عيونى

xxxxxxxxxxxx

وهذه قصيدة من شعره الغزلى الرقيق ، وهى تعبير من وجدان شاعرنا ،
وتموير لأثر الحب فى نفسه وفيها تجديد فى الروح والمضمون وهى تعبير
من تجربة عاطفية مع ملهمة يقول فيها : (١)

والضحى والغداثر الذهب
والعيون الشهباء كالسحب
ونجديك كأس العنب
وبنهديك حلو العنب
قسم سنته من الكسب

xxxxxxxxxxxx

ذكريات اللقاء لم تنم
يقظات فى مهجتى ودمى
مردات فى نظرتى وفهمى
لمحققى وحق ذا القسم

هل تعيدنين ليلة الهرم ؟

ثم يصف ليلة الهرم التي سعد فيها مع محبوبته فلى
ظلال سيدنا أبو الهول :

ليلة كابتامة القــــدر
كنت فيها أحلى من القمــــر
جمعتنا بجانب حــــدر
من أبى الهول ساخر النظــــر
ليت لى مثل قلبه الحجــــرى

xxxxxxxxxxxx

قد رأنا بطرف مقلتــــه
تنقش العهد فوق رملتــــه
بالجهل المبــــا وظلتــــه
ومرور الهوى وغفلتــــه

ثم يناديها ويناشدها الرحمة به وبقلمه المفتون :

علمى الرلق قلبك القاســــى
ذكرى بى فؤادك النــــاسى
ملا الحب بالفنى كاســــى
فارفنى سامة باحساســــى
أنا ماعدت فىر أنفاســــى

" شعر الغزل الحسى "

ماغ صالح جسودت كثيرا من عواطفه وأحاسيسه بصدق وصراحة وبجانب ما أبدعه
من شعر الحب والغزل العفيف نجد فى الجانب الآخر صورا شعرية جريئة أجاد فيها
التعبير ومكس فيها التجربة الحسية . / Sessuous expreience فجاءت
أكثر صدقا وحرارة .

ولكنه رسم تلك الصور بلا ابتذال أو إسفاف ، فجاءت فى أسلوب جميل
شفاف .

ان شاعرنا الرومانسى لجأ الى المرأة واتخذها ملاذا ومهربا من قسوة الواقع
وهجير الحياة بجمالها وسحرها عليه ينسى أحزان روحه مثلما فعل الشاعر المدلل؛
اللورد بايرون .

فشاعرنا دائما كان يشكو الظما الى حنان المرأة وحبها ، ويود لو أصبح
ملاحا فى بحار الحب والجمال ، ليرتوى بعد ظمأ ...

ان قصيدة " ظمآن " التى كتبها وهو لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره
تفصح عن نفسية محبة ماشقة للحسن والجمال يقول فيها : (١)

أجل ظمآن ياليلى وماء الحب فى نهرك
خدينى فى ذراعيك وضمينى الى صدرك
دمينى أشرب النور الذى يشاب من شعرك
وروى لهفة الظمآن بالقبلة من شفرك
هبي لى ليلة أشمل باليللى من خمرك
تقولين : جمعت السحر ياظمآن فى شعرك
وأنت قصيدتى الكبرى وهذا الشعر من سحرك
أيا ليللى رأيت القلب لايسأم من ذكرك

(١) أبوللىو / يناير ١٩٣٤ م / ص : ٣٩٨ .

خيال أنت في لكري نهلا جلت في كـكـرك
كأنى راهب الفتنة يستشهد في ديكـرك
وقد يشرك بالله ، وبالفتة لايشـرك
على أنى عرفت الله لكن حرت في أمـرك
أجل ظمآن ياليلي وما * الحب في نهـرك

xxxxxxxxxxxx

ومن تصائد الغزل الحسى قصيدة " ليلة الوداع " وهى تلحح من مدى ولهة
لجمال المرأة وفتنتها ، يقول فيها : (١)

أسرعى الآن أسرعى
لأت وقت التمتع
لم تعد غير ليالة
من فرام مودع
كنت بشرى وجئت
ومراحى ومرتمى
كم على صدرك الحنون
توسدت مضجع
وعلى ثغرك الحبيب
تخسرت موضع
وحوالى فرحت
وحوالىك أذرع
أن تكونى بهيدة
من ميونى وأدمع
فالهوى ملء غرفت
والجوى ملء أفلع

وبمور فلسفته في الغزل ، وأبيتوريته المنشية المبتهجة بالحياة ،
فيرد على منتقديه بقوله : (١)

ومادروا أن الهوى رحلة
فسي رويق الله الى الشاطئ
الى جنان الله في أرضه
الى جناها العاطر الدافئ
الى صلاة في محاربيها
وخلوة في دهرها الهادي
الى صيام من جمال الدنيا
الاك فسي عش الهوى الهانئ

xxxxxxxxxxxx

ان شعر الغزل الحس عند صالح جودت شعر صادق أصيل ، لأنه كان وليد
تجربة شعورية صادقة امتزجت فيها الألفكار بالعاطفة ، وخرجت الى العاطفة
الانسانية الرحبة وقد صور لنا مشاعره وأحاسيسه وعواطفه بحرارة وصدق
مما أضاف ثروة لشعر العاطفة والوجدان في أدبنا العربي المعاصر.

(١) حكاية قلب / ص : ١٢ .

" شاعر النيل والنخيل "

من أبرز ملامح شخصية شاعرنا وطنيته وحبه لمصر منذ مطلع شبابه المبكر...
وقد جمع في شعره الحب والوطنية في مزاج جميل فهو يعد "شاعر الحسب
والوطنية " .

وقد سار شاعرنا يجمع بين الاتجاه الذاتى العاطفى والاتجاه الوطنى
القومى .

وقد أبدع شاعرنا الكثير من القصائد القومية عبر فيها عن الأحداث الوطنية
والقومية في تعبير فنى عميق لا يعتمد على ضحب الألفاظ وفجيج الكلمات
بل يعبر في موضوعية وعمق عن تلك الموضوعات في شعر مهموس رقيق .

ولشاعرنا مواقف مشرفة في مواجهة الفساد والظفيان والانجليز في فتنة
مقابل ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م .

نشر قصيدة بعنوان " أخرجوا من بلادنا " قبيل ثورة ١٩٥٢م وهي صرخة قوية
في وجه الاستعمار ليرحل عن مصر والا سئينا كثوس الصاب والعلم والهلاك :

أخرجوا من قناتنا فهي منا	والينا وبالجلاء تحلل
ان رفيتم به خرجتم كراما	أو أبيتم فثم روع وويل
أخرجوا من بلادنا واتركونا	واحملوا جندكم من النيل واجلوا

xxxxxxxxxxxx

ولى شعره القومى حين يتحدث عن مصر يتحدث من خلال مواطن الحس والجمال في
ربوعها ، فهو حب عاشق مفتون بكل بقعة من بقاعها والاشادة بغتنتها وسحرها
الأخاذ ...

وفي قصيدة " لبالى الهرم " تتجلى خصائص " شاعر الحب والوطنية " بأحلى
صورها وأدقها ...

فهو هنا يرسم لوحة شعرية جميلة لبقعة من أجمل بقاع مصر تجمع بين
حضارة الماضي التليد وعبقها وعطورها ومن بعيد تظهر مصر الحاضر بكل ما فيها
من حضارة وتقدم انه هنا يرسم صورة حية Living image لنجوى
عاشق رومانسى لمحبوبته فى ظلال الهرم ويستعيد معها أمجاد مصر التليدة
وعظمتها الغابرة : (١)

ياحبيبي نامت الشمس وراء الهـــــــــــــــــرم
وتهادى القمر النشوان بين الظلم
ملكا يختال تيهها فوق عرش الأنجم
وينادى كل لهفان الى الحب ظمى
xxxxxxxx
ها هنا مهد أبى الهول هنا
كاتم الأسرار من عهد منا
هيا الأعلام والنجوى لنا
xxxxxxxx
مبقرى الصمت منذ القدم
لتمتع بليالى الهـــــــــــــــــرم

شميحت محبوبته فى ظلال أبى الهول بأمجاد مصر وحضارتها الغابرة وكيف كانت
مصر على مر العصور والأجيال مقبرة للغزاة :

ياحبيبي هذه الربوة لغز العالميين
رقية من سحر فرمون لصيد الفاتحين
آين قمبيز وأنطونيو وركب الواهميين؟
آين نابليون؟ هل ردت مرفوع الجبين؟
xxxxxxxx
هذه القمة أم القمم
كم طوت ثورتها من أمم
وشدا النيل بخلو النفس

زالت الأملام إلا علمسى
فتمتع بليالى الهرم

ثم يحدث محبوبته من سحر مصر وجمالها فى صورة شعرية جميلة نلمس
فيها نظرة العاشق المفتون بمواطن الفتنة والجمال فى وطنه ومراح السحر
والخيال فى لياالى القاهرة :

ياحبيبي هذه أمجاد مصر الساحرة
كل روح خطرت فوق رباها شاعرة
قف على الربوة فى ضوء النجوم الساهرة
وتأمل فتنة النيل وسحر القاهرة
xxxxxxxx
وسنى البدر على الوادى يعيل
والها يلعب فى شعر النخيل
راقصا فى مسرح الموج الجميل
بشعاع شاعرى ملهم
فتمتع بليالى الهرم

ان قصيدة "ليالى الهرم" تعبر عن اتجاهات صالح جودت الفنية والوجدانية
والروحية أمدق تمثيل وأعمقه وهى تمثل اتجاهه الفنى فى الجمع بين الحسب
والوطنية والغزل فى مباداة الحسن ومباداة الوطن وهذا مادمانى الى تسمية
" شاعر لياالى الهرم " و " شاعر النيل والنخيل " .

xxxxxxxxxxxx

وقد صدرت لشاعرنا ستة دواوين شعرية تمثل التطور الروحى والوجدانى
والفنى لشاعرنا أروع تمثيل وأصدق .

فى صدر شبابه كان شاعرا رومانسيا مجنما ، وقد سيطرت عليه فى فورة الشباب
روح التساؤل والشك والحيرة والتمرد ثم روح الحزن والكآبة والتبرم بالواقع
والقيود والأغلال التى تحد من حركته .

ثم انطلق شاعرنا انطلاقا خلاقة وحطم قيوده وأغلاله واندفع ينهل من مفااتن

الحياة أجمل ماضيها ويغنى لها أجمل أمانيه وأذهبها وفتح قلبه للحياة والنور
والحب ...

وشعر صالح جودت منذ محاولاته الأولى كان شعرا غنائيا وجدانيا رقيقا سواء كان
الوجدان ذاتيا أم جماعيا أم قوميا وقد عكس في هذا الشعر أشواق روحه وترانيم
وجدانه .

وقد صدر أول ديوان للشاعر عام ١٩٣٤م وهو لم يتجاوز الحادية والعشرين
من عمره باسم " ديوان صالح جودت " ثم صدر له ديوان " ليالى الهرم " عام ١٩٥٧م
وديوان " أغنيات على النيل " عام ١٩٦٢م وديوان " حكاية قلب " عام ١٩٦٥م ، ثم
ديوان " ألحان مصرية " عام ١٩٦٨م الذى يجمع بين الشعر العاطفى والشعر الوطنى .
و " الله والنيل والحب " عام ١٩٧٥م .

تلك هى دواوين شاعرنا التى تمثل تطوره الروحى والفنى أصدق تمثيل وأعظمه
منذ عهد أبوللو (١٩٣٢ - ١٩٣٤) .

ان صالح جودت فنان أصيل فى إخلاصه ومذوبة أسلوبه ووحدة بنائه الفنى
فى شعره والتجديد فى شعر الحب والغزل وطرافة صوره الشعرية .

لقد جدد فى الشعر شكلا مضمنا فى الألفاظ والمعانى والأخيلة والصور .

لقد أبدع لنا أجمل أمانيه وأذهبها فى الحب والغزل ورسم لنا صورا فنية
مبدعة رشيقة فنان صادق أصيل يغنى للحب والجمال والوطنية .

" شاعر غنائى حسن لعروب "

يقول الدكتور محمد مندور من صالح جودت : (١)

" صالح جودت شاعر غنائى حسن لعروب .

ولعلنا نستطيع أن نعيّن هذه الخصائص بسهولة فى الجزء الخاص بالعاطفة فى ديوانه " لىالى الهرم " الذى يمثل مرحلة نضجة ، فهو يقم ما قال من شعر منذ سنة ١٩٣٢م حتى ١٩٥٨م ، بينما ديوانه الأول لا يقم الا ما قال من شعر قبل العشرين من عمره ، وان يكن ذلك الديوان الأول قد أثار زوبعة عنيفة من النقد الذى قام به المحافظون من رجال الأزهر الشريف بسبب قصيدة الراهب المتمرد والذى صور فيها راهبا يتعمد على الدين جرياً وراء لذات الحس ، وهذا التيار أصيل فى طبيعة صالح جودت الذى لا يحجم فى ديوانه لىالى الهرم عن أن ينظم قصيدة باسم " دين جديد " هو دين الحب المعرب وفيها يقص قصة عابثة من نوع قصص عمر بن أبى ربيعة فى الحجاز وحول مناسكه .

" وصالح جودت يحدثنا فى استغلاف شعري كيف طارد فتاة من أرز لبنان ذاهبة الى الكنيسة حيث " نحاها ركناً من الدير هادئاً " ليقبلها فيه .

ولغانية من أرز لبنان غفلة
مليبية الأهواء ليس تليين

" ولقد يقول البعض ان فى هذا الشعر مجوناً ومبشاً بالمقدسات ، ولكننا فى الحق لانراه يتجاو المجون الكثير من قصائد الغزل التى يقص بها الشعر العربى القديم منذ امرئ القيس صاحب :

اذا ما بكى من خلفها التفت له بشق وتحتى شقها لم يحول

حتى عمر بن أبى ربيعة الذى كان يترمد الحسان فى مناسك الحج ، ولا يتورع عن أن يشبب تشبيهاً سافراً بشريفات المسلمات .

(١) الدكتور محمد مندور / الشعر المعربى بعد شوقي / ص : ٥٢ : الحلقة الثالثة .

" ونحن لانحس بعد ذلك فى مجون صالح جودت فخورا :

" بل نحن خفة ودعابة ينطبق عليهما ما وصف به نفسه عندما اختتم
مقدمته لديوان " ليالى الهرم " بقوله : وأحسن أن الروح المصرية هى أخص خصائص
هذا الشاعر الذى حدثك عنه " أى صالح جودت نفسه .

" وان تكن الحسية طاغية على ما يسميه صالح جودت فى ديوانه شعر العاطفة ،
وهذه الحسية قد تصيب شعره بالسطحية أحيانا ولكنها لاتفقده قط تلك الأنانية
الأميلة فى شعر صالح ، وفى شخصه على السواء كما أن روحه الخفيفة المرححة
ودعابته المجنحة تخفف من تلك الحسية فلا نرى فيها فجورا ولا تهالكا حتى عندما
يوغسل فى تلك الحسية مثل تصيدته من رقصة الساميين :

ودقت نغمة الجازبند ايدانا بما تملئ
وهل تملئ سوى الرغبة فى ثورتها تغلى
حتى :
كجبريين حبيبين قد ارتدا الى الكل

" ثم يقول مندور من صالح جودت :

" وأما أنه شاعر مابث لعوب يشف عن روح المألونات المصرية (١) ، وما يجرى
فيها من دعابات غزلية عابثة فباستقامتنا أن نجد لذلك أكثر من شاهد فى
" ليالى الهرم " مثل تصيدته " ما اسمك " (ص ٤٩) .

ما اسمك بين الأسامى	يافتنتنى ياغرامى
ان قلت أم لم تقولنى	فاسمك أحلى الأسامى

.....

انى أسميك ليالى	لتبعثنى فى خيالى
ذكرى شهيد فرام	كم مذبته الليالى
حتى : ان قلت أم لم تقولنى	فاسمك أحلى الأسامى

(١) الشعر المصرى بعد شوقى / ص : ٥٥ .

مختارات من شعر صالح جودت

- ١ - في جزيرة ... معك .
- ٢ - أغنية حبيب .

فى جزيرة معك

ان تملنى يا حبيبى
أى حلم أشتهيه
فهو أن ألقى معك
فى فراغ أنت فيه
فمتى تأمرنى أن أتبعك ؟
وأغنى فى جزيرة معك ؟

xxxxxxxxxx

أسأل الليل إذا الليل دنس
بدره المشرق أم بدرى أنا ؟
المنى والحس والعطر هنا
والهوى والكأس والطيل لنا
وأنا بين يديك
أجتنى من شفتيك
رشفة منك اليك
وأمرى فوق صدرى فجعلك
وأغنى ... فى جزيرة معك

xxxxxxxxxx

العصافير التى توقظنا عند الصباح
والأزاهير التى تسكر أنفاس الرياح
والمزامير التى تهتف بالحس المباح
والمقادير التى تجهل ألوان الجراح

كُلُّ هَذَا الْحَسَنَ يَدْعُوكَ هُنَا
أَي شَيْءٍ لَكَ فِي تِلْكَ الدُّنْيَا ؟
لَا تُحِبُّهَا وَاجِبَ قَلْبِي أَنْسَا
وَاسْأَلِ الْأَقْدَارَ بِي أَنْ تَجْمَعَنَّكَ
لَأَغْنِيَنِي فِي جَزِيرَةٍ مَعَنَّكَ

XXXXXXXXXXXX

بِأَحْبَبِيِي ضَمْنِي يَوْمًا إِذَا كُنْتُ بِقُرْبِيِي
تَسْمَعُ اللَّحْنَ الَّذِي تَعْرِفُهُ أَوْتَارَ قَلْبِيِي
أَنَّهُ بِأَسْمِكَ يَشْدُو .. وَعَلَى حَبْلِكَ يَنْهِيِي
وَبِأَحْلَامِكَ يَشْجِي .. وَبِأَلْهَامِكَ يَمْبِيِي

XXXXXXXXXXXX

ضَمْنِي وَاسْمِعْ دُعَائِيِي
فِي مَبَاحِيِي وَمَسَائِيِي
لَا تَمْزِدْ كِبْرِيَاءِيِي
أَنْ أَحْلِيِي أَمْلِيِي أَنْ أَمْتَعَنَّكَ
وَأَغْنِيِي ... فِي جَزِيرَةٍ مَعَنَّكَ

أغنية حسب

لن أناديك يا حبيب النداء لم لأدعو من لا يلبي دعائي ؟
كلما هزنى للقياك شوق صرخت لهفتي وثار ابائي

xxxxxxxxxxxx

يا عذابا هيهات منه هروبي ألتديه بقلبي المشبهوب
كل يوم يمسر دون لقاء هو في شيبنا نذير الغروب
وأنا مهجة تذوب حنانا فاتق الله في حنان القلوب

xxxxxxxxxxxx

يا حبيبي ، ولاتزال حبيبي رغم خولي ، والحب رهن المغيب
آه لما دعا الهوى فالتقيننا بعيون أشواقها من لهيب

xxxxxxxxxxxx

أسكرتنى عيناك نجوى وهمسا أسكرتنى ، وما تذوقت كأسا
بحديث يحرك القلب شجوا ولحافظ تحول الليل شمسا
وجنان معطر بالأمانى كيف أنسى عبيرة ، كيف أنسى ؟

xxxxxxxxxxxx

كيف أنسى جماله إذ دعانى ويداه على حائتيــــــــــــــــان
وعلى راحتيه باقصة ورد تحمل الشوق والرضا والأمانى

xxxxxxxxxxxx

أى شيء يصبو إليه خيالى أنت حققت أجمل الأمال
أنا من فرحتى بقربك أخشى نظرة الغدر فى عيون الليالى
لاتقل لى بعد اللقاء وداعا بل سلاما الى اللقاء التالى

xxxxxxxxxxxx

كم رويت الهوى بدمعة فرحى كيف أرويه بعد هذا بجرحى ؟

بعد حلم الهناء فى كل ليل وجميل الضياء فى كل صباح

xxxxxxxxxxxx

الهوى فاتنى على شاطئيه	آه من ظالم أحسن اليه
وأدارى مواطنى منه حتى	لاأذل الدموع بين يديه
رب ليل بكيت منه فلما	فاتنى ظالمى ما بكيت عليه

xxxxxxxxxxxx

يا حبيبى وأنت فرحة عمـرى
ومنى خاطرى ، وليلة قـدرى
ان مضى حبنا ، فقد ضاع شـئ
منك ، أما أنا ، فقد ضاع صـرى

على محمود طه

شاعر الجندول

(١٩٠١-١٩٤٩)

أيها الهاجر عز الملتقى
وأذبت القلب صدا وامتناما
أدرك التائه في بحر الهوى
قبل أن يقتله الموج مراما
وارع في الدنيا طريدا شاردا
منهضات رقعة الأرض اتساما

(على محمود طه)

" شاعر من المنصورة "

فى عام ١٨٤٠ تقريباً نزحت أسرة من بطون الجزيرة العربية الى مصر بغاية الإقامة فيها . ونزلت الأسرة ببلدة ديسط التى تقع على فرع دمياط بين المنصورة وشربين وفيها أقامت فترة طويلة ثم انتقلت الأسرة من ديسط الى طلخا حيث ولد محمود طه والد شاعرنا ، ثم انتقلت الأسرة بعد ذلك الى المنصورة فطاب عيشهم فيها وقد كان منزل الأسرة بطلخا منتدى العلماء والأدباء والمفكرين يلتقون فيها وتدور أحدى الأسرار والأحاديث فى مختلف فنون الأدب والثقافة .

وقد كانت هذه الأسرة تشغل بالتجارة (تجارة المانيفاتورة) وكان محمود طه رجلاً عصامياً لمأحا طموحاً مقل نفسه بالثقافة والدين ، فقرأ عشرات الكتب الدينية والأدبية ، وكان يتردد على الندوة التى كانت تعقد بمنزل الأسرة حيث تدور المناقشات والأسرار فى أمور الدين والدنيا .

وعبرت السنوات وهو يزود نفسه بالعلم ، ويصقلها بالدين وتجتمع له من قراءاته مكتبة ضخمة نفيسة .

ثم تزوج محمود طه من سيدة فاضلة هى ابنة " على الهاكع " أحد كبار المانيفاتورة بالمنصورة والذي كان متزوجاً من سيدة سورية الأصل تنتمى الى عائلة " أبى سريه " وأثمرت هذه الزيجة خمسة أولاد وبنتين .

كان محمود طه وسيماً هادئ الطبع دسم الأخلاق .

هذا هو محمود طه والد شاعرنا .

xxxxxxxxxxxx

كان ذلك فى ٣ أغسطس عام ١٩٠١م . حين خرج على محمود طه الى النور فى بيت الأسرة بحارة الشيخ الظاهر المتفرعة من شارع البزار بمدينة المنصورة مهد الحب والجمال وكان على محمود طه ثالث اخوته السبعة .

وشب على من الطوق فالحقه والده بالكتاب فحفظ القرآن الكريم وجوده شمم

أن الحقه والده بمدرسة الرشاد الابتدائية فأظهر تفوقا ونموغا على أقرانه .

وتفتح وجدان الطفل الصغير وعقله على ما يسمع ويرى في الحجرة التي كانست
تعقد فيها الندوة الأسبوعية العامة وأنس هذه الندوة فكان يجلس مصغيا بكل وجدانه
لما يدور فيها من مناقشات وأسعار ومساحلات .

وكثيرا ما كان يقضى جانبنا من الليل وهو يستمع الى شاعر الربابة في أحسن
المقاهى بنشد ملحمة أبى زيد الهلالي وسيف بن دى سزن وعلى صغر سنه حفظ ملحمة
أبى زيد وكان كثيرًا ما ينشد لها لأتراه فيفتتون لقدرته على انشادها ببســـــر
وسلاسة .

وقد ورث عن أبيه كثيرا من خلائهم

ورث من أبيه حب العلم والمعرفة والدأب على القراءة والذاكرة القوية ، وثوة
البأس وكان أقرب أشقائه الى والده . وورث من أمه انسانيتهما وعزيمتهما القوية
ورقة شمائلهما ...

وهكذا ولد بين عظمور الفن والأدب والعلم والدين ...

xxxxxxxxxxxx

تفتح خياله على ضفاف المنصورة الطيحاء ، وعلى النيل والموج والشاطئ ،
وكانت ملاعبه بين تلك المروج الفيح فالتصقت كل هذه الصور والمشاهد في وجدانه
لتسيل شعرا رقيقا رائعا فيما بعد .

وعبرت الأيام بالأسرة السعيدة في هناء ويسر .

وفي عام ١٩٠٨ مات والد على محمود ظه في شرح الشباب وهو لم يتجاوز السابعة
والثلاثين من عمره وخلف وراءه أسرة كبيرة ولم يترك لأبنائه من متاع الدنيا
شيئا يذكر ...

كان أكبر أبنائه يبلغ من العمر اثني عشر عاما .

ورأى شاعرنا نفسه وكان قد بلغ من العمر سبعة أعوام فحسب بيتيها ويحرم من
أبيه وهو مازال طفلا صغيرا
.....

وكان ذلك مدعاة لطمع الكثيرين في الاستيلاء على أموال الأب الراحل ففعلت تجارتها وأغلقت بل امتد طمع الطامعين وجشعهم الى حد الاستيلاء على المنزل الذى كانت الأسرة تقيم فيه .

وتحملت الأم هذه المحنة بصبر وشجاعة نادرة المثل وبحسن تدبيرها ورجاحة عقلها وقوة مزيجتها استعانت بايراد عقارين آلا اليها بالميراث لايمائل بأية حال المستوى الرفيع الذى كانوا يعيشونه فى كنف الأب الراحل .

فكانت وفاة الأب صدمة عنيفة للطلل الصغير المرهف ، فقد كان طفلاً رقيقاً حساساً هادئاً ، ولعلها أذاقته ضروبا من الحرمان المبكر .

وانجز شامونا دراسته الابتدائية بتفوق والتحق بمدرسة المنصورة الثانوية عام ١٩١٥م ولكن موت والده حال بينه وبين مواصلة دراسته فغلا عن كرهه للدراسة بها وعدم تقبيله بمواردها ، فالتحق بمدرسة الفنون والصنائع ببولاق القاهرة . وأثناء دراسته الثانوية كثرت قراءاته وكان كثير الخلوة الى نفسه فى ظلال الطبيعة وبجانب أمواج البحر .

وظهر اتجاهه العلمى ... فى تلك الحقبة ، فقد كان محبا للخلق والابتكار فقام بتصميم آلة طباعة بدائية استخدمها فى طبع بعض مؤلفاته من شعر وقصص .

xxxxxxxxxxxx

وشبت شامرية على محود طه على ربي المنصورة ، والمنصورة أرض طيبة ، تلهب الشعر والخيال ، وتنبت الجب والجمال .

وتفتح وجدان شامونا على جمالها ولكنه كان يعاني القلق والحيرة والحزن والكآبة لغروب الأحباط التى أهبطته خاصة بعد وفاة والده .

وكتب فى تلك الحقبة الكثير من المقطوعات الشعرية الغرامية . كانت تتسم بالسذاجة والسطحية ولكنها كانت تعد ارهاصات لموهبته وعبقريته الشعرية فيما بعد ...

ولم يفتنصر في تلك الحقبة على نظم الشعر بل كان يكتب بعض
القصص والمسرحيات يسكب فيها خلاصة ما في نفسه من مشاعر وأحاسيس
ولكن سرعان ما أعرض عن القصص واتجه صوب الشعر ببشـه ذوب
قلبه وأحلام روحه .

وشعره في ذلك الطـور شعر التقليد والمحاكاة لما كان
يقرؤه من شعر كبار الشعراء من القدماء والمحدثين .

" عاشق البحر والطبيعة "

فى تلك الحفبة فى حوالى عام ١٩١٧م كان شاعرنا يقضى جل وقته متنقلا بين الرياض والغناء ، مستظلا بأغصان الشجر الوارقة ، مرتادا البحيرات ، خاصة بحيرة المنزلة والبقعة الممتدة بينها وبين البحر الأبيض المتوسط ، حيث أكواخ أشوم الجميلة والتي تشرف على آثار قلعة مهدمة كان الشاعر كثيرًا ما يسبح فى البحيرة ويوفلون فى البحر وقد تعرض عدة مرات للغرق لولا لطف الله .

وهكذا شب شاعرنا على حب للطبيعة وللبحر حيث الخفة البيضاء على شط
البحيرة الزرقاء الهادئة وحيث الحقول الخضراء ...

وهكذا شب بين جمال الطبيعة وسحرها .

وقد استلهم شاعرنا فى تلك السن المبكرة عدة قصائد عن البحر يشبه
يمف نفسه فيها بالملاح الذى يحوب البحار كالسندباد ويصطاد اللاكئ من مجاهيل
البحار وكانت تلك القصائد ملعمة بالخيالات والرؤى والأحلام .

وكان يحرص على اصطحاب رفاقه ويطلق الى القرى البعيدة بأطراف المنصورة
بالقرب من البحيرة ، حيث تمتد الحقول وتنساب الجداول ، ويلوح عبير الأزهار ،
فيمرح ويلهو ويجرى وراء أسراب الطيور بمرح وانطلاق .

وتنعكس كل هذه الصور الطليقة الباسمة فى وجدان المصطفى المرهف الحس الرقيق
الوجدان وشكب فى روحه من موسيقاها مابعث النشوة وأثار الخيال ونمى احساسه
بالحرية والجمال .

وكان ينتهب بعينه شوارد الحسن على ففاف البحر .

ولقد مكث شاعرنا كل هذه الصور بعد أن كبر وعاد الى مسرح الذكريات

فقال :

انى لأذكر حقلنا ، ولياليا
أزهرن فى ظل لديه وريـف

ومراحنا بقرى الشمال وكوخنا	تحت العرائش فى ظلال السوف
نلقى الخمائل بالخمائل حولنا	متعانقات ، سافحات السوف
ذكرى الطفولة أنت وحدك للمبا	حلم يرفه عنه بالتشويــــــــــــف
نقتاف آثار الطيور شواردا	بين النخيل على رمال السيــــــــف
شاد هنا وهناك رنة مزهــــــــر	وجه تألق من وراء نصيــــــــف
والنهر سلسال الخير كانه	قيشارة سحرية التعزيــــــــف
تومى مدارى الريف والتمس الربى	نضرا وغنى بالغدير وطوفــــــــى
وتففىء الروح الظليل ومربا	للبن تحت أزاهر وقطــــــــوف

xxxxxxxxxxxx

كان على محمود ظه فى صباه وبفاعته ذكيا لمحا يتم بالحيوية الدافقة
والشاعرية الملهمة .

وبدا يترنم بالشعر منذ صباه المبكر ...

وقد بدأت اتجاهاته الشعرية تتبلور وتتفتح معالم شخصيته الفنية ومهمه
لم يتجاوز الرابعة عشرة ، وكان يلقى معارضة شديدة فى هذا الشأن من شقيقه
الذين يكبران " موسى وعثمان " وذلك لخوفهما من أن تصرفه هذه الهواية
عن اهتمامه بدراسته والتفرغ لها .

—————

" فى خضم الحياة "

فى عام ١٩١٩م اتجه على محمود طه الى القاهرة ليلتحق بمدرسة الفنون
والمصناعات (الفنون التطبيقية) بعد أن ترك دراسته الثانوية وكان يبلغ
من العمر واقتد الشامنة عشرة .

وصادف نزوحه الى القاهرة اشتعال ثورة ١٩١٩م فعاشها وشارك فى أحداثها ،
فقد كان على حداشته وطنيا مخلصا فكتب عدة قصائد
حمية الشوار وحماستهم .

وأثناء دراسته بمدرسة الفنون والمصناعات لم ينقطع من قول الشعر .

وفى عام ١٩٢٤م حصل على دبلوم مدرسة الفنون والمصناعات وعمره ثلاثة وعشرون
عاما ، وعمل أولامعمل مهندسا لمبانى تفتيش الشرق بالمنصورة ولم تستطع
وظيفته الحيلولة بين قراءاته وانتاجه ، فقد بدأ يرسل صف القاهرة
الأدبية وتنشر له انتاجه الأدبى فى مكان حلى .

وبدأت الأسعاع تعرف اسم شاعر المنصورة ، على محمود طه ، وكان
يغلب على شعره فى تلك الحقبة الكآبة والحزن لما كان يعانى به على محمود طه
واقتد من اخلاق فى الحب الفتاة جميلة تزوجت من غيره لفيشق
ذات يسه ، فعبر عن أحاسيسه شعرا حزينا قاتما ...

عند صخرة الملتقى

وفيما بين سنة ١٩٢٧ و ١٩٣١م التقى جمع أربعة شعراء في المنصورة كما ذكرنا وهم على محمود طه و ابراهيم ناجى وصالح جودت والهمششرى .
ولقد قضاوا أجمل الليالى على شاطئ النيل فى حديث الشعر والفن والجمال .
وكانوا يؤثرون قراءة دواوين شعراء الرومانسية الموهوبين مثل شيللى وكيتسى وورد ذورث وبايرون .

وكان يحلوا لهم الالتقاء عند " صخرة الملتقى " التى تقع فى مكان ناء
بأطراف المنصورة ، واستوحى منها شاعر الحب ، ناجى قصيدة عاطفية واستوحى
منها شاعر التأمل والحب على محمود طه ، قصيدة تأملية فلسفية فيها تصوير
لأحزان شاعرنا الروحية وهى تفصح عن شاعر يمزقه القلق والحيرة والحزن . يقول
فيها :

شارد الفكر تائه الخطوات	صحراء الحياة كم همت فيها
المقدار فى جنح ليلها مشكاتى	سرت فيها وحدى ، وقد حطم
ورمتنى الحرور باللفحات	ولكم أرمد الهجير جفونى
أو غديرا يبيل حر لهاتى	لم أجد لى فى واحة العيش ظلا

ثم يصور نفسه فى صورة قاتمة فيقول :

فى زوايا النسيان والغلطات	أنا قيثارة جفتها الليالى
من شجاها حبيسة النغمات	وأرثت أوتارها فهى تبكى
الأباد أستشرف الزمان الاتى	أنا طيف الماضى على صخرة

ويرسم صديق عمره الأستاذ أحمد حسن الزيات ملامح شخصية شاعرنا فى المنصورة
فى تلك الحقبة فى مطالع العشرين ، فيقول :

" كان منصور الخلقة ، مسجور العاطفة ، مسحور المخيلة ، لايشد غير
الحب ولايشد غير الجمال ، ولايطلب غير اللذة ، ولايحسب الوجود الا قصيدة من

الغزل السماوي ينشدها الدهر ويرقص عليها الفلك .

كان كالطراشة الجميلة الهائجة في الحقول تحوم على الزهر ، وترف على
الماء ، وتخفق على العشب ، وتسقط على النور ، لا تكاد تعرف لها بغية غير
السبح ، ولالذة الا التنقل ، ثم تتبعته بعد ذلك في أطواره وآثاره ، فإذا
الفراشة الهائجة على أرباض المنصورة تصبح الملاح التائه في خضم
الحياة ، والأرواح الشاردة في آفاق الوجود ، والأرواح والأشباح في أطباق
اللانهاية ، وإذا الشاعر الناشئ يغدو الشاعر المطلق تارة بجناح
الملوك ، وتارة بجناح الشيطان ، يشق الغيب ، ويقتحم الأثير ،
ويصل السماء بالأرض ، ويجمع الملائكة والشياطين بالناس "

" مع جماعة أبوللو "

انضم شاعرنا الى جمعية أبوللو فور تأسيسها عام ١٩٣٢م وشهدت مجلة
أبوللو انتاجه الفنى

فنشر فيها قصيدتين هما : " ميلاد شاعر " و " فى مخدع مغنينة " .
كما نشر مقالا بعنوان " شوقى الشاعر " .

وقد نشر أولا مطولة شعرية مزج فيها الأسطورة بمظاهر الطبيعة وفيها
تركيز على رسالة الشاعر فى الحياة والوجود ، ورسالة الحب والخير
والجمال يقول فيها : (١)

هبط الأرض كالشعاع السنسى
بعضا ساحر وقلب نبسى
لمحة من أشعة الروح حلت
فى تجاليد هيكل بشرى
الهمت أمغريه من عالم الحكمة
والنور كل معنى سسى
وحبته البهتان ربا من السحر
به للعقول أمم مذب رى

ويصور لنا فى قصيدته " فى مخدع مغنينة " جوا من الفتنة والسحر مع
امراة فاتنة فى ساعة وصال معه وكيف دار الحوار بين ندا ، الحب ونظراته
المثالية يقول : (٢)

كشفت من جمالها كل خفاف

(١) أبوللو / المجلد الأول / ص : ٢٨٩ -

(٢) أبوللو / المجلد الأول / ص : ٧٢٧ -

وأباحث لهن ما لا يبـــــــــــــــــاح
معبد للجمال والسحر والفتنة
يفدى لقدســـــــــــــــــه ويـــــــــــــــــســـــــــــــــــراح
نام في بابـــــــــــــــــه العزيز " كيوبـــــــــــــــــيد "
ولكن في كفه المفتـــــــــــــــــاح
ان ينم فالحياة شدو ولهـــــــــــــــــو
أو ينهب لأدمع وجـــــــــــــــــراح

ثم يقول :

هتفت بي تراك من أنت يا مـــــــــــــــــاح ؟
قللت المعذب الملتـــــــــــــــــاح
شاعر الحب والجمال فقلـــــــــــــــــلت
ما عليه اذا أحب جنـــــــــــــــــاح
واحتوى رأس الحزين ذرا مـــــــــــــــــباها
ومرت على جبينـــــــــــــــــي راح
وأحست لطح اللثـــــــــــــــــى من شفاه
أحرقتها الأنفــــــــــــــــاس والأقـــــــــــــــــداح
فعمت في متابها كيـــــــــــــــــد لم تـــــــــــــــــدر
بما برحت بك الأتـــــــــــــــــســـــــــــــــــراح
ان أسأنا اليك فاليوم نجزـــــــــــــــــيك
بما ذقتـــــــــــــــــه رفا وســـــــــــــــــراح
ولك الليلة التي جمعتـــــــــــــــــنا
فاعتـــــــــــــــــنمها حتى يلوح الصـــــــــــــــــباح

ولكن شاعرنا تغلبه نظرتـــــــــــــــــه المثالية الرفيعة في تلك الحقبة فيكتفى مـــــــــــــــــن

الربيع بالشذى ومن الزهرة بعبيرها :

قلت حسبي من الربيع شـــــــــــــــــاذ
ولعبيش زهره اللـــــــــــــــــمـــــــــــــــــســـــــــــــــــاح
نحن طير الخيال والحســـــــــــــــــن روض
كلنا فيه بلبل مـــــــــــــــــســـــــــــــــــداح

" الملاح الثالث "

فى مايو ١٩٢٤م صدر الديوان الأول لشاعرنا بعنوان " الملاح الثالث " ... صدر هذا الديوان وقد جاوز على طه الثانية والثلاثين من عمره وأرى أن هذا الديوان كان انعكاسا للمرحلة الرومانسية الأولى فى حياة شاعر الجندول وهى مرحلة المنصورة بما نحفل به من قلق وحبيرة وشك وتمرد وحزن وكآبة وتأمل ...

ان على محمود طه فى هذا الديوان يفكر فى الحياة أكثر مما يشعر بها ويتأملها أكثر مما يحاول الاندماج فيها . وينحدر قصائده من تأملاته الطويلة فتحمل صفة مافى التأمل من عناصر الجلال والهدوء ...

وقد أحدث صدور الديوان أمداً واسعة ووجد فيه النقاد لونا جديدا من شعر التأمل الفكرى العميق .

واستقبله الدكتور طه حسين بترحاب وقال منحه : (١)

" ان شخصيته الفنية محبة إلثَّ حقاً ، فيها عناصر تعجبني كل الإعجاب وتكاد تفتننى وتستهوينى ، فيها خفة الروح ، وعذوبة النفس ، وفيها هــذه الحيرة العميقة ، الطويلة العريضة ، التى لاحد لها ، كأنها محيط لم يوجد على الأرض .

هذه الحيرة التى تصور الشاعر ملاحا تائها حقاً ، والتى تقلذه من شك الى شك ومن وهم الى وهم ، ومن خيال الى خيال ، والتى لاتستقر به على حقيقة حتى تزعجه عنها ازعاجا وتدفعه عنها دفعا ، وتقلذه الى حقيقة أخرى لا يكاد يدنو منها ويتبينها بعض الشيء حتى يراها أشد هولاً وأعظم نكراً ، واذا هرب يهرب منها ويجد فى الهرب " .

كان هذا هو استقبال طه حسين الحار لهذا الديوان الجديد .

xxxxxxxxxxxx

(١) السياسة / يونيو ١٩٢٤م .

ولكن مادلالة تسمية شاعرنا بالملاح التائه ؟

وماضية هذه التسمية بشاعريته وحياته ؟

ان نعت على محمود طه لنفسه بالملاح التائه ظاهرة تتصل بالأعماق الروحية
والنفسية لحياته وشاعريته .

أرى أن شاعرنا كان يعاني حيرة وقلقاً معزوجاً بالرغبة في الهرب من آلامه
الروحية - كشأن الرومانسيين - باللجوء لحوى الجمال والانغماس في أبيقورية
مرحلة منتثية بالحياة لعله ينسى أحزان روحه فصبح شاعرنا في بحار الحب
والجمال .

ويعبر عن بعض هذه المعانى في قصيدته " الملاح التائه " فيقول : (١)

أيها الهاجر من الملتقى
وأذبت القلب صدا وامتاعا
وارع فى الأرض طريدا شارد
منه ضاقت رقعة الأرض اتساعا
فزل فى الليل سراه ومضى
لا يرى لن أفق منه شعاعا

وهو دائما يهوى الفوص فى أعماق الحقيقة :

ملاح وادى النيل الا أنسه
أفترسه بالتيه السحيق بحار
أبدا يطوف حائرا بشراعه
يرمى به أفق ، وتقذذ دار

xxxxxxxxxxxx

(١) الملاح التائه / ص : ٣٢ .

في هذا الديوان استوحى على محمود طه فكره وخياله أكبر مما استوحى
الحياة الواقعية وكان ذلك انعكاسا للطور الأول من حياته حتى الثلاثين ، وهي
تلك الحقيقة التي كانت حافلة بالتأمل والحيرة والرومانسية المحللة بين رواي
المنصورة وطبيعتها الهادئة الجميلة ، التي تبتعث على التأمل والفكر .

ومن أكثر قصائده تعبيراً عن أحزان قلبه وشعوره الحاد بالافتراق الروحي
هذه الأبيات التي تصوره يعانى القلق والحيرة والألم في ظلال الطبيعة المتفتحة
المبتهجة :

ياصبح : ما للشمس غير مغيثة ؟
يايليل : ما للنجم غير مبين
يانار : ما للنار بين جوانحي ؟
يانور : أين النور ملء جفوني
ذهب النهار بحيرتي وكأبتني
وأتى المساء بأدمعي وشجوني
حتى الطبيعة أمرضت وتمايمت
وتنكرت للهارب المسكين

xxxxxxxxxx

ولكن هذا العقل الذي برح به التأمل نجده خصبا مزهرا مخلقا بأجنحة
قوية في سماء الفكر الشعري الخالص في قصيدة مبدعة هي " الله والشاعر " .
في هذه القصيدة يتكلم الشاعر بلسان العالم ويرفع الى الله شكوى الخلق
للخالق ويشكو اليه مايلمسه في الحياة من يؤس وشقاء وألم ويسأله عن
سر الوجود وعن السبب في كل هذا الشقاء وعن معنى الحياة ومعنى
الألم . ثم يرتفع بشكاياته وصحاته الى قرب من الايمان الصوفي
المنقذ الحار .

ان لهذه القصيدة لونا منفردا في شعرنا المعاصر ، فهي تلقى
على فكرة منسجمة متعاسكة ، وهي عمل فني له كيان ومنطق عميق .

يقول فيهما :

لاتفرعننى يا أرض لاتفرقننى
من شبح تت الدجى عابـر
ماهو الا آدمى شقى
سموه بين الناس بالشاعر

xxxxxxxxxx

ماأنا بالزارى ولا الحاقـد
لكننى الشاكى شقاء البشر
أفنىت عمرى فى الأسى الخالد
فجئت أستوحيك لطف القـدر

ثم يتساءل عن عذابات البشر ويؤسهم فيقول

أفى سبيل العيش هذا الصراع ؟
أم فى سبيل الخلد والأخـر
وهؤلاء البائسون الجيـاع
تطحنهم تلك الرحى الدائـر

ثم يقول أن سر شقوته هو قلبه الساعى للمثاليات :

يارب ماأشقىتنى فى الوجود
الا بقلبي ليتـه لم يكـن
فى المثل الأعلى وحب الخـود
حملته العيب الذى لم يهـن

xxxxxxxxxx

خلفته قلبا رقيق الشفاف
يهيم بالنور ويهوى الجمال
حلت له النجوى ولذ الطـواف
بعالم الحسن ودينـا الخيال

وتعفى هذه المطولة بعودة الشاعر الى الايمان الحار المتقصد ،
وهى قعيدة من أعمق وأجمل مالى شعرنا العربى المعاصر .

يقول مؤرخ الأدب العربى الحديث المستشرق الألمانى بروكلمان من ديوان
العلاج التأثـه (١) :

" يدين على محمود طه بالفضل للرومانسية الفرنسية فى القرن
التاسع عشر وهو الاتجاه الخيالى والفنى والقومى والعقلى : فقد
تأثر بهذا الاتجاه وانتفع فى اطراد بما تأثر به فى خلق فن
قومى فى ديوانه " العلاج التأثـه " .

(١) بروكلمان / تاريخ الأدب العربى / ط ليدن / ١٩٣٩م .

" الشاعر التصويرى "

كان على محمود طه من أمدق الشعراء التصويريين فى شعرنا المعاصر . وقد منحت الصور الشعرية شعره الجمال والأصالة .

إننا نراه فى شعره ممورا بارعا تنقل إلينا ريشته من تلك الصور الخاطفة ، والظلمات اللامعة ، التى وضت فرأها ، ونظرها فبهرت ، فاخطف منها ماشاء ، وقطف من ثمارها ما ناله وقدمه لنا ، فكان شاعرا وصافا ، وفنانا بارعا صورا لنا أجمل مارآه وانفعل به من مشاهد الطبيعة وصور الجمال .

لقد كان بارعا فى تصويره لآحاساساته ومشاعره فى براعة المصور الماهر القدير والمتفنى المبدع الموهوب .

وهو بارع فى خلق الجو العام للقعيدة وابتكار الصورة الشعرية *poltic image* الأصلية بحيث يصبح الجو العام للقعيدة مليئا بالاشعاع والايحاء والفتنة وجمال الصور ، وتتسم الصور الشعرية لديه بأنها صور حية يرسم لنا هذه الصور الحية *Moving picture* فى قصيدته الرائعة " الجنودول " وفيها تصوير شعري رائع لنزهة لشاعرنا مع ملهمته فى جندول يجتاز به قنوات مدينة البندقية فى فينيسيا ، وكانت أنيسته فى نزهة الغروب حسنا ايطالية ، ذهبية الشعر ، شرقية السمات ، مرحة الأعطاف ، حلوة اللفات ومر بهما الجندول تحت جسر التهنيدات متجها نحو القنال الكبير :

ذهبي الشعر ، شرقى السمات
مرح الأعطاف ، حلوة اللفات
كلما قلت له خذ قال هات
يا حبيب الروح ، يا أنس الحياة

ويتحسر على أحلام البحيرة الجميلة :

أيمن منى الآن أحلام البحيرة

وسماء كست الشطآن نفضــــه
منزلى منها على قمة صخــــره
ذات عين من معين الماء ثــــره
أين من عينى حاتيك المجالس
يامروس البحر ، يا حلم الخيال

وفى ذروة نشوته مع صاحبتـــه هناك ، يتلفت الى مصر فى لهفة :

قلت والنشوة تسرى فى لسانى
هاجت الذكرى ، فأين الهرمان؟
أين وادى السحر مداح المغانس
أين ماء النيل ؟ أين الفتان؟

ثم يتلفت الى ملهمته ويتمنى لو كان هذا اللقاء على صفحة النيل :

آه لو كنت معى نختال مبره
بشرع تسبح الأنجم اثــــره
حيث يروى الموج فى أرخم بنــــره
حلم ليل من ليالى كيلو باترة

xxxxxxxxxxxx

والصور الشعرية عند على محمود طه تتصف بالحيوية التى تجعلها تنبض
بالحرارة وهى غالباً تتصف بالخيال المجنح المبدع وهو يستخدم فى شعره الفـــــــر
واللون وهو يجيد توزيع الظلال والأضواء فى صورهِ الشعرية Poetic Imagery

ولقد أبدع بصفة خاصة فى قصائد الوصف الغنائى التى تمتاز بجانب
التصوير الشعرى على قسط كبير من النغم فتلك القصائد تتسم بالموسيقىـــــــا
والتصوير ... انه يستخدم الموسيقى التصويرية التى تعاقب المشهد التصويرى
فى قصيدته " ليالى كيلو باتــــرا " يبلغ ذروة التصوير الشعرى
بريشته المبدعة فغلا عن الرقعة الموسيقية فخلق لوحة شاعرية تتسم بالأصالة
والتلاوم والجمال .

هذه عدة صور شعرية للفتى الأسمر الجبهة كالخمرة " فى النور المذاب "
يقول :

بإضاف النيل بالله وبخضر الروابى
هل رأيتن على النهر فتى غصن الأهواب
أسمر الجبهة كالخمرة فى النور المذاب
سأبحا فى زورق من صنع أحلام الشباب؟

ويرسم عدة صور مرحلة مبهجة تساعد فى خلق جو الوصال والنجوى على
صفحة النيل فى الزورق الحالم بين شاعرنا المفتون ومهمته الساحرة
كبلو باترا ، فالطبيعة كلها تشوى مرحلة تشارك المحبين أفراح قلبيهما ونشوتهما :

ليلنا خمر وأشواق تغنى حولنا
وشراع سابع فى النور يرمى ظلنا
كان فى الليل سكارى ، وأفاقوا قبلنا
ليتهم قد عرفوا الحب فباتوا مثلنا

وينثر شاعرنا الكثير من الأضواء والألوان فى قصيدته عن " القمر العاشق "
وهى تصوير دقيق لمشاعر الملاح التائه الضائعة المتعطشة لسحر المرأة
وجمالها ...

فى هذه القصيدة يبرز عنصر التشخيص واضحا ...

إذا يهور " القمر " بعمرة انسان عاشق مفتون يحاول التسلل لمخدع
الضائنة ذات الغلالة الرقيقة الناعمة تمت شافذتها المفتوحة فى ليالى
الميل المقمرة :

إذا ما طاف بالشرفة ضوء القمر المضنى
ورف عليك مثل الحلم ، أو إشراق المعنى
وأنت على فراش الطهر ، كالزنبقة الوسنى

فغضى جسمك العارى وصونى ذلك الحسن

ثم يصور كيف تسلل هذا القمر العاشق المفتون لكى يقترب منها :

تحدّر من وراء الغيم ، حين رآك ، واستأنى
ومس الأرض فى رفق يشق رباغها الغنى
مجت له وما أعجب كيف استلم الركنى ؟
وكيف تسور الشوك ؟ وكيف تعلق الغنى

ثم يرسم شاعرنا صورة لغيرته وهو يشاهد القمر مع الفاتنة :

أغار ، أغار ان قبل هذا الشجر أو شئى
ولف النهدي فى لين وضم الجسد اللدنى
فان لفوئته قلبا وان لسحره جفنى
يميد الموجة العذراء من أغوارها وهنا

للقمر

ثم يقدم لنا هذه الصورة المتحركة

المفتون أمام سحر فاتنته :

وكم من ليلة لما دماه الشوق واستدنى
جشا الجبار بين يديك طفلا يشتكى الغنى
أراد ، فلم ينل شغرا ورام ، فلم يصب حنى
حوتك ذراعى ، رسا وأنت هويته فنى

وفى صورة أخرى نرى لوحة تصور القمر العاشق حقودا غابيا لأخفاقه

فى مواصلة قاتنته الساحرة فعفى ينظرته الغاضبة يطوى السهول على
مغشى :

عصيت هواه فاستغرى كأن بصدريه حنى
مضى بالنظرة الرمناء يطوى السهل والحشا
يشير الليل أحقادا وصدر سحابه غنى
وماد الطفل جبارا يهز صراعه الكونى

ولم يوره الشعريه نرى التجسيم والتشخيص والتلوين فغلا عن النغم
والعدوبه مما يجعله فنان الموره الشعريه في شعرنا العربى المعاصر
وله الكثير من الشعر التصويرى خاصة فى الشعر الوصفى الغنائى .

xxxxxxxxxxxx

هذا هو شاعر الجندول ، على محمود طه

الملاح التائه فى بحار الحب والفكر والجمال

لقد كان شعله متوقدة من الاحساس بالجمال ، كما وصفه الناقد
أنور المعداوى ، الجمال فى شتى موره والوانه ومعانيه ، جمال المدايق ،
وجمال الكرامة ، وجمال الحياة . . .

أخلص للجمال الأول فاعترف الأحباب من نبع وفائه ، وآمن بالجمال
الثانى فقبس الكرام من وهج ابائهم ، وهام بالجمال الأخير ، فقهر
الشعراء عن بلوغ مداه .

مختارات

من شعر على محمود طه

- ١ - امرأة •
- ٢ - رجوع الهارب •
- ٣ - ليالى كيلو باترا •
- ٤ - الملاح التاسع •

١ - امرأة

أقبلت أم أمعت لى الامراض
انى بحبك يا جميلة راضى
والله ما أعرضت بل جنبتنى
شطط الهوى وسموت عن أغراضى
ألك لست أراك الا فتنة
علوية الاشراق والايام
كم رحبت أغمض ناظرى من دونها
فأراه لا يقوى على الاغراض
وذهبت ألتمس السور فأطلقت
نفسى زمام جوادها الركاض
يجتاز نار مغارة مشوببة
ويخوض برد جداول ورياض
ولقيت غيرك غير أن حشاشتى
لم تلق غير الوقود والارماض
وامتغت باللدات منك فلم تجدد
روحى كلذة طمك المعتاض
وأطعت شم مصيت ، ثم وجدتنى
بيديك لامن ذلة وتفاضى
لكن لأنك ان خطرتمثلت
دنياك تسهى لى بأروع ماضى

٢ - رجوع الهارب

قربت للنور المشع عيونى
ورفعت للهب الأحمر جبينى
ومشيت لى الوادى يمزق خضرة
قدمى ، وتدمى الشاكتات يمينى
وعدوت نحو الماء وهو مقاربى
فنأى ورد الى السراب ظنونى
وبدت لعينى فى السماء امامة
فوقفت ، فارتدت هنالك دونى
وأصخن للنسمات وهى هـوازج
فسمعت تصف العاصف المجنون
ياصبح : ماللشمس غير مفيدة ؟
ياليل : ماللنجم غير مبين ؟
يانار : أين النور ملء جلوتى ؟
ذهب النهار بحيرتى وكآبتى
وأتى المساء بادمعى وشجونى
حتى الطبيعة أمرضت وتصاممت
وتكسرت للهارب المسكين ؟

XXXXXXXXXXXX

ان لم يكن لى من حنانك موثـل
فلمن ابـتـ فـراعتـى وحـنـنـى ؟
آثـرتـ لى عـيـشـ الـأسـير فـلم اـطـق
مـبرـا وـجـن مـن الـأسـار جـنـونـى
فـاعـدتـنـى طـلـق الجـناح وـخـلت بـى
لـلـنـور جـنة عـاشـق مـفـتـون

وأشرت لى نحو السماء فلم أطر
ورددت عين الطائر المجرى
نسى السماء وبات يجهل ما لها
التي الحجاب عليه أسر سني
ولقد مفي عهد التنقل وانتهمى
رمنى اليك بصوتى وفتونى
لم ألق بعدك ما يشوق نواظرى
عند الرياض ، فليس ما يصيبنى
فهتفت أستوحى قديم ملاحى
فتهدجت وتعشرت بأنينى
ونزلت أستدرى الظلال فعننى
حتى الغمون غدون غير غمون
فرجعت الوكر القديم وبى أسى
يطفى على ودلة تعرونى
لما راته الغرورقت عينى من
الم ، وضج القلب بعد سكون
ومضت بى الذكرى فرجت مذهبها
عينى ، ومتهما لديمه يتيئنى
وصوت من خبل وبى ممسنا أرى
أطراق مكتئب وصمت حزين
فافتح لى الباب الذى أغلقت
دونى ، وهات القيد غير ضيق
دعنى أرو القلب من خمر الرضا
وانسم على فجر الحنان عيونى
وأعد لى أسر الصباة هاربها
قد أب من سفر الليالى الجوى
ما فى الحياة على نوال ظليقة
وأناك ينتدها بعين سجين ؟

٣ - ليالى كيلو باتسرا

كيلو باتسرا .. اى حلم من لياليك الحسان
طاف بالموج فغنى وتغنى الشاطئــــــــــــــــان
وهنا كل لؤاد وشدا كل لــــــــــــــــسان
هذه فائضة الدنيا وحساء الزمــــــــــــــــان
بعثت فى زورق مستلهم من كل فــــــــــــــــن
مرح المجذاف يختال بحوراء تغنىــــــــــــــــى
يا حبيبى هذه ليلة حــــــــــــــــى
آه لو شاركتنى افراح قلبــــــــــــــــى؟

xxxxxxxxxx

نبأة كالكاس دارت بين مشاق سكرارى
سبقت كل جناح فى سماء النيل طارــــــــــــــــا
تحمل الفتنة والفرحة والوجد المــــــــــــــــار
حلوة صافية اللحن كأحلام العــــــــــــــــذارى
حلم عذراء دماها حبهها ذات مســــــــــــــــاء
فتفتت بشراع من خيال الشعــــــــــــــــرا
يا حبيبى هذه ليلة حــــــــــــــــى
آه لو شاركتنى افراح قلبــــــــــــــــى

xxxxxxxxxx

وتجلى الزورق العاصد نشوان يــــــــــــــــيد
يتهداه على الموج نواشى مــــــــــــــــيد
المجاديف بأيديهم هتاف ونشــــــــــــــــيد
ومعلون لهم فى النهر محراب مــــــــــــــــيد
سحرتهم روعة الليل لهم خلق جدــــــــــــــــيد

كلهم رب يغنى. والله يستعيد
يا حبيبى هذه ليلة حبى
آه لو شاركتنى أفراح قلبى ؟

XXXXXXXXXX

امدحى أيتها الأرواح باللحن البديع
امرحى بإرتمات الفؤاد بالموج الخليع
قبلى تحت شراعى حلم الفن الرفيع
زورقا بين ضفاف النيل فى ليل الربيع
ونحتة موجة تلعب فى ضوء النجوم
وتنادى بشعاع راقص فوق الغيوم
يا حبيبى هذه ليلة حبى
آه لو شاركتنى أفراح قلبى ؟

XXXXXXXXXXXX

ليلنا خمير وأثواق تغنى حولنا
وشراع سابع فى النور يرمى ظلنا
كان فى الليل سكارى وأفاقوا قبلنا
ليتهم قد عرفوا الحب فباتوا مثلنا
كلما فرد كأس شربوا الخمرة لنا
يا حبيبى كل ما فى الليل روح يتغنى
هات كأس أنها ليلة حبى
آه لو شاركتنى أفراح قلبى ؟

XXXXXXXXXX

يا ضفاف النيل بالله ويا خضر الروابى
هل رأيتن على الشهر فتى غص الأهباب
أسمر الجبهة كالخمرة فى النور المذاب
سابحا فى زورق من منع أحلام الشهاب ؟
ان يكن مر وحيدا من بعيد أو قريب

نصفيه ، وأعيدى ومنه فهو حبيبى؟
يا حبيبى هذه ليلة حبى
آه لو شاركتنى أفراح قلبى ؟

xxxxxxxxxxxx

أنت يا من عدت بالذكرى وأحلام الليالى
يا ابنة النهر الذى فناء أرباب الخيال
وتمنت فيه لو تسبح ربات الجمال
موجه الشادى عشيق النور ، معبود الظلال
لم يزل يروى ، وتمغى للروايات الدهور
والخلاف الخضر سكرى ، والسنى كأس يدور
حلم لم تروه ليلة حبى
فاذكره واسمى أفراح قلبى !

—————

الملاح التائه

أيها الملاح ، قم واطو الشراع
لم نطوى لجة الليل سراعاً
جذف الآن بنا في هينة
وجهة الشاطئ سيرا واتباعاً
فغدا ياصاحبى تأخذنا
موجة الأيام قلداً واندفاعاً
مبشاً تقلو خطى الماضى الذى
ظلت أن البحر وراه اتباعاً
لم يكن غير أويقات هـوى
ولفت من دورة الدهر انقطاعاً
فتمهل تسعد الروح بمـ
وهمت أو تطرب النفس سماعاً
ودع الليلة تمضى انـ
سوف يبدو الفجر فى آثـ
ثم يمضى ... دواويل تـ

أحمد فتحى

شاعر الكرنك

(١٩١٣-١٩٦٠)

ظمئت ، على قربي ، من النهل والعمل
فهل ماف عذب الورد ثمان من قبل
وفقت بليلى ، ساهدا بولو انفسى
تعزيت لم اشك التسهيد فى ليل
وعشت حياتى وحشة ليس ينتهـ
مداها ، ودونى سائر الصحب والأهل

(أحمد فتحى)

(١) أخبرنى بهذه المعلومات فضيلة الشيخ محمد ابراهيم سليمان وهو أخ غير شقيق
لشاعرنا أحمد فتحي فى لقاء يوم ١١ يوسية عام ١٩٧١م بمنزله فى ضاحية
" دبر الملاك " بالقاهرة .

ولد فتحى ابراهيم سليمان سليمان بقرية كدر الحمام بمحافظة الشرقية فى الثانى من سن
المسطن عام ١٩١٣ م .

وكان طفلا وسيما أزرق العينين متوسط القامة يشبه والده، وقد ورث زمامة
عينية من والده
وبعد مولد أحمد فتحى انتقلت الأسرة الى الاسكندرية بحى " الجمرك " حيث
كان أبوه يعمل مدرسا بالمعهد الدينى بالاسكندرية . . .

والحق أحمد فتحى بالكتاب حيث حفظ القرآن الكريم وجوده . . .

ثم مالبثت الأسرة أن انتقلت للقاهرة حيث عمل الأب مدرسا بجامعة الأزهر ،
والحق أحمد فتحى بمدرسة العقادين الابتدائية وأقامت الأسرة بشارع حيدان المولى
قسم الدرب الأحمر بحى الأزهر

وأظهر أحمد فتحى تفوقا ملحوظا على أقرانه خاصة فى اللغة العربية واللفظة
الانجليزية وظهر ميله الشديد الى القراءة . . .

وكان يحلوه أن يسهر بجوار أبيه وهو يقرأ حتى منتصف الليل ، يتطلب
اليه فى صمت ثم يحاول قراءة الكتب التى تحويها مكتبة الأب ، وكانت المكتبة
تضم أمهات الكتب من الأدب العربى والتراث العربى مثل دواوين المتنبى وأبى العلاء
والشريف الرضى وشوقي فضلا عن الكتب الدينية والأدبية الأخرى مثل كتاب الأمانى
ومقامات الحريري .

وذات ليلة قرأ أحمد فتحى أبياتا من الشعر فى أحد الدواوين فنقلها وذهب
لأبيه يقرأها عليه ، وكانت تقول :

مقامى بأرضى نظلة الا	كمقام المسيح بين اليهود
أنا فى أمة تداركها الله	غريب كصالح فى شعوب

وحين سمعها الأب راح يشرح لابنه معانيها وعرف أحمد فتحى أن صاحبها شاعر
كبير اسمه " المتنبى " وأعجب أحمد فتحى بهذا الشاعر ك فعاد الى مكتبة أبيه
من جديد وراح يقرأ كل ماكتب عن المتنبى وما نظم هذا الشاعر ملاً الدنيا وشغل الناس
ثم اتسعت لראاه لتشمل دواوين البحترى والشريف الرضى وشوقي وحفظ الكثير

من القصائد المطولة واستوقفه بمدة خاصة شعر شوقي ، لما فيها من قوة المعنى وحلاوة الجرس ، وجمال الموسيقى .

ثم أنجز شاعرنا دراسته الابتدائية والتحق بالمدرسة الثانوية ولكنه تعثر فيها لأنه نغمس في تلك السن المبكرة في مفامرات عاطفية جامحة وتأرجحت حياته بين شيطان الحياة وشيطان الشعر .

فالتحق شاعرنا بمدرسة الفنون التطبيقية (الفنون والصنائع) التابعة لجمعية العروة الوثقى بالاسكندرية .
ويتحدث عن تأثير الاسكندرية في حياته وفي شعره فيقول : (١)

" وفي الاسكندرية كان ميلادي وعلى صدر شاطئها الجميل ترعرعت ، ومن صفاء بحرها المصدح أخذت ما كان لي بواكير افكارى وأشعارى من صفاء وأنغام .

وماتت أم شاعرنا عام ١٩٢٣ وعمره يومئذ عشرة أعوام فقط أثناء دراسته الابتدائية ماتت وبعد أن وضعت مولودا سموه " محمود " وأصابها " حمى النفاس " وكانت في ذلك الحين داء عضالا وأخطأ الأطباء ، وأصابها الأقدار ، ولم يكن عمرها يوم اختارها الله لجواره قد تجاوز ثلاثين ربيعاً ، وقد خلفت وراءها أربعة أطفال كان شاعرنا أكبرهم ، وكان في العاشرة من عمره وكانت الفجيعة كبيرة فيها ...

شبابها الذي اختضر وأطفالها الأربعة الذين حرموا حنان الأمومة ورعايتها قبل أن يشبوا من الطوى ، فشر بحزن عميق فتزوج والده بسيده من أقاربها كانت هاية في الرفق ، وحسن المعاملة لأحمد فتحن وثقيقاته الثلاث ولكن الطـرـاف الذي تركته أمه في صدره راج يبحث عن مواطن جديدة .

وفي تلك الحقبة بدأ شاعرنا ينظم قصائد وجدانية يبحث فيها بوح قلبه وأشواق روحه ويعبر فيها عن مواطنه الجياشة لمن يحب ...

واتسمت تلك القصائد بالرقّة والعذوبة والطلاوة ...

(١) صحيفة الشعب / ١٧ أغسطس ١٩٥٧م .

واشتد المرض بالشيخ ابراهيم سليمان لاشتغل الى كفر الحمام حيث مات
هناك عام ١٩٢٩م ، تاركا ابنه أحمد فتحى وهو فى السادسة عشر من عمره فازداد حول شاعرنا
وشعر بالموحدة والافتراق الروحى بعد أن أصبح وحيدا فعرض ينظم قصائد حزينة
باكية يبهثها أحزان روحه وآلام نفسه وإحساسه الحاد بالافتراق الروحى .

وتخرج أحمد فتحى فى مدرسة الفنون التطبيقية عام ١٩٣٠م وعينه خاله المهندس
أحمد حسن " مدير جمرک الاسكندرية " موظفا بالجمرک وشهدت له مغائى الاسكندرية
صولات وجولات سجلها فى قصائد عاطفية رقيقة ، ولم يستمر طويلا فى هذا العمل
فعمل مدرسا بمدرسة الصناعات ببولاق بالقاهرة ثم مدرسا بمدرسة الصناعات
بالسويس حوالى عام ١٩٣٢م .

وفى السويس كانت له أيضا تجارب ومغامرات عاطفية فقد كان دوما يعيش
الحسن ويهفو للجمال .

" مع جماعة أبوللو "

ومن السويس بدأ يرسل مجلة " أبوللو "

ونشرت له عدة قصائد رقيقة غلب عليها الطابع الرومانسي الحاليم الذى يغلف أحلامه بأحزان روحية حادة ، وغلبت على تلك القصائد فى تلك الحقبة الروح الشاكى الحزين وأفصح من نفسية قلقة حزينة لشاب لم يتعدى العشرين من عمره بعد ٠٠ . فقد كان احساسه بالاغتراب الروحى يلزمه منذ مزالع شبابه ، لقد كان طموحه أكبر من امكاناته وآماله أكبر من واقعه .

ولعل مفتاح شخصيته فى تلك الحقبة والذى ظل ملازما له طيلة حياته يتلخص فى احساسه " بالاغتراب الروحى " الذى كان يفضيه ويعذبه ...

وكانت أول قصيدة نشرها بمجلة " أبوللو " وكان يبلغ العشرين يوما قصيدة يبحث فيها أحزان روحه وآلام نفسه لأبيه الراحل بعنوان " نجوى وشكاة " وهى قصيدة تتسم بالروح الشاكى الحزين والنعمة الباكية الهامسة رغم شبابه الفسفى يقول فيها : (١)

أبى قم ونح الرجم منك وناجنى
أتسلمنى للدهر وهو جـون ؟
مضى بالذى خلفت لى شم فاتنى
وقلبى تخين بالجراح طعين
به من لظى وجدى عليك لواامج
تفرم نيرانا به وشجون
ولولا جلال الموت قلت نسيطنى
والهتك عنى فى الحياة شجون

XXXXXXXXXXXX

تعثلت في ذهني فأجمل خاطري
ومهدى به في النازلات رصيني
وماذاك من خرفسي لقاك وانما
مراني من هول المقام جنسون
حنانيك ، هل تبكي لحالي رحمة
أمندك ماذا في غد سيكنون ؟
لعل زمانا أوثق العهد أنه
سيقلب لي ظهر المجن يميني
فتم واسترح واهداً بترك انما
خلفوط البرايا شمال ويميني
ولو أنه يبتلى على امرئ
فمثلي بابقاء الزمان قمين

xxxxxxxxxx

ألا أيها الموت الزؤام معجل
يناديك ، مبعادي متى سيحين
مريع هموم طال بالوحدة مهده
تمر به الساعات وهي سنيـن
فتخشي ويستجديك من فرط ما به
وأنت عليه يا حمام سنيـن

ثم ينشر القصيدة في عدد أكتوبر عام ١٩٣٤م بعنوان " الوهم " بتوقيع أحمد فتحي
المهندس يغلب عليها الطابع الشاكي الحزين الباكي رغم شبابه الغضنلمس فيها
سوداوية قاتمة وأحزان قلب كبير لاتناسب سنه الصغيرة التي لم تتجاوز العشرين بعد
يقول في تلك القصيدة : (١)

أمن الأشجان آل وصــــــــــــــــــــــــاب

ومن المدمع ندامى وشـراب ؟
وكذا الدنيا شجون لا تنسى
ودموع لا ينسى عنها انسكاب
لا أرى فى السروى الا مادحـا
مرسل الألحان يحدوه انتحاب
أى وهم لم يزل يحفرنـا
فعلى الوهم مراع وغـلاب ؟
كم حساب لم يجدنا غيشه
خطف الأبصار بالبرق وهـاب
وكلام تحته ريشة فتـى
هو فى ظاهرة شهد مـذاب
والذى يحسبه رى المـدى
هو مهما قد روى العادى شراب
كم شكا الغلة منا ظامـى
فشفت غلته جرعة مـاب
وسعى للميد مشفوف بـه
وهو شاة ، لو درى بين ذئـاب
ليم نحيا بالأمانى خدمـا
والمنايا آخذات بالرقـاب

xxxxxxxxxxxx

أيهذا المدلج السارى السـى
أمل يحدوه أقصر فى الطـلاب
الى الآمال كدح قاتـل
والى الآمال ظعن واغتـراب ؟

ما أراها باعشات من بللى
أو معيدات الى الشيب الشيباب
صاحب الحاجة ذوهم بهبـ
فإذا أدركها هسان المصـ
فيعة للراى تذكى نارهمـ
أفنة فى المرء منذ شب وشـ
شامخ بالأنف من أوهامـ
لم يزل ينشد أطباق السحاب
حسب الكون رهينا بالسـ
يشتى وهو رهين بكتـ

xxxxxxxxxxxx

ثم نجد له فى عدد ديسمبر ١٩٣٤م مقالا ممتعا بعنوان " فى معنى الانتحال " يدل على عمق ثقافته وتنوع تراءاته الأدبية وقد تناول فيه موضوع السرقات الشعرية والانتحال وتوارد الخواطر واشتراك المعانى بين الشعراء ... كما شاهدت صفحات أبوللو بعض قصائده الرقيقة التى تسبق عمره والتى كانت تعد ارهاصات لمولد شاعر وجدانى كبير

" ليالى الكرنك "

وبعد عمله بمدينة السويس انتقل الى الأقصر مدينة التاريخ العريق والأشجار
الخالدة ، ليعمل مدرسا بعدرسها الصناعية الثانوية .

وفى هذه المدينة العاصئة الهادئة التى يخيم عليها جلال التاريخ التليد
وصمته وهيبته ، أحس بفراغ موحش وملل قاتل وهو الشاعر الطروب المرح الذى تعود
أن يقضى أيامه بين مجالى الأنس والطرب وأطايب الجمال هربا من عذابه الروحى
الممض وشعوره الحاد بالاغتراب الروحى .

ويشعر بالحنين الى أهواء القاهرة وليالى القاهرة ، فيكتب الى صديقه
أنور أحمد بعد ثمانية أيام فقط من وصوله للأقصر يهث بهثه وحننه لبعده عن
أجواء القاهرة ولياليها الساحرة ، فيقول : (١)

" تصور أننى أنفقت هنا أياما ثمانية ، كانت فى حساب قلبى أموما ثمانية .

" لو أنك رأيتنى الآن لأنكرتنى : شحوب وذهول ، وعبرات لارتقا وكفاتها أبدا ،
وظلال من الذكريات الغائمة لاتميل عن المخيلة المكدودة .

" لقد أفقرت كل دنياى من مباحجها ، وهل شئ أبعد أثرا فى نفس الشاعر
من أن يصبح وحيه أحجارا جاشمة وأطلاا قاشمة ، وهذه الأناشيد الحزينة التى
تفلسف الأحزان وتجعل من الوحدة المكتتبة فجيح مهرجان ومخب أمياد وقدم مثبول
فى حضرة آله السماء

" لو كنت فى القاهرة

" يارحم الله أيامى بالقاهرة ، أو رحمنى بعدها " .

كانت هذه أحاسيس شاعرنا فى الأيام الأولى لوصوليه الى الأقصر

(١) الهلال / صالح جودت / مأساة شاعر الكرنك / ديسمبر ١٩٦٦م ، من رسالة خاصة

ضمن عدة رسائل اطلعت عليها عند صديقه الأستاذ أنور أحمد .

ولكن سرعان ماتبدل الوضع بهورة مختلفة

كان شاعرنا يقضى جل وقته - فى الليل - بين معابد الأقصر الخالدة ، وكان يحلو له ذلك أثناء الليالى العقمرة ، يتأمل جلال التاريخ وجمال الطبيعة ويسرح بعيدا فى سموات الخيصال ...

وسرعان ما أصبح يهفو الى ليالى الكرنك يتأمل ويستوحى ويستلهم أجمل الخواطر وأعذب الصور ...

وفى ذات ليلة من تلك الليالى الشعرية الحالمة كان القمر مضيئا يثشر أشعته الغضبية على المعابد الضخمة فيففى عليها سحرا وبريقا ، استوحى شاعرنا أروع تعائده الوصفية التصويرية " أنشودة الكرنك " .
التي يقول مطلعها : (١)

حلم لاح لعين الساهر
وتهادى فى خيال ماهر
وهنا بين سكون الخاطر
يمل العافى بهمن الحافر

ثم يسرح بعيدا مع جلال التاريخ وأمجاده حيث ملوك الفرائنة وأمجادههم
الغابرة التليدة وتوحى كل هذه الأحاسيس والخواطر بصور شعرية رائعة :

ها هنا الوادى ، وكم من ملك
صارع الدهر بظل الكرنك
وأدما يرقب مسرى الفلك
وهو يستحيى جلال الغابر

ثم يمضى يسأل الاطلال بحيرة ونشوة فى آن واحد :

أين يا أطلال جنس الغالب ؟

(١) ديوان قال الشاعر / ص ١٢٢ - ١٢٥ / أحمد فتحى ١٩٤٩م - القاهرة - دار النيل

آمين آمون وموت الراهب ؟
وصلاة الشمس ؟ وهمى طاربي
نشوة تترى بكرم العاصر

وتستغرقه النشوة بعد أن روض روحه على التصوف بين معابد الكرنك
الخالدة تحت ضوء القمر وبين جلال المعابد ومور التاريخ الفرعوني
التليد تحيط به من كل جانب :

أنا هيمان وياطول هيامي
صور الماضي ورائي وأمامي
هي زهري وحنائي ومدامي
وهي في حلمي جناح الطائر

ويمر لنا في هذا المقطع التمويهي الرائع الطائر الجريح السدى
ما زال يفرد أمذب النغم وأرتها بين الرياض النافرة :

ذلك الطائر مخضوب الجناح
يسعد الليل بآيات المبهج
ويغنى في غدد ورياح
بين ألمان وورد شاعر

ثم يختتم أنشودة الكرنك " بهذا المقطع الجميل ، فيقول :

في رياض نضر الله ثراهي
وسقى من كرم النيل رياهي
ومشى الفجر اليها فطواهي
بين أفراح الغياء الغامر

وتغنى محمد عبدالوهاب بأنشودة الكرنك عام ١٩٤١م فلاقته نجاحا كبيرا
واتسعت شهرة الشاعر وأضفت عليه صيتا دائما ، وهكذا اقترن اسم الكرنك

بأحمد فتحي ، وأصبح الناس يعرفونه باسم " شاعر الكرنك " .
وبالمناسبة لم يتفناض الشاعر من هذه الأنشودة الناجحة الا ثلاثة جنيهاً من
الاداعة المصرية حينئذ

xxxxxxxxxx

وهكذا روض شاعرنا روحه على التصوف بين معابد الأتصر الخالدة وأصبحت
أجمل أولات حياته تلك التي كان يقضيها بين المعابد الشامخة ؛ فاستوحى
أنشودة الكرنك من معابد الكرنك .. واستوحى أنشودة " نداء الغروب " من
وحى " وادى الملوك " وهى قصيدة تتسم بالصورة الشعرية المطلقة والخيال
الغنى المجنح ، يقول فيها : (١)

عادت الطيور الى أفنانها
تتغننى

حين ذاب النور فى ألحانها
وتشنى

xxxxxxxxxx

وجرى لى آدمع الذكرى شرامى
مد دعاء من فم الأجيال داع

xxxxxxxxxx

وكسا الليل وشاح الذهب
فى الأصيل

وروى الموج حديث الحبيب
للنخيل

xxxxxxxxxx

طاف بى همس بعيد كالنهداء
أيها السارى على غير اهتداء
تف تأمل

xxxxxxxxxx

(١) ديوان قال الشاعر/نداء الغرب/ ص : ١٣٧ / ط دار النيل للطباعة/ القاهرة ١٩٤٩ م .

هاهنا وادى الخلــــــــــــــــود

وتمهل

كل مافيــــــــه رقــــــــــــــــود

xxxxxxxx

لاتنبه أعينا طال كراهــــــــا

سحرها مان على الدهر حماها

xxxxxxxx

أين منك الفن والمجد العريق

قف تمهل

فسحة من أمل الوادى وضيق

فتأمل

xxxxxxxx

سأل الرمل وقالت زهرات

أى سار سبقته العبرات ؟

xxxxxxxx

أنا مداحك يا وادى الجلال

نعم ودمنى

أبصر الدنيا بعينى وخيالى

فأغنى

xxxxxxxx

أخذتنى شوة السارى الغرب

وتنبهت على صوت الغروب

xxxxxxxx

وتمهلت لعلى أسمى

رجعة الهمس البعيد

وتأملت ومينى تدمــــــــــــــــع
صور العهد العهــــــــــــــــد
وجرى فى أدمع الذكرى شراعــــــــى

وحاول شاعرنا أن تغنى أم كلثوم هذه الأنشودة الرائعة ولكنه أخفق
فى محاولتـــــــــــــــــه .

xxxxxxxxxx

وكان هناك عامل جديد حبب لشاعرنا الإقامة فى الأقصر فى تلك الحقبة بعد
أن روض روحه على التصوف بين معابدها الخالدة ...
لقد مر بتجربة عاطفية عنيفة انتهت بالفراق ... فلجأ الى الأقصر " منتفاه
المحب " من القاهرة لينسى جراح قلبه وليفرق أحزانه بين معابد الأقصر
ولياليها الحالمــــــــــــــــة

وبصور شاعرنا أحاسيسه بعد هذه التجربة العاصفة ، فيقول فى رسالة
شجية لـــــــــه : (١)

" ولقد رجعت الى منفى مختارا طائعا لآلوى فى طريقى على شـــــــــء ، وعكفت
على مكتبى أنفق فيه سحابة النهار وشترا من الليل ، كما أفعل الآن .

" وماذا أصنع بهذه الصورة التى تطارد ذهنى فى اليقظة والكرى ؟
" وماذا أفعل بهذا الخافق الوثاب الذى لا يقر ولا يهدأ ؟
" وماذا أفعل بهذه الذكريات الموجهة التى تخف ظلالها بطريقى على الدوام ؟

" ولمن أشكو هذا كله ، وأنا انسان وحيد فى هذه الدنيا ، مثلى كمثل الشجرة
اليانعة النابتة فى جوف صحراء جديبة موحشة مقفرة من كل كائن حى ؟

xxxxxxxxxx

ثم انتهت مرحلة الأقصر لتبدأ مرحلة جديدة فى حياة شاعرنا وشعره هــــــــــــــــى
مرحلة الفيسوم

(١) تاريخ هذه الرسالة ٩ سبتمبر عام ١٩٤١م ، وقد اطلعت عليها عند الأستاذ
الأديب أنور أحمد .

" فى جنة الفيوم "

أخذ شاعرنا يسعى لينتقل الى القاهرة ...

وأخيرا أفلح فى أن ينتقل الى الفيوم - وهي قريبة من القاهرة - مدرسا
بمدرستها الصناعية فى سبتمبر عام ١٩٤١م ...

وعاش شاعرنا بين جمال طبيعتها وسحرها حيث النخيل والسواقي السبع
تحوطها عيون " السليين " وميون " الغدريمين " و " الحداثق المعلقة " و
" بحيرة قارون " .

ويسعد شاعرنا بقربه من القاهرة وتبهجه طبيعة الفيوم الساحرة فيكتسب
الى صديقه أنور أحمد يقول له :

" والسواقي تكاد تطفى على نداءات خواطرى وأنا أكتبك ، ومع هذا
فانه لنواح حبيب ياليتنى أستطيع أن أسجله فى أبيات كما سجله
رامى فى قصائد ...

، " انها بلدة طيبة وادعة جميلة ... ولكن ليس لها سحر وادى
الملوك ، وجلال جواره الكريم " .

ويستوقفنا هنا حديثه عن سحر وادى الملوك وجلاله مما يفصح عن مدى
استغراق شاعرنا فى هذا الجو التاريخى الحالم فى مرحلة الأقصر بعد
أن كان يشكو منه من الشكوى .

وقد استوحى أحمد فتحى من جمال الطبيعة فى الفيوم وسحرها عدة قصائد
رقيلة .

استوحى من وحى سواقي الفيوم قصيدته " صوت السنين " التى تتسم
بجمال اللفظ ورقته وحسن صياغة الكلمات والموسيقا الهامسة فضلا عن رومانيتها
الحالمة المبدعة .. يقول فيها : (١)

(١) ديوان قال الشاعر / صوت السنين / ص : ١١٥ .

أى سحر بعثت شمس الأصيل
فى ضياء شاحب اللون خجول
ونسيم واهن الخطو عليل
راح يلتف بأعناق التخييل

xxxxxxxxxx

ضحك الرهر ، وغنى بلبل
وحكى الموج ، وأصفى الجدول
وتراوى فى الروابي أمل
آخر الأيام فيــــه أول

xxxxxxxxxx

آه من ذكرى مع الليل تعود
طيف ناحل ، واه ، بعيد
يملا الأفاق والقلب وحيد
يبعث النجوى ويبدى ويعيد

xxxxxxxxxx

طال حرمانى وصبرى وحنينى
وسما بى خاطرى ملء السكون
أرهف السمع الى صوت السنين
هائما بين فتوى وذهولــــى

xxxxxxxxxx

يا خيالى هذه الدنيا لنا
ليس الا أنت ، فيها ، وأنا
نقهر الدهر ، ونطوى الزمننا
ونرى فى كل واد وطننا

xxxxxxxxxx

فيم نشكو العمر والجرح التديما

والهوى الياشن واللوعة ، فيمما ؟
نحن مورناه من الوهم نعيمما
فى ربيع باسم ضاح ، جميلا

xxxxxxxxxx

ولعل انتقال شاعرنا الى اليوم كان بمثابة الواحة التى ينشد فيها الراحل
المجد ، بعض الراحة من وعاء الطريق ، ووقد الهجير ، وانك لتحس بسرد
الراحة الذى أظلم نفسه من خلال شعر مطرب كانت موسيقاه تتردده مع سواقى
الغدير التى تترجم عن الحنين والنفس الملتاعة .

فى قصيدته " صوت السنين " التى أوردناها ، نسمع منه لأول مرة نغما مؤنسا ،
وأملأ نديا ، وحنانا طوى مرارة دليينة ، واستقبل فجرا بسامما .

وكانت هذه المرحلة (١٩٤١ - ١٩٤٣ م) رغم قصرها من أكثر الفترات
استقرارا فى حياة شاعرنا وأحفلها بالانتاج الشعرى الخصب الذى يتسم بالتفاؤل
والرومانسية الحالمة والاقبال على الحياة ولكن هذه المرحلة لم تستمر
طويلا ، فسرعان ما بدأت مرحلة حاسمة فى حياة شاعرنا القلق الملول .

الاجتراب الروحى

ثم تأتى بعد ذلك مرحلة جديدة وفريدة فى حياة شاعرنا ...

كان شاعرنا قلقا دائما حزينا لا يستقر على حال يعذبه شعوره " بالاجتراب الروحى " فهو دائما يشعر بغربة روحية موحشة ... لم يجد الاستقرار والأمان فى المرأة أو الكأس أو المجد أو المال أو التنقل والسفر .

ويكتب لصديقه يعبر عن ضيقه وملله من خياله ويصور له أحاسيس المرهقة نحو السعى الى الجديد الذى ينفذ منه أثقال الكتابة ورتابة الملل ، فيعلن له رده فى القاهرة ولياليها ، فيقول :

" كرهت القاهرة ... وملكت حياتى بها . ان كل ركن فى العاصمة يشير دفيننا من الشجن ، ويهيج ساكننا من الذكرى ، ويرتد بالقلب المشخن بجراحه الى صور من الماضى الحافل بأشامه ومباده ، الذى شاء القدر أن يفع له هذه الخاتمة الاليمية .

" فلأقنع راضيا أو غاضبا بهذه الحياة البليدة التى أحيانا .

" هنا بعيدا من مراتع شبابى المسكين ... ولعل البعد ينسى أو يسلسى ، ولا أمل فى حياة عاطفية مستقبلية ، بل لارغبة فى شئ من ذلك وجه الاطلاق .

" لقد أحببت كثيرا وتعذبت كثيرا كما تقول مريم الجدلية ولا أظننى مستطيعا أن أمالج حياة الشاعر من جديد

" ولهذا فترقرارى على أن أودع هذا الفن العزيز فيما عدا نفثاتى السانحة على ماضى الفار ، الذى يعاودنى كلما بسط المساء جناحه على روحى الهائمة فى القطار والمجاهيل " .

كانت حياة أحمد فتحى فى تلك الحقبة حياة تعسة شقية فضلا عما كان يعانى من

آلام نفسية تعذبه وتضنيه

وينتهى شاعرنا الى قرار خطير يعد نلظة حاسمة فى حياته ...

لقد قرر أن يستقبل من عمله ويغادر الوطن ، ليلتحق بالجيش البريطاني .
 " ومهما يكن في قراره هذا من اغراب أو مروق ، فان عوامل كثيرة قـــــــد
 اجتمعت على الشاعر المسكين ، حملته على اتخاذ هذا القرار في ساعة يأس :
 " حب ضائع ، وصحة منهارة ، وأمل مفقود في وظيفة بالقاهرة ، وسخط على
 الحياة والفن ، وخصاصة تتركه في ضائقة من العيش ، وهو بين كل هـــــــذه
 العواطف وحيد ... لزوجـة ولولـد ولا أهـل (١) .

XXXXXXXXXXXX

كانت الحرب العالمية الثانية قائمة في ذلك الحين ، فانضم شاعرنا للقوات الحلفاء وأخذ يندء بقوات المحور ويرحل الى الميدان ويودع محبوبه العمر فسسى اليوم بقصيدة رقيقة يقول فيها : (٢)

أغاريد من ذكرى هواك وأنفاس
تعود ، فهل عادت ليال وأيام ؟
هنا ... كان لى قلب سعيد ومرتع
رضى ، وآمال حسان وأحلام
وكان هواننا يملأ الربح بهجة
يصورها فى صفحة الكون رسام
تسابق فيها المغرمون ، وقسمت
حظوظ : ، فظلوم لديد وظلام
تخلف قلبى فى الزحام وخائنى
الى تبعك المورود مدد وأقدام
أقابلك فى ضعف العجيب بذله
أغالب دمعى وهو بالوجد نمام

(١) صالح جودت / مأساة شاعر الكرنك / مجلة الهلال / ديسمبر ١٩٦٦م.

(٢) أحمد فتنى / ديوان قال الشاعر / ١٩٤٩م / ص: ١٤٣ .

لقيت الروابي ضاحكات كعهدها
كأن لم ترعها من غيابك آلام
وفي كل شيء ها هنا منك فكسرة
وملء خيالي منك وجى والهيام
تخيّل لى انى آراك وأنسى
تفاح سمعى من حديثك أنفهام
فأعفو على وهم اللقاء سويعة
وأصحو وما بينى وبينك أعوام
هنيئاً لك الدنيا ، فان خواطرى
إذا هبطت آفاق دنياك آثام
ومادام فى بعدى لقلبك راحة
فلاظطرت بى فى رحابك أوهمام

ويصبح شاعرنا ضابطاً بقوات الحلفاء فى الصحراء الغربية المصرية ...
ولكن كيف خذت هذا ؟

لا أحب أن أخرج على ما اضطرب فيه أحمد فتحي خلال تلك الحرب من تمرفات مبعثها
فكر أضر به الحرمان الباكر فى مدر حياته ، وأتلفه نهم للذادات تورث السقم فى
الجسد وفى العقل، إلا برأى لاينفى عنه العتب بقدر ما يبحث له عن مخرج يرى منه
القارىء شعاعاً من العذر .

ومما لاشك فيه أن أحمد فتحي تأثر من قراءاته فى كتب الغرب ، بما كان
يحدث لمن تتجههم الدنيا حتى تغيق به أرجاؤها ، أو لمن يخفق فى حب عنيف
لا يرى بعده حقاً له العيش أو أملاً فى أمل ... وكان أولئك المصابون بهذه المآسى
ينخرطون فى " الفرقة الأجنبية " التى كانت تؤلف فى فرنسا من متطوعين من كافة
الأجناس . لم يكن هم هؤلاء المتطوعين الدفاع عن قضية ، أو بلوغ غاية نبيلة
أو مبدأ سام أو احقاق حق ضائع بقدر ما كانوا ينخرطون فى هذه الفرقة من أجل
البحث عن الموت من طريق آخر غير الانتحار . ان شاعرنا يلقى بنفسه الاضواء
على تلك الحقبة الغريبة من حياته فى رسالة أدبية ممتعة بعث بها من " برقية "

فى ٢٠ مايو سنة ١٩٤٣م الى صاحبه. تلمص من نفسية قلقه تحاول أن تجد فسى ميدان الحرب ملاذا أو مهربا من الشعور بالغربة الروحية وتلمص الرسالة من مدى احساسه الحاد بالقلق وعدم الاستقرار والغربة الروحية لشاب لم يتجاوز الثلاثين من عمره بعد يقول فيها : (١)

" وبعد ، فانك لتسال ماذا هذا الشاعر المفتون أن يهجر داره السى غير أمل فى رجعة ، ولقد كانت حياته فى أرض الوطن هنية لينة ، ان أخطأها البذخ ، فقد كان فيها ترف ورخاء ؟

" وفى الحق انى لأسأل نفسى بمثل ذلك اليوم ، وانها لتجيبنى اجابة فيها فموض وابهام ومراوغة .

" أنت تدري أننى رجل لأسبيل للمال الى استمالته ... ولكن حدث أننى سعيت الى الشهرة سعى المجد ، وطلبت المجد طلب الملحاح ، وبذلت فى سبيل ذلك ما بذلت من نظرة شبابى ونور عينى .

" فلما بدأ نجمى يتألق فى سماء المجتمع ، وأقبلت على الشهرة اقبال المشوق ، كان ماتبقى لى من نفسى ذماء لا يكاد ينتفع بالحياة فى جعلتها ولا فى تفصيلها .

فقدت نصف قلبى منذ ثلاثة أعوام ، وفقدت نصفه الباقي منذ أيام .

" ولقد فرغت الى الشراب من مواجعى وعذاب دنياى ، فما رادنى الا ضلعا من احتمال الحياة ، ومواجهة متاعبها ، ومادات علة الحسد تزيدنى من يقطعة جراح قلبى ، وأصبحت حياتى كلها مقاساة وتكسرا .

" وتلخت حولى ، فاذا أنا ... ولاناصر ولا معيين ... واذا بمثلنى كمثلى الكسرة من الخبز العفن ملقاة فى مرض الطريق ، ان وجدت تقيا يرفعها الى جانب الحائط ، فانها لن تجد من يأكلها بأى حال .

" قلت لنفسى ... لعلنا نمطنح لنا وطنا جديدا ، وعملا جديدا ، وآفاق جديدة ، يرتع فى ظلالها الاحساس الجريح والخيال مهيف الجناح .

" ولعل تغيير الجو المحيط ، وتبديل الوسط وتجديد المعالم لعل ذلك كله

(١) من رسالة خاصة لعديثه أنور أحمد .

أن يعين على صفحة الماضي بخيره وشره ، بل بشره وحسب ، فما كان فيه من خير
لست .

" وفى بضعة أيام ، أبرمت الأمر ، وعقدت العزم على الرحيل ، لم أشاور
أحدا ولم أستاذس برأى أحد ، وحضرت رحلى أطيان الشباب ، ورحلت وأنا لا أدري إلى
أيمن ...

" ولست أدري حتى الساعة ماذا يراد بى ، فان كان خيرا ، فقد أسلفت ممن
الصبر والتحمل ما يشبه حتى أن أنعم بما بقى لى فى محبة الحياة من أمد ...
وان كان شرا ، فلقد : تعودت من الفرح حتى ألغته وأسلمنى حسن العزاء إلى
المصير " (يبعث لمحبوبته من الصحراء قصيدة " همسات " التى يقول فى مطلعها :
أنا أهمل الحب لى سمع الوجود ... فاسمعينى

كان هذا تحليل شاعرنا للظروف والعوامل النفسية التى دفعتة إلى السرح
بنفسه فى أتعن الحرب هربا من قسوة الواقع ومرارة الهزيمة النفسية التى
تعذبته وتفتنيه

xxxxxxxxxxxx

وفى نفس الرسالة يشكو من هجر شيطان شعره المصاح فى " برقة "
بليبيا فيقول :

" ولكن شر ما أكابد الآن ، هو هجر شيطانى المصاح الذى طالما هشت إلى
هزجاته بين تجمهم أيامى وفى أسياتها العابسة ، فما عدت أهتف ببيت من الشعر زاحدا ،
ولامادا يطرقنى طيف من أطيان الخيال " .

ثم تمضى الوحدة ممضة ثقيلة على شاعرنا وهو ينتقل مع قوات الجيش البريطانى
فى الصحراء الليبية وهناك يستطيع أن ينشأ علاقة عاطفية مع حسناء ، فيعود شيطان
شعره الهارب ويستلهم منها قصيدة رقيقة بعنوان " الجارة الحسنة " يقول فيها :

أشرفت فى ليل أراق ظلامه

لى خاطرى ، ليزيد فيه عذابه

فرايت شغورك ضاحكا مسن دره
متالفا في بشره الخسلا
وتبسمت روجي اليك ، وعادهما
طيبذ التفزل بعد طول غيباب
وشكا فؤادي ظلم ما حملتــــه
ليمنون عهد احبتي الغيباب
وجرت على شفتي ظنل تحيية
تسعى اليك بهمسة الاعجاب
فهتفت والذكرى يلهم خيائيرها
فيرد آثامى على الامقــــاب
باجارثى الحسناء ، مالك موضع
في القلب بعد تلفرق الاحباب
في ناظريك من الصبا وقتونه
يبدو سوال ظامى لجوابى
لكن مشغول الفؤاد يعوز من
سحر العيون بدمعه المنساب

ثم يتذكر محبوبته التى تركها في مصرفيقول :

لى في ربي الوادى السعيد فريدة
في حسنهما ، تشاق يوم آيايى
مندى لها باقى الوفاء ، وعندها
لهواى اعزاز وحسن شــــواب
ولعلنا بعد النوى أن نلتقى
فتقرعين شبابهما وشبابى

xxxxxxxxxxxx

ويزداد احساس شاعرنا " بالاغتراب الروحي " في الصحراء حيث الوحدة والسكون والتأمل والليالي الطويلة المسهدة

ويسترجع شريط حياته فيجدها باطل الأباطيل وقبض الريح وتنشأ به سوداوية قائمة واحساس مظلم بكل أمل له في الاستقرار والحياة الهادئة وبقيمة مايكتسب ويسجل هذه الأحاسيس الحزينة في رسالة خاصة الى صديقه أنور أحمد فيقول :

" لا أكتفك ما أحس من فقدان كل أمل في الحياة المنتظمة والاستقرار وأؤكد لك أن خيال العش الجميل والأليفة والأطفال لم يعد عيني أبدا .

" ولقد أصبحت رجلا بلا ماض ولا مستقبل ، ولارجاء في المستقبل .

" ولا تحسب هذا مصدر ألم لي فقد رضت نفسي عليه رياضة كافية ، وأصبحت أستمع بالحياة الفردية الموحشة الى غير حد ، وأصبح كل همي أن أركز كل جهدي في العمل الذي أكسب منه القوت .

" وفي وقت فراغي أمتع أفقي على العمل الأدبي والانتاج الفني ، وقد يشاء الله أن أظفر منهما بعد بعض الوقت بشيء تكون له قيمة تاريخية تذكر ... فمن يدري ؟ "

" وفي رسالة أخرى بتاريخ ١٥ أغسطس عام ١٩٤٣م يمض شاعرنا فيسجل نفس أحاسيسه الحزينة القائمة ، وكأنه يرثى نفسه في عنقوان الشباب وفتوة العمر ، فيقول :

" منذ أيام قليلة ، ودعت عامي الثلاثين ، ودخلت في الحلقة الرابعة ، ولا أكذب عليك ، فان خوفي من الشيخوخة الباردة العاجزة لاحد له ...

" وأخشى ما أخشاه أن تكون خطواتي في سبيل الغناء سريعة من حيث لا أشعر " .

ويقول في موقع آخر مصورا أحزانه وآلامه :

" أجدني حليفة شائقا بالزمان والمكان ، ويزيد المرض من حدة هذا الخفق ...

" أذكرتني العيد ... ولا بأس من أن أقول لك أن حياتي لم يعد فيها مكان

للأعياد ... وإذا أمكن استثناء الأفراس المغيرة الهادئة التي يقيمها قلبي لأهلاته الجاحدات ، تستطيع أن تزعم أن كلمة العيد قد محيت من قاموس أيامي وليالي .

" وفي السقم والعلة والضعف ، يدرك رجل مثلي فداحة جرمه في حق نفسه ،

اذ آثر منذ زمن بعيد هذا النوع من الحبس الانفرادى الحافل بالشقاء ، بدلا من
سعادة الأسرة وفرحة الحياة بالعيش الهادئ ، والعمافير الصغيرة المفردة " .

كانت هذه خواطر شاعرنا الجزيينة في قلب الصحراء التي ألقى بنفسه في أتون الحرب
لاجئا اليها فرارا من عذابات نفسه وأحزان روحه مله ينسى وترتاح نفسه لكن
ذلك لم يزرده الا حزنا وضيقا على ضيق ... وكانت هذه حلقة ترسم أبعاد مأساته
العاصفة التي كان يتجه اليها بسرعة في عنفوان شبابه الغض ...

ولعل أصدق ما يعبر عن احساسه بالافتراق الروحي من شعر قوله في قصيدة
تفصح من نفسية قلقة مفتاحها الافتراق الروحي : (١)

ظمئت ، على قربي ، من النهل والعل
فهل صاف عذب الورد ظمآن من قبل
وضقت بليلى ، ساهدا ، ولو انسى
تعزيت لم أشك التسهيد في ليل
ومشت حياتي وحسة ليس ينتهي
مداها ودوني سائر المحب والأهل

xxxxxxxxxxxx

هذه ملامح لأحزان شاعرنا منذ مطالع شبابه ندرك من خلالها مدى عمق المأساة
التي عاشها أحمد فتحي من مولده حتى الى يوم رحيله ... ومن هنا كانت
مأساة حياته العاصفة .

على أنه بعد أن عمل فابطا بالقوات البريطانية في الصحراء الليبية
ابان الحرب العالمية الثانية انتقل الى جزيرة صقلية حيث عمل في قسم
الدعاية والنشرات الحربية ...

(١) مجلة الرسائل / من وحي الصحراء / ٢٧ يونيو ١٩٣٨ م.

ثم ما لبث أن عاد إلى القاهرة في أوائل عام ١٩٤٤م وحاول أن يجد وظيفة مناسبة في القاهرة فأخفق ...

فلجأ إلى صاحبه المرحوم محمد سعيد نطس - مدير الاداعة المصرية يومئذ - وقد كان على صلات طيبة بالانجليز ، فتوسط للشاعر عندهم لعينونه مديهما بالاداعة البريطانية بلندن ...

واستعبد شاعرنا للنظر إلى لندن لتسلم مهام مجلسه الجديد ...
لتبدأ مرحلة جديدة في حياته وفي شعره

" ليالى لندن "

مين أحمد فتحى بالاذاعة البريطانية. بلندن مديعا ومترجما للأخبرــــــــــــــــار
بالقسم العربى بها فى أواخر شهر فبراير عام ١٩٤٤م.

وكانت لندن تعاني فى تلك الحقبة من فترة مظلمة ظالمة تكاثرت فيها
القنابل الطائرة على العاصمة البريطانية فى عنفوان اشتعال نيران الحرب
العالمية الثانية .

وسط ظلام لندن الحالكة فى تلك الحقبة المظلمة حاول أن يدفن أحزان بوجه
والآلام نفسه فى الكأس والمرأة والسر فاطلق لهوهميته العنان وكان ممن
أغرب نزوات شبابه فى تلك الحقبة أنه تعلم الطيران فى بقعة من أجمل بقاع
الريف ، فى جنوب إنجلترا ونجا من الموت فى محاولاته الأولى بأعاجيب غريبة
ولم يحاول أن يقيد نفسه بمواعيد ثابتة أو بعمل معين ومرجع هذا كله
إحساسه الحاد بالافتراق الروحى والوحشة النفسية مما جعله ينطلق فى
بوهيميته وعدم التزامه بقيوده .

ويروى الأستاذ صالح جودت صفحة مجهولة فى حياة أحمد فتحى فى تلك الحقبة
فيقول : (١)

" على أن لندن قد حملته ذكرى ظل يدمع لها بقلية حياته ... لقد أحسب
هناك أحب شابة انجليزية اسمها " كارول " وهى من بنات الطبقة المتوسطة ،
وكانت تشتغل كاتبة على الآلة الكاتبة ، وتزوجها ، ورزق منها طفلة سماها
" جوزفين " (٢)

ولكن كان لشاعرنا نشاط خصب ومثمر فى العاصمة الانجليزية ، فبجانب

(١) بلابل من الشرق / ١٩٦٠م.

(٢) فى بعض امتراءات شاعرنا أن اسمها مانشة وأن الزواج تم عام ١٩٤٥م.

مولاته وجولاته العاطفية كان في نشاطه الثقافي ...

في الاذاعة كان يقدم احاديث ادبية وقام أثناء الحرب بترجمة خطب المهيم
البريطاني ونستون تشرشل .

وفي احدى رسائله يتحدث من جانب من نشاطه ، فيقول : (١)

"ماودني النشاط الادبي بعد أن استقر في المقام ، وقد فرغت من سلسلة
احاديث من رحلتى الى الصحراء ، وبدأت سلسلة أخرى عن الشعراء المعاصرين " .

وفي رسالة لاحقة بتاريخ ٢٦ سبتمبر عام ١٩٤٤م يقول :

" بدأت كتابة مؤلف جديد من لندن في زمن الحرب ، وربما استغرقني بضعة
شهور ، وقد بدأت أمس تصيدة غنائية وهي تبشر بشيء من طراز " الكرنك " وان كان
فيها روح أبيقوري ، ربما قاد الى خاتمة تمتاز بلون وطني " .

" ثم تأتي مأساة المأسى في حياة شاعرنا ...

تعود شاعرنا أن يفرط في الشراب ، فلا يكاد يفريق منه ، وهكذا لم يستطع
أن ينهض بتكاليف الزوجية وجاءه النذير حينما رفضت السلطات الانجليزية أن
تجدد اقامته هناك ، فكان عليه أن يرحل ويترك زوجته وابنته خلف ظهره ويبحث عن
أى مصير كانت هذه مأساة المأسى في حياة أحمد فتحى ...

واستقال شاعرنا من الاذاعة البريطانية في يونيو عام ١٩٤٦م وماد الى مصر
ولم يتح أن يرى ابنته الا عام ١٩٥٥م لآخر مرة وبعد وفاته بفندق كارلتون بالقاهرة عام
١٩٦٠م وجدت صورتها وهو يحتفنها بين يديه بتشبث وأمل ...

(١) تاريخ هذه الرسالة صيف عام ١٩٤٤م ، وهي من ضمن مجموعة رسائله لصديقه

" فى الأراضى المقدسة "

أثناء وجود شاعرنا بلندن تعرف على الشاعر السعودى الرقيق الأمير عبد الله الفيصل صاحب ديوان " وحى الحرمان " وبعد أن عاد شاعرنا الى مصر من لندن حوالى عام ١٩٤٧م بعد أن مكث بلندن لفترة بعد استقالته من دار الاذاعة البريطانية ذهب الى الأراضى المقدسة حوالى عام ١٩٤٨م ، وعين مراقبا عاما للبرامج بإذاعتها ، بمدينة جدة .

وكان له أثناء ذلك نشاط خصب ، فكان يشارك بالبرامج الجديدة والقضاء أجمل ألوان الشعر العربى قديمه وحديثه وقلب على الاذاعة الطابع الثقافى اللطيف وأحدث تجديدات كبيرة فى برامج الاذاعة كما شارك فى النهضة الأدبية بالسعودية ...

وفى تلك الحقبة كان يصطحبه مديقه الشاعر الأمير عبدالله الفيصل فى رحلاته الميغية بين مغانى أوروبا وبرومها فى باريس ولندن وروما ومالبث أن استقال من الاذاعة حوالى عام ١٩٤٩م واستمر يعمل بالمقاولات فى الأراضى المقدسة وقلب له عمله الجديد المال ...

وكانت لرحلات شاعرنا الى مصايف أوروبا وبرومها آثار عميقة فى شعره فأمد بهزاد وفير من المشاعر والأحاسيس عكسه فى شعره وفى أدبه الثمرى فيما بعد ...

وكانت هذه الرحلات الباسم الذى داوى أحزان روحه لبعض الوقت بعد لىالى الحرمان والأحزان والوحشة .

ولكن سرعان ما عاد شاعرنا الى مصر عام ١٩٥٣م بعد أن ظل بضع سنوات فى الأراضى المقدسة فى حبوحة من العيش والرفاهية ليبدأ فصلا جديداً آخر فى حياته الخصبة العريضة .

أحمد فتحي صحيفيا

عاد شاعرنا الى مصر في حوالى عام ١٩٥٣م ومعه بعض المال ولكنه كان مسرفا،
فأنفقه من آخر في فترة وجيزة ...

وظل يحرر في بعض المجلات والمحف ينشر فيها مقالات وقصصا مترجمة قصيرة
ويضع قصائد حتى ألحقه المرحوم صلاح سالم بصحيفة " الشعب " ليحرر صفحاتها
الأدبية ... وبدأ أحمد فتحي يحرر فيها بابا أدبيا شيقا تحت عنوان " سوانح
وذكريات " ضمنه خواطره الفنية والأدبية والذاتية ... واتجه منذ
حوالى عام ١٩٥٥م الى الكتابة الأدبية والى النقد والى الحديث عن الكتب
وما يصدر منها فى مختلف شئون الفكر والثقافة والفنون . وقد كان متمكنا من
اللغة الانجليزية التى أمانته على أن يطلع على آدابها وفنونها ويفتقر منها
ما شاء له حسن ذوقه ورقة مشاعره وولعه بالطريف فى النقد والأدب .

وأخذ أحمد فتحي يحرر تلك الصفحة الأدبية فى صحيفة " الشعب " وكانت
نتاجا لتجاربه وقراءاته ، وصدى لمعاناته التى لزمته طول حياته .

ولكل أديب بوجه عام ، ولكل شاعر بوجه خاص ، فكرة أساسية تتجلى فى كل
ما توجد قريحته . فهى كالمركز المغناطيسى الذى تتجه اليه سائر أفكاره
أو كمركز الدائرة الذى تتشعب منه جميع الأشعة فى كل اتجاه .

وهذه القاعدة توشك أن تكون أزلية وعامة ، فمن شعراء الجمال فى الغرب
نجد بايرون وكيثس وشيللى ولامارتين ومن شعراء الطبيعة نرى بوشكين و ورد دورث
الذى سموه " شاعر البحيرات " ومن شعراء الدراما شكسبير وراسين وكورنى وفكتور
هيجو ، ومن شعراء الأدب المكشوف بودلير الذى أطلقوا عليه شاعر اللذة والألم ،
وزميم الرمزية وهو صاحب مجموعة قصائد " أزهار الشر "
التي كانت السبب فى وفوفه أمام القضاء بتهمة انتهاك حرمة الآداب العامة .
ومن شعراء الوطنية فى العالم طاغور وداشنتزيو وكبلنخ وفردريك شيللر
وفولتير الذى مهد للشورى الفرنسية وكان يسمى " شرارة الثورات " .

ومهما يكن من أمر هذا التخفيض ، فإن الشاعر لاتقيده قيود ، ولاتقف فلسى
سبيله حدود ، ولكن المركز المغناطيسى الذى أشرنا اليه هو الذى يجذب أفكاره
ولا يغيب أثر منه مهما انتقل فى شأن من الشؤون

وقد مرب أحمد فتحى فى تلك الحقبة (١٩٥٥ - ١٩٥٩) عشرات القصص الغربية
القصيرة لكبار كتاب القصة القصيرة ...

كما كتب عشرات المقالات التى تملأ مدة كتب أدبية قيمة ...

ومن خواطره الأدبية التى سجلها فى تلك الحقبة فى باب " سوانح وذكريات "
تلك الخواطر الشيقة بعنوان " أمواج وأشعار ونظريات " كتبها فى رحلة
الاسكندرية يقول فيها : (١)

" من أسوأ عاداتى أو أحسنها ... لا أدرى ...

اننى لا أستطيع النوم فى ساعة مبكرة ...

وكان الليل قد انتصف منذ ساعة أو نحوها عندما اتصرف منى الأخوان ،

وتركونى وحيدا ...

" ووجدتها فرصة سائحة للترفيه سيرا على القدمين ، والخلوة بمديقتى

العظيم ، القديم ، البحر ...

" ومشيت ، ومشيت ، والأفكار تداعب صفحة ذهنى كما تداعب أنسام الليل

صفحة الأمواج .

" وطافت بى ذكريات من الماضى القريب والبعيد ... الشقى والسعيد ووقفت

أتأمل أنوار الطريق فى مرآة الخضم الزاخر ، الذى ألقى عليها الليل

وشاحه القاتم وتمتمت شفتاى دون قصد بقولى فى وصف الصورة نفسها منذ

سنين :

على الماء قلبى ، فى ناره وفى المساء السنة من لهب

" وامتد بصرى الى صفحة الماء ورأيت فيها السنة الذهب تتراقص ، كأنها
مبارات مفتربة فى سياق قصة حب خالد ..

" ثم نفذ بصرى الى حنايا فلوعى : كان قبلى هناك : بلا نار ولا نسور ..
مجرد رماد بارد أ .

" وفلتت طريقى فى زحام السنين ، والتي جرفنى موكبها العابر أمام عين
خيالى ، صورة بعد صورة ، وكلمة بعد كلمة ، وظلالا بعد أشعة ، وأمداء بعد
أنفاس .

" وودعت الليل الراحل الى لقاء قريب ، ورحبت بالصباح الواعد لعير بقاء
وقلت للبحر : هكذا حظك من الدنيا ، وحظى أنا ، ودوام الحال من المحال " .
وكتب تحت عنوان " الحساب الخيالى " بمناسبة حلول عام جديد يفسون (١) :

" لعل من أكبر مشكلاتى أننى أحب مناجاة أحداث الماضى أكثر مما أحب
التطلع والتشوق ، إلى احتمالات أحداث المستقبل ، وأننى كثيراً ما أتسى نفسى ،
بين غدى وأمسى .

ومع اعترافى بنجوى من تعقيد الحياة ، ومزولى الدائم عن وضع العشرات
فى طريق موكب افكارى ، لأجد مندوحة من التساؤل والاستفسار ، لقد مضى عام
كامل بأفراحه وأتراحه ، وأحداثه ، الكبار والصغار ، وأقبل على ، وعلى
أعصابى وعلى مواطنى ، وعلى أمدقائى ، وعلى غير أمدقائى فى الشرق والغرب
والشمال والجنوب ، عام جديد ، كلنا يرجو أن يكون عاما سعيدا ، وكلنا يرجو
أن تنبجس أيامه ولياليه ، عن خير شامل ، ونعمة سابعة ، وراحة بال واستتباب
السلام العام

فهل تصدق الأحلام ؟ من يدري ... لعلها تصدق ...

إذا صدقت الأحلام ، فيها ، ونعمت .

وإذ لم تصدق ، فلا حول ولا قوة .

أحلامي ، وأحلامك ، لا يمكن أن تصدق جميعها .

ألامي ، وألامك ، لا يمكن أن تصدق جميعها .

مرحباً بالعام الجديد ، الذي لابد أن يحمل إلينا بعض الخير ، ولا بد أن يرومنا ببعض الشر ، لأنه لا يمكن أن يكون كله خيراً ، ولا يمكن أن يكون كله شراً ، فالدنيا دواليك ... يوم لك ويوم عليك ، وتلك سنة الحياة .

" في باكورة الشباب ، وفي ريعانه ، كنا نشبع العام الماضي فرحاً من مستبشرين ، فمر جازعين لفراقه ، ولاباكين عليه .

" وبعد الأربعين أصبحنا نبكي لفراق كل مام ذهب ونوحى خيلة من كل عام يقبل ، وهذا منطق من تراجع حساب الختام في نهاية كل موسم " .

وبعد ، فقد شهدت السنوات الأخيرة من حياة شاعرنا نشاطاً ملحوظاً في مجال النشر ، فلقد ترجم عدة كتب منها " فن الحياة " لأندريه مورو و جان كريستول لرومان رولان ولحسن كتاب " معاهد معاصرون " لتشرشل وترجم مقالات من تشارل ميلتون وبعض كتب برناردشو ، بجانب مؤلفاته التي نشرت في مطابع شبابه وهي قصة " الله والشيطان " وهي أقرب إلى الحوار الفلسفي للقصة وديوانه اليتيم " قال الشاعر " الذي صدر في القاهرة عام ١٩٤٩م وكان شعره فيه يندرج تحت ثلاثة أبواب هي:

١ - مناسبات : يطلب عليها القواعد السياسية والحزبية مثل محنة العرب - مؤتمر أريحا - الدستور والانتخابات - بإحسانة السلام ... الخ .

٢ - خصوصيات : يطلب عليها الطابع العاطفي والغزلي والوجداني مثل قصائد : أحزان البهتان - الرسم المحترق - الدمية الحناء - وصية راقصة - لوم ... الخ .

٣ - أغاريد : وتجمع هذه القصائد بين الشعر العاطفي الغزلي والشعر التوبيخي الوجداني مثل : الكرنك - فجر - حديث عيني - همسات - أنت - نداء الغروب - إليها وهي قصائد تغنى بها كبار المطربين مثل الموسيقار محمد عبد الوهاب والموسيقار رياض السنباطي وأسفهان ولورد كاش ومحمد صادق .

المرأة فى حياته

"ملهمة قصة الأمس"

كانت فى حياة أحمد فتحي قصة حب كبير ٠٠٠ ألهمه أجمل قصائد الحب وأرقها فى سنواته العشر الأخيرة ٠٠٠

كان حبا تحوطه الأشواك من كل جانب ، فقد أحب امرأة متروجة وكان حبنا عنيقا ماصلا دام بين مد وجزر لعشر سنوات كاملة ضار بين عرض الحاشىء بكل العقبات والأشواك التى تعترض حبهما العنيف .

يقول أحمد فتحي فى بعض اعترافاته عن هذه التجربة :

" فى هذه التجربة أحسست للحب طمعا ومذاقا جديديين ٠٠٠

" شعرت أننى أحيا حياتى من جديد ٠٠٠

" كانت تبحث عن الحب مثلما كنت أبحث عنه والتقينا عند هدف واحد ٠٠٠

" وتعانقت روحانا وشعرت بيومها أننى كنت تأثها بشراعى وسط محيطى متلاطم وكانت هى المنار الذى أنقذنى ٠٠٠

" كانت علاقتنا تحوط بها الأسلاك الشائكة والألسنة الهامسة ٠٠٠

" تحايلنا على الظروف ٠٠٠ كنا نلتقى وسافرنا الى أراض بعيدة ، ثم عدنا مرة أخرى الى القاهرة ٠٠٠

" ألهمتني شفتاها أجمل قصائدى ٠٠٠

" وعلى مدرها ارتاحت أروع خواطرى : وكانت كلها باسمه " .

وعاش شاعرنا هذه التجربة عشر سنوات كاملة ٠٠٠

وأخيرا تغلب منطق العقل على صوت القلب والعاطفة فطلبت منه محبوبته

الافتراق ، وقالست له :

- ساطل أذكرك دائماً ... ومن الجائز أن يكون الحرمان بالنسبة لك منجماً
تستهلم منه أعظم أعمالك الأدبية ...

وافترقا وملء قلوبهما اللوعة والأسى .

وامتكف شاعرنا عن الناس ، يعايش وحدته القاتلة وليس له من مديق
سوى الكأس والمصباح والذكريات ...

أهمته تصيدته الوجدانية الرائعة " قصة الأمس " التي تنبض بالحرارة
والصدق وحرقة الوجد والتي استلهمها من وحى هذه التجربة التي مهرته
بالعذاب والتي يقول فيها :

أنا لن أمود اليك مهما
استرحمت دقات قلبى
أنت الذى بدأ الملائكة
والصدود وخان حبى
فإذا دموت اليوم قلبى
للتفافى لن يلبى

xxxxxxxx

كنت لى أيام كان الحب لى
أمل الدنيا ودنيا أملى
حين هنتك لحن الغزل
بين أفراس الغرام الأول

xxxxxxxx

وكنت ميني وملى نورها
لاحنت أراهير الصبا والفتون
وكننت روى هام فى سرها
قلبي ولم تدرك مداه الظنون

ثم يبلسخ ذروة تأشيره ومتابه لعلهمته الظلوم ، فيقول :

وعدتني ألا يكون الهوى ما بيننا
إلا الرفا والمقام
وقلت لي أن عذاب النوى
بشرى توأمننا بمقرب اللقاء

XXXXXXXXXX

شم آخلت و مودا
طاب فیہا خاطری
هل توسمت جدیدا
فی غرام نافری

ثم يطلق شاعرنا هذه الصرخة الحارة المتقدة من قلب حزين مكلوم
على هذا الغرام الذاهب وهذا الحب الغارب :

فغرامى راج
يا طول عرامى اليه
وانشغالى فى لىالى
السهد والوجد عليه

ثم نخلت النغمة في عتاب هادي، حين :

وكنيت روحى هام فى سرها
قلبى ولم تدرك مداه الظنون

ثم يسهر شاعرنا واللوعة ملء جوانحه مع جراحه وشجونيه لايجاد له
أنيسا الا المصباح والأقداح والذكريات :

يسهر المصباح والأقداح والذكرى معى
وعيون الليل يخبو نورها فى أدمعى
بإلذكراك التلى
هاشتت بها روحى على الوهم ستنى

ذهبت من خاطري

الا صدى يعتادنى حيناً فحيناً

وتمر لياليه طويلة ممضة مطعمة بالجراح والأحزان تخايله أطياف الذكريات
فتورقه في معبده الصامت :

قمة الأمل أناجيها وأخلد غدى

وأمانى حسان رقمت في معبدي

وجراح مشعلات نارها في مرقدى

وسحابات خيال هائم كالأمس

ومندما تغنت أم كلثوم بهذه الأنشودة الرائعة بلحن رياض السنباطى
الدسم مكف أحمد فتحى فى غرفته يستمع اليها ويبكى وحيدا يعانى مرارة
التجربة ويستنشق عبير الذكريات ...

وظل أحمد فتحى " شاعر الجراح والمصباح والأقداح " يحمل لهذا الحب
أجمل الذكريات وأعذبها حتى آخر نسمة فى حياته

كان عندي وليس بعدك عنى

نعمة من تصوراتى ووجدى

بأتري ماتقول روحك بعدى

فى ابتعادى وكبريائى وزهدى

ثم تبلغ ذورة يأسه فيرجو لمحبوبه أن يعيش كما يهوى أما هو فسوف
يعتكف وحيدا لارقيق له سوى الجراح والمصباح والأقداح وليالى
السهد والوجد والشجن .

عش كما تهوى قريبا أو بعيدا

حسب أيامى جراحا ونواحا وعودا

وليالى ضياعا ، وجحودا

ومنأء بهترك القلب وحيـدا

ثم يسهر شاعرنا واللوعة ملء جوانحه مع جراحه وشجونـه
لايجد أنيسا له الا المصباح والأقـداح والذكرىـات .

يسهر المصباح والأقداح والذكرى معى
وعيون الليل يخبو نورها فى أدمعـى
بىالذكراك التى عاشت بهـا
روحى على الوهم سنينـا
ذهبـت من خاطـرى
الا مدى يعتادنى حينـا فحينـا

" مأساة شاعر الكرنك "

كان أحمد فتحى قد عاش منذ صباه ، ألم الحرمان من حنان أبويه اللذين رحلا عنه فى صدر صباه الباكر ، ثم لم يلبث أن تقلب فى أتون من عذابات القلق والحيرة والاكتئاب .

وطافت به مطالب العيش بين مختلف الأصقاع فى غرب أو شرق . وكان حظه من متاع الحياة أقل من القليل .

ولولا نوازع انسانية فى قلوب بعض من أحاطوا به لساء حاله عما كان عليه ، فماذا تنتظر من هذا الشاعر الذى لقى من دهره كل هذا العناء من ضن النصيب وقسوة الحرمان ؟

عاش أحمد فتحى حياة قلقة مضطربة ، كما لو كان قاربا فى محيط ، ضاع منه المجداف ، وانفصلت منه دفته ، وتمزق من فوقه الشراع ...

وكان هو يطلب العلم فى إنجلترا (١٩٣٠ - ١٩٣٣) على نفس القدر من القلق والحيرة وهو فى الأقصر (١٩٣٨) فلقد نشأ قلقا منذ طفولته ولازمه قلقه الذى كان يسرى مع دقائقه حتى آخر يوم فى حياته .

والقلق نعمة فى صورة نقمة للشاعر الملهم . انه من ذخائره من حيث لا يدري ... وهو من هوائفه من حيث ينحى عليه باللائمة وهو من قبل ومن بعد ، نار ونور ، يتلظى منها سامة ، ثم لا يلبث أن تعكس حرقها نورا على ما ينظمه من قصيد أو نشيد أو أغنية . انه القائل :

نوحى على قلق الغصون ورجعى
بباطير آهات الفؤاد الموجع
واستودعى الألحان من حرق الجوى
وشجونه ماشئت أن تستودعى

xxxxxxxx

والنفس اذا استبد بها القلق والحيرة ، نفس من عناثها بالغناء تنظمه
فى شعر يفيض بالموسيقا العذبة الشجية .

والطير والغريب والمحروم والعانى ، سواء فى رقة مايتغنون به . وكأنما
تشاء قدرة الله وارادته أن تعوضهم عما يعانون ، فتغدق عليهم من الملكات
أروعها وهو الغناء والموسيقا .

وكان شعر أحمد فتحى فى جملة بيغنى ، وترى ألفاظه وهى تمدح كأنها
الوتر الحزين أو الكنار الشجى الباكى .

أنظره فى هذه الموسيقا الشعرية :

قالوا يرامك قد تنكب فى القوافى قلت أنه
ما فقله ان لم يخلد مجد صاحبه وفنه
بالقافيات الرائعات المحدثات فنونهنه

xxxxxxxx

كانت مأساة أحمد فتحى أنه لم يستطع أن يقيم توازنا بين أحلام قلبه
وواقعته ... وكان دائما لديه احساس حاد بالاغتراب الروحى ، فعاش قلقا
حزينا مشردا فى الأرض ، لاروجة له ولولد ، ولأمال ولأمدىق وفى ، لاترى حوله
ان شقى أو مريض أحد من ذويہ ولأصاحب الا الكأس ، يرسلها فى نشوة ، وتصرفه فى
قسوة .

ويلقى شاعرنا الأضواء على سر أنغماسه فى اللذة فيعلل سر أبيقوريته
المنتشبة المرحجة ، فيقول : (١)

" ان تنشئنى الموحشة قد ملأت قلبى ظمأ الى أنس المجتمع ، ومباهجه
السافرة . " كانت أيام شبابى الأولى ضروبا من الوحدة والضعف والألم ،
وليس معنى هذا أننى كنت أحيا بمعزل عن سائر خلق الله ، كما تحيا الشجرة

(١) أحمد فتحى / الله والشيطان / ١٩٣٩م / ص : ٨ .

الناهضة في جوف الصحراء ، ولامغنى ذلك أننى نشأت مهيف الجناح معقل البدن ،
ولأننى كنت أعيش في بوتقة تنمهر فيها الدموع كلا ... ولكننى كنت
في محيط أثمر في أعماقي أنه لا يمنحني من الحب بعض ما أمنحه ، وأرجو أن يمنحني ،
وكان هذا يشعرني دائما بأننى ضعيف بمن حولي ، فما كان بوسع اعتبارهم
قوة أصمد بها في وجه الأيام .

" وكان هذا الشعور يجعل حياتي معرضة لأحزان طائفة تغشى لحظات سعادتني
على قلتها " .

من هنا كانت مأساة شاعر الكرنك ...

هرب الى المرأة والكأس والسفر والحرب يحاول أن يجد فيها ملاذاً من أحزان
قلبه وآلام روحه فتحطم

وكانت مأساة شاعر كبير حساس .

وفي سنواته الست الأخيرة (١٩٥٤ - ١٩٦٠) بلغت مأساته ذروتها ...

كان يذوب تدريجياً

كان في تلك الحقبة يعاني من علة الكبد ، وكان ساخطاً على الأدب والفن ،
وقلة ذات اليد بالإضافة الى أنه بين كل هذه العوائق وحيد لزوجته ولا ولد
ولا أهل .

وفي تلك الحقبة كانت المدمرة التي هزته من أعماقه هذا عنيفاً ...

فقد قررت محبوبته اللمسة الحانية في حياته ولمحة الفؤاد في الأنف

المظلم - قررت الافتراق منه بعد حب دام سنوات ...

وأحس بالمرارة والضيق فلجأ الى الليل وأهمل نفسه ومحتة وهام بالعزلة
وكلف بالوحدة وطفق يسرف في الشراب يدفن فيها أحزانه وانطوى على نفسه
بعيدا عن المجتمع في وحدة قاسية ممفلة لارقيق له سوى المصباح والأفداح
والذكريات :

يسهر المصباح والأفداح

والذكرى معي

وعيون الليل يخبرو

نورها فى آدمعسى

ثم راح يذوب تدريجيا ...

واشتدت عليه العلة ودخل المستشفى الايطالى بالقاهرة وبعد أن خرج من المستشفى فى شهر أكتوبر عام ١٩٥٩م خرج معه ذكرى لملاك أبيبى رآه ... راهبة فى ثيابها البيضاء زاهدة الا من انسانية لاتمن بها وانما تحاول أن تعطيها وهى تحنو عليه مع جمال روح ورضاء نفس وابتسامة نقباء ... وكان أحمد فتحي يعيش فى تلك الحقبة من حياته فى جو من الروحانية والصفاء فكتب وهو على فراش المرض قصيدة بعنوان " أراهبة أم ملاك " يقول فيها : (١)

أجل والمسيح الحى والجو الفانى
لقد عاش فى قلبى ، مع الحب ، طيفان
رجاء وشيك البرء ، ترقى روحه
بخفة مفتون ، ونشوة فتــــــــــــان
وبأس ترهب العين مايرنو خيالـــــــــه
الى جنة الفردوس ، فى العالم الثانى
فلا تجزمى ، يا أخت ، أنك خاطـــــــــر
يظل على حانى ، لسمع الحانــــــــى
وما الحان الا معبدى ، وبقدسه
أقيم ملاواتى ، وأخلو بايمانــــــــى
وهبت صباه للسماء ، فطهـــــــــرت
جمال ، فلم يدنس ، بقــــــــاص ، ولادان
وزهدك فى دنيا السورى ، ومتاعهـــــــــا
تبلور نفسى ترتضى كل حرمــــــــان
ويا أخت : هذا الزهد آية نعمــــــــة

من الله ، توحى باحتساب ، وغفران
فداوى سقام الناس ، وابتسم لهم
بلطف سماح ، أو بشاشة احسان
فان الثواب الحق ، ليس ينالـــــــــــــــــه
سوى قلب واف مالا يضمن بقربــــــــــــــــان

ومندما أقبل العام الجديد ٠٠٠ عام ١٩٦٠م كتب قصيدة يكاد يرثى فيها
نفسه ٠٠٠٠ والغريب أنه تولى في هذا العام بالذات ٠٠٠ يقول في هـــــــــــــــــذه
القصيدة : (١)

قال لى ، والليل يسرى بيننا
نغم يسرى ، سؤالا ، وجوابا
ماثرى الأيام ، فى آثارتنا
مسرعات الخطو ، تنساب انسيابا ؟
مالنا ننكر من موكبهـــــــــــــــــا
انه يدهم شيبا ، وشبابـــــــــــــــــا
قللت والفجر جبين مشـــــــــــــــــرق
وجناح الليل فى الأنوار ذابـــــــــــــــــا
هكذا الدنيا ، وفى حالاتهـــــــــــــــــا
خيرة الفكر ، يقينا ، وارتباننا
ذهب العام الذى روعنـــــــــــــــــا
منه ، ماروع ، سقما ، وعذابـــــــــــــــــا
ماثرانى طمست آثـــــــــــــــــاره
فى خيالى لوعة ، الروح ، عقابا
لم أعد أرجو ، ولا أخشى ، ولا

سواء ان احسنوا ، او ، اساءوا

وفي صيف عام ١٩٥٩م زار شاعرنا ملاعب مياه بالاسكندرية وذهب الى شاطئ البحر يهثه همسات قلبه ونجوى روحه :

قلت لعوج البحر ياموكبنا
تراء عيني بين حين وحين
أواجك الزرقاء تروى لنا
قصة حب عاش ملء السنين
هو الهوى الخالد يمسى به
الى ضفاف الشك همس اليتيم
وهو - على قلة علمى به -
آية جبار الحظى مستكين
يوحى الى الزريق أحلامه
فيهجع الليل وراء السكون
ولى ، شراع ، سابح لونه
كلمحة الفجر يضىء العيون
يهمس للشاطئ فى رقعة
تذوب فيها عبرات الحنين
مابال هذا الرمل حباته
تسمع منا كل رجوع السنين
نشكو اليها بادرات الأسى
فيما يكون اليوم أو لا يكون
ونسكب السر على سمعها
وقد تمون السر أو لاتمون

ورغم أن شاعرنا حاول أن يبدن في الكأس والشعر ذكريات غرامه الكبير
لينسسى إلا أن طيف الحب كان يطارد خياله في صحوه ومنامه ، فكتب

بعباس محبوبته بحر الفراق يقول : (١)

أنا لست أعلو منك ، أنك ظالم
والظلم لأرفسى ، ولا أخشاه
إن كان بنى نفع اليك ، فقد مضى
مهدي به ، وشقائه ، ورضاه
أنت الذى أحرقت سحر غرامنا
بجماله ، وفلاله ، وهدهده
ورمت لى هذا الطريق ، فلم يعد
لى من طريق فى الحياة ، سواء
أضى به وحدى فبعدك لم يكن
لى ، غير وحشته ، وطول ضناه
عثراته لاتنتهى ، وظلامه
لاينقضى ، وأقول : أين مداه ؟
مهما يطل بنى السير فيه ، فأنسى
مترقب لظلاله ، ومدهده
ولك الشناء بما صنعت بمهجتي
فلقد كشت عن الفؤاد ، ممناه
وأعدت لى نفسى ، وكم من غائب
قد ورد غربته اشتداد جواه

xxxxxxxxxxxx

ثم راح يذوب تدريجيا .. حتى تحطم كسامر ثم كائنسان وكما عاش
وحيدا ... مات وحيدا فى الغرفة التى قضى بها أحواله الأخيرة
بفندق كارلتون بالقاهرة .

(١) الأهرام / ١٦ إبريل ١٩٦٠م

وكانت العلة - فلة الكبد من أثر الكأس - فقد اشتدت عليه في عاميه
لآخرين ، وعادته أكثر من نوبة حملته الى المستشفى أكثر من مرة ،
تحت ليلته الأحد ٣ يوليو عام ١٩٦٠م حين أوى الى غرفته بالفندق
عد منتصف الليل ، وعادته النوبة ، فاستنجد بطبيب من أصدقائه ، وجاء
الطبيب ، فوجده قد أسلم الروح واستراح ...

ووجدت بجانب فراشه صورة ابنته الوحيدة " عائشة " البعيدة فسى
لندن كما وجدت قصيدة على مكتبه ... كانت هي القصيدة الأخيرة
التي كتبها ولم يحف مدادها بعد قبل رحيله ... وكانت قصيدة حب
وكما بدأت حياته بالحب انتهت به ، وحل الشاعر وهو يهمس لمحبوبته
قلبه الهاجرة :

أحبك جهد الحب ، بل فوق جهده
وأطوى الى يوم اللقاء الليالي
أحب خيالي فيك ، أبيض ناصعاً
وأخضر ريان ، وأحمر قانيصاً

xxxxxxxxxxxx

مكانك عندي ليس عندي سوى المنى
بذلت قصاراها على الوصل ، والهجر
... لك الدنيا ، فان عسدت
لمبصر

xxxxxxxxxxxx

رمت بسى الى دنيا هواك المقادير
فلا أنا معذور ، ولا أنا عاذر
على أنها الأيام دارت مدارها
فلا أنا منهم ، ولا أنا آمسّر

xxxxxxxxxxxx

وهكذا كان نعيمه من الدنيا ... الدنيا التي عاشها طر الـيديـن ..
وخرج منها طر الـيديـن من كل شيء ... من المال ، ومن الحب ، وحتى من
الذكرى ...

ان الذين يذكرون أنشودته " الكرنك " وقصيدة " قصة الـامس " الآن ، قد
لاذكرون اسمه .. أو يعرفون منه شيئاً ...

لقد عاش أحمد فتحى لآخر لحظة من لحظات حياته - رغم أحزان قلبه وآلام روحه
محباً للدنيا بكل ما فيها وبلغ توجهه مداه فاحترق فانطفأ وبيت من الشعر
على شفتيه

رحل شاعرنا فى الثالث من يوليو عام ١٩٦٠م وملء قلبه الحسرة والمـرارة
والأسى ودفن بمقابر الامام الشافعى بالقاهرة .

تلك كانت ملامح مأساة شاعر عاش للحب وظل يغنى للحب حتى آخر نسمة فى
حياته الخصبـة العريضة ...

لقد كان شاعر الكرنك ، أحمد فتحى من أرق شعرائنا الرومانسيين ، عاش
كالطائر الجريح ؛ قلقاً ، حزينا ، حائراً ، لا يجد للاستقرار سبيلاً أو للراحـة
معنى ...

ومن هنا كانت مأساته ...

وقد قدمنا فى الصفحات السابقة قصته مع الليل والمرأة والسفر والـاغتراب
الروحى .

" شاعر الرقة العاطفية "

كتب عباس محمود العقاد في مقدمة كتاب صالح جودت " ناجى ، حياه وشعره " :
يمتد أسلوب ابراهيم ناجى بأنه ينتمى الى مدرسة الرقة العاطفية وقال أن مدرسة
الرقة العاطفية كانت غالبية على بعض أصحاب الأقلام الناطمين والناشرين من أدباء
تلك الفترة في الثلاثينيات

وهذه الصفة يشترك فيها كل الشعراء الرومانسيين الغزليين وجلهم ظهرت
بواكير شاعريته على صفحات مجلة " أبوللو " في الثلاثينات وبهذا تندرج هذه
الصفة على شعر ناجى وصالح جودت وعلى محمود طه وكامل الشاوى .

وبهذا المقياس نقول أن أحمد فتحى كان شاعر الرقة العاطفية sentimentalism
وخير مصداق على هذا قصائده الرقيقة الهامسة التى تذوب رقة ومذوبة وموسيقية
يقول فى قصيدته " فجر " التى يغنيها رياض السنباطى : (١)

كل شيء راقص البهجة حولى هاهنا
أيها الساتى بما شئت اسقنا ثم اسقنا
واملاً الدنيا غناء ، وبهاء ، وسنا
نسيتنا ، لم لانسى أماريد المنى
ملنا أن تعرف النوم هنا أميننا

وأبدع شاعرنا فى الأملوب الشعرى poetic style فى قصائده
فى نفس القصيدة نجد تلك التعابير الموحية القوية مثل " هتافات الربى "
و " جبين الغد " وغيرهما ، يقول :

ذهب الأمس بما راع ، ويومى ذهبنا
يسرع الليل فرارا ، من هتافات الربى

(١) أحمد فتحى / قال الشاعر / ص : ٢٧ / القاهرة / ١٩٤٩ م .

وجبين الغد يلقي ، عن سماء الحجبنا
بامثا في جانب الأفق بشيرا محسنا
تسبق الفرحة خطاه ، قبلما يبدو لنا

كما نجد الرمز الشعري poetic symbol في القصيدة حين يهيىب
بالساقى أن يبعد الكأس عن فمه لأنه يريد أن يفيق من أوهام الخيال
وشطحاته :

رد كأسى عن فمى يأيها الساقى ودعنى
كل مامر بنا وهم خيال وتمننى
حسبنا وهما ، وحلما ، وخيالا ، حسبنا
أقبل الصبح ، فهل تدري بماذا جاءنا ؟

وفي أسلوب أحمد فتحي نرى الاشراق والتوقد والعذوبة والرقّة ، وكلهما
تندرج تحت صفة " الرقّة العاطفية " وكل ذلك في حسن نسق وجمال ايقياع
وموسيقا هامة رقيقة في شعره موسيقا معبرة رقيقة تطبع شعره كله بجرس
هامس وايقياع رقيق هادى .

يقول في قصيدته الوجدانية " ظنون " (١)

ألك مفتون الخيال معذبنا
مابين شك حائر ويقيى
أشكو اليك من الظنون وربمنا
سبقت اليك هواجسى ، تشكوننى
وأرى السنن والطهر فيك فتنتطوى
منى خيالاتى ووهم ظنوننى

(١) قال الشاعر / ص : ١٠٥ .

وفى قصيدته الغزلية الرقيقة " أنت " التى يتغنّى فيها بسحر محبوبته
واشراقها نجد رقة اللفظ وجمال الصياغة وطرافة المعنى فى أسلوب
موسيقى هانس رتيك يقول : (١)

سالتنى منك أشواقى وأحلام سهادى
وأمانى التى تمحبنى فى كل واد
وخيالاتى ، وما أكثر ما تغشى فؤادى

xxxxxxxx

أنت فى عيني ضياء لا ترى عيني سواء
كلما أشرق حيانى شعاع من سماء
تبعث الفرحة والنشوة فى روجى خطاه

xxxxxxxx

أنت فى سمعى نشيد قداسى النغم
كلما طاف بآفاقى توارى المسمى
وتناسيت نواحى ، وجراحى ، ودمعى

xxxxxxxx

أنت فى قلبى معنى سره الباقى مضمون
يملا الدنيا ولا تدرك مرماه العيون
لو يقولون عرفناه ، فوهم ، وظنون

xxxxxxxx

أنت فى عيني، وفى سمعى ، وفى قلبى ، مقيم
أبدا أشدو بذكراك وأصبو وأهيم
هى فى بعدك الحانى ، وكأسى ، والسديم

اننا نجد هنا المعنى العميق والموسىلا الهامسة والرقعة العاطفية
واللفظة الحية .

والرقعة عند شامرنا طبع أصيل عنده وقد ابتكر تعبيرات جميلة وأضاف
الى قاموس الوجدان تعبيرات قوية ومعانى عميقة رائعة ، يقول فى قصيدته
" اليها " : (١)

كيف أنساك ، وقد طاف الهوى أمس علينا
فشرنا صفوة حتى رويانا وانتشيننا
ونسجنا حولنا الأحلام من وشى يديننا

كما وفق فى استخدام الصورة الحية Living image فى شعره .
يقول فى نفس القصيدة :

كيف لا أسترحم الطيف اذا مروحيها
وأناجيه بحبى ، وأناديه اليها
عله يرحم ، أو يعطف ، أو يحنو، عليا

ولأحمد فتحن قدرة بارعة فى التصوير بالضوء والظل والصوت فهو من الشعراء
التصويريين المبدعين الذين يجيدون انشاء الظلال فى شعرهم مما يكسبه قوة وعمقا
ومدقا وجمالا .

ان الصورة الشعرية عنده
والصدق النفسى .

فى قصيدته التصويرية الوصلية " الكرنك " يبلغ أقصى غايات التصوير بالضوء
والظل ، فهو فى أبيات القصيدة الأولى يرسم لوحة جميلة يبرز فيها الشعاع الجميل
الساحر : (٢)

(١) قال الشاعر / ص : ١٣٩ .

(٢) قال الشاعر / ١٩٤٩ م / ص : ١٢٣ .

طاف بالدنيا شعاع من خيالـــــــــــــــــي
حائر يسأل عن سير الليالــــــــــــــــي
ياله من سرها الباقي وبالــــــــــــــــي
لوحة الشادي ووهم الشامر

xxxxxxxx

كيف لايدري الى أين الشعــــــــــــــــاع
وأماسيه لقســــــــــــــــاء ووداع
وخطاه في السبيلين متــــــــــــــــاع
راحة المفنى وهدى الحائر

كما يتردد " الصوت " في شعره ، فهو يصور منظر الدنيا حين صحت على
ضوء المبح " الرطب " وكيف أمضى المعبد للحن القريب ؛

صحت الدنيا على صبح رطــــــــــــــــيب
وصفى المعبد للحن القــــــــــــــــريب
مرهنا ينساب من نبع الفــــــــــــــــيوب
ويهاديه بفسن الساحــــــــــــــــر

ويبلغ ذروة تمويره بالضوء والظل والصوت في هذا المقطع الرابع :

حين ألقى الليل للنور وشاحــــــــــــــــه
وشكها الظل الى الرمل جراحــــــــــــــــه
ياترى هل سمع الفجر نواحــــــــــــــــه
بين أنفداه النسيم العاطــــــــــــــــر

بعد هذا التصوير الشاعري بالضوء والظل ؛ بالأبيض والأسود لليل والفجر
وبعد تموير صوت النواح يهور شاعرنا بريشته باللون الأحمر جراح الطائر
لأنه يخطفنا جوا من السهجة ويرسم لوحة شاعرية يهودها الفسوف المتألق

والأنوار المبهجة ، فرغم جراح الطائر (وهو هنا الشاعر) ، فهو يرسل
النغم طوا رقيقا ناما وكأنى به موت الشاعر نفسه الذى تصدر قيثارة
أمدب الأنغام وأرق الألحان رغم جراح روحه وآلام نفسه :

ذلك الطائر مخفوب الجناح
يسعد الليل بآيات المبحج
ويغنى نى غدد ورواح
بين أفصان وورد نافس

وبعد ، فأسلوب أحمد فتحى فى مجموعته صورة من نفسه الالهمة وطبعه
الرقيق ، وان ملامحه الروحية والنفسية والوجدانية ممثلة فى شعره أصدق
تمثيل وأعمقه ولذا جاء شعره انعكاسا صادقا لانفعالاته وأحاسيسه ويصدق
عليه قول " بافسون " ان الأسلوب هو الرجل نفسه .

هذا هو غاية الفن الأدبى الأسيل الصادق الخالد على مر العصور
والأجيال .

- ٢٠٢ -

مختارات

من شعر أحمد فتحي

قصيدة الأمل

أنا لن أعود اليك مهمما
استرحمت دقات قلبي
أنت الذي بدأ الملالة
والصدود وخان حبي
فإذا دمسوت اليوم قلبي
للصبا فلن يلبي

xxxxxxxxxxxx

كنت لى أيام كان الحب لى
أمل الدنيا ودنيا أمل
حين غنيتك لحن الغزل
بين أفراح الغرام الأول

xxxxxxxxxxxx

وكنت عيني وعلى نورها
لاحت أراهير الصبا والفتون
وكنت روجى هام فى سرها
قلبي ، ولم تدرك مداه الظنون

xxxxxxxxxxxx

ومدتنى ألا يكون الهوى ما بيننا
إلا الرضا والعطاء
وقلت لى ان عذاب النسيوى
بشرى توافيننا بقرب اللقاء

xxxxxxxxxxxx

شم اظفست ومـــــودا
طباب فيهما خاطـــــرى
هل توسعت جديـــــدا
فى غرام نافـــــر

xxxxxxxx

فغرامـــــى راح
بباطول غرامـــــى اليه
واشغالـــــى فى ليالـــــى
السهد والوجد عليـــــه

xxxxxxxx

كان عندى وليس بعدك عنـــــى
نعمة من تموراتـــــى ووجدـــــى
باتـــــرى ماتقول روحك بعـــــدى
فى ابتعادى وكبريائـــــى وزهـــــدى

xxxxxxxx

عش كما تهوى قريـــــبا أو بعيدا
حسب أيمـــــى جراحا ونواحا وومودا
وليالى ضياعـــــا ، وجحـــــودا
وعنـــــاء يترك القلب وحيـــــدا

xxxxxxxx

يسهر المصباح والاقداح والذكرى معـــــى
وعيون الليل يخبو نورها فى آدمعـــــى
بإلذكارك التى عاشت بهـــــا
روحـــــى على الوهم سئبـــــا
ذهبت من خاطـــــرى الى

صدى يعتادنى حيننا فحينئذ

xxxxxxxx

قصّة الأمل أناجيها وأحلام فدى
وأمانى حسان رثمت فى معبدي
وجراح مشعلات نارها فى مرقدي
وسحابات خيال هائم كالأبد

الهـمـشـرى

شاعر الأعراف

(١٩٣٨-١٩٠٨)

لقد كنت في الدنيا جمالا لا يزيئها
بما شاده شعري على هذه الدنيا
خلقت لروحى سحرها ، لا لغيرها
ومن أجلها أفضى ، ومن أجلها أحيا
إذا ذبل النارجع عاش عبيــــره
وكان له في الوهم من نفعه محيا
ويخلد بعد البدر في الفكر رونق
يفذى خيال الشعر والحب والوحيا

(الهـمـشـرى)

" شاعر من المنصورة "

(*) هاجر أحمد الهمشري منذ مائة عام تقريبا من ألمانيا الى مصر
وتزوج وأنجب فيمن رزق من ولد ، بعثمان الهمشري والد شاعرنا
تعلم عثمان الهندسة ، وأقام " وابور طحين " على مقربة من الأرض التي
تركها له أبوه في السنبلوين ، وتزوج ربيعة لكنه لم يرزق منها بولد فتزوج
من مصرية ، من المنصورة ، هي السيدة " عائشة محمد وهبه " شقيقة الكاتب
الصحفي اللاحق محمد التابعي .
ورزق منها خمسة أولاد وبنتا هم على التوالي : محمد ، ويوسف ،
وزينب ، وأحمد ، وسعد ، ومحمود .

xxxxxxxx

كان ذلك في يولييه عام ١٩٠٨م
حين خرج محمد عبد المعطي الهمشري الى شور على شاطئ رأس البر ،
اذ كانت الأسرة تمطاف هناك كما اعتادت كل صيف ...
وقد سمى عثمان الهمشري أبنائه بأسماء شاعرية فسمى شاعرنا " محمد
عبد المعطي " ...

وشب شاعرنا وترعرع بين ربوع السنبلوين الخضراء ومنذ صغره شد انتباهه
الكلمة المكتوبة ، ومنذ صغره حفظ القرآن الكريم في كتاب القرية وجدده
وفي المرحلة الابتدائية زادت قراءاته الشعرية وأعجبه شعر البحري والمتنبي
والشريف الرضي ثم استوقفه طويلًا شعر أحمد شوقي وشد انتباهه لقوة معانيه
وحلاوة جرسه .

ثم أنجز دراسته الابتدائية بالسنبلوين ، فالتحق بمدرسة المنصورة الثانوية
وهنا ظهرت مخايل عبقريته وموهبته الأصيلة في نظم الشعر .

xxxxxxxx

ر. : ان ذلك عام ١٩٧٥م حين أنجزت هذا الكتاب .

وفى المنصورة كانت هناك ارهامات لشعراء اربعة أصبحوا فيما بعد ممن
أبرز فرسان شعرنا العربى المعاصر ...

فى الفترة مابين أعوام (١٩٢٧ - ١٩٣١) شهدت مغانى المنصورة وربوعها
مولد هؤلاء الشعراء الرومانسيين

كان بالمنصورة فى تلك الحقبة الشاعر الدكتور ابراهيم ناجى وكان يعمل
موظفا بمستشفى السكك الحديدية بالمنصورة والشاعر المهندس على محمود طه
وكان يعمل مهندسا بهندسة مبانى المنصورة ثم صالح جودت والهمشرى طالبان
بمدرسة المنصورة الثانوية .

والتقى جمعهم على شاطئ المنصورة ، فكانوا يجلسون فى نهاية كل
يوم على شاطئ النيل ، يقضون أجمل لىالى العمر فى حديث دلادب
والشعر والجمال .

وكانت لهم صخرة يجلسون عليها وهى مكان بناء عن المنصورة بين النيل
والصحراء فأطلقوا عليها " صخرة الملتقى " واستوحوا منها أجمل الأشعار
وأمدبها

ومن المنصورة بدأوا يرسلون المجلات الأدبية بالقاهرة فتنشر لهم انتاجهم الشعرى
وشهدت المنصورة تألق عبقرية هؤلاء الشعراء الأربعة الكبار ثم
مالبث أن انفض الجمع

وفى عام واحد هو عام ١٩٣١م رحل الأربعة نحو القاهرة ناجى الى وظيفته
بالقسم الطبى بمصلحة السكك الحديدية ، وعلى محمود طه الى وظيفته كمهندس
بوزارة الأشغال ، والهمشرى الى كلية الآداب ، وصالح جودت الى كلية التجارة
ولكن الهمشرى كان يؤمن بتطويع الشاعر لانتاجه الفنى فحسب فلم ترقى
الدراسة بكلية الآداب فأهملها ولم يعمر بها سوى عامين وقطع دراسته ليتفرغ
لرسالة الشعر والأدب .

" مع جماعة أبوللو "

عندما قامت جماعة " أبوللو " عام ١٩٣٢م اتلم بها شاعرنا وأصبح من كبار شعراء الجماعة رغم حداثة سنه إذ لم يكن في تلك الحقبة قد تجاوز الرابعة والعشرين من عمره .

وشهدت صفحات أبوللو شعره الجديد الذى استحدث فيه معانى جديدة وأساليب وصورا حية نتيجة لقراءاته الواسعة لأثار شعراء الرومانسيين الانجليز : وردزورث ، وشيللى ، وكيتس ، وبيرون ، وبليك .

و شد انتباه الأدباء والنقاد أنه استحدث صورا حية نابضة بالحياة وتشبيهات رائعة غريبة مثل السكون المشمس وهيكل الأحزان وغيرها من غرائب التعبيرات والصور الرمزية الموحية العميقة الدلالة .

"مرحلة الوجدان الذاتى"

ونستطيع أن نسمي هذه المرحلة "مرحلة الوجدان الذاتى" وهى تمتد من عام (١٩٣٣ - ١٩٣٤) وانتج فيها الكثير من انتاجه الفنى .
ومن مطالع انتاجه فى مجلة أبولو قصيدته "عائلة فى سكون الليل" يقول فيها : (١)

أشرق كالصبح غرا * الجبين
وانثرى نورك يهدى العالمين
واظلمى فى ليل حزنى كوكبا
تعمينى من فلال العاشقين
واطرحى فى قطر عمرى زهرة
عليها تنمو وتزكو بعد حين
وابمضى تبسم لنا بيفى المنى
واحكنى تفحك لنا غر السنين
هاهو الليل كما كان بدا
يحمل الحزن للقلبى والحنين
"هيكل الأحزان" فى مذبحة (٢)
قرب العشاق قربان العيون (٣)
انضى عاطفة قد غالها
منك فكر طيه الموت دفين
حاولت تعرف أسرار الأسى

(١) أبولو / يناير ١٩٣٣ م / ص : ٥٥٤ .

(٢) هيكل الأحزان : الليل .

(٣) قربان العيون : الدسوع والنسوم .

منك يا ليل واسرار الانيس
فاستحالت جدولا تعبــــــــــــــــره
فرعات الموت ليلا في سفيــــــــــــــــن
هذه اغنيتى رتلتهــــــــــــــــا
لك يادنياى في دير السكون (١)
لحنها أنت ، وجزنى وقعــــــــــــــــها
ونذير الموت بعض السامعيــــــــــــــــن
لاتلومى ما بها من حــــــــــــــــزن
انما الأحزان موسيقا الحزيــــــــــــــــن
أعذب الألحان لحن الفرــــــــــــــــست
فيه أنات الأسى طى الحنيــــــــــــــــن
عاتقينى في الدجى . . . اقترــــــــــــــــبى
اننى ألزع مما تفزعــــــــــــــــين
قربى خدك فمينى الســــــــى
صدرك الحانى . . . الشئى هذا الجبين
عاتقينى فيك أفنى مثلــــــــــــــــها
فنيست في الله روح الناسكــــــــــــــــين
انما نحن كركب فل فــــــــــــــــس
تليه صحراء بقوم تاشهــــــــــــــــين

(١) دير السكون هو الليل .

" ملحمة الأعراف "

ثم لم يلبث أن نشر ملحمة الرائعة " شاطئ الأعراف " التي تعد من معالم التجديد في شعرنا المعاصر وقد بدأ يكتب هذه الملحمة وهو بالمنصورة وأتمها في القاهرة ونشرها في أبوللو كاملة في فبراير عام ١٩٣٣م أي وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره .

وقد كتب لها مقدمة قيمة شرح فيها فكرتها وكشف عن العوامل والمؤثرات في خلق فكرتها وانجازها ، فقال : (١)

" هي ذكريات حزينة ، تحاول أن تحجبها أكفان سنوات أربع ، فتهتكها أشباح سوداء لاتزال تتراءى أمام عيني .

كنت آنفد في المنصورة ، وقد مرت علىّ فيها سنوات ثلاث تغيرت نفسى أناها نفسى ومالت الى صورة باهنة من الأمل المكتسب اليأس .

" ولست أدري أكان جو المنصورة هو الباعث على ذلك ، وهل كان في أمسيات شتاها الحزين المقبض مابعث في نفسى هذا الشعور الحزين المتشائم نحو الحياة ، أما كان ذلك على اثر خلجة ... استغفر الله ... بل خلجات كثيرة خفق لها قلبي في أدوار حداثة مرت بين التاسعة والخامسة عشرة ، التي انتهت الى الثامنة عشرة من عمري .

" هي خلجات أنهكت قوى هذا القلب ، وأحالت شعاع الأمل الربيعي الفاحك الى ظلمات باهتة من شفق شتاء ، ومازالت تخفق على فعلها نفسى محراب قلبى " .

" ثم تركت القاهرة الى " نوسا البحر " وهي قرية تتكىء على النيل ، ويخيم عليها جو المنصورة أكثر مايكون وحشة وانقباضا .

(١) أبوللو / فبراير ١٩٣٣م / ص : ٦٢٧ .

" مكثت بهذه القرية خمسة أيام ، كنت أختلف في أمسياتها الى مكان هسادي
يشرف على النيل في مشهد رائع ، طالعت على مبعدة أشجار باسقة مسن
المصاف واللبخ والجميز وهائش الغاب ، فكانت تكسبه روعة في الليل ضافية ،
وكانها بعض مباد البراهمة فنيت نفوسهم في زهول العبادة ، وهم ينمتون
بالف اذن الى مزامير الالهة .

" ثم كانت بعد ذلك كله نواة قصيدة " شاطئ الأعراف " فالنيل لم يكن غير
نهر الحياة والموت في هذه الأعراف ، والظلمة المروعة التي كانت تألف نفسها
اليها ، هي رهبة الأبدية في هذه الأعراف أيضا " .

ثم يهdy في النهاية ملحمة الأعراف الى الروح العالية التي يتغنى بها
والتي ألهمته هذه الملحمة وهي حبه الكبير " جتا " في السنبلاوين التي كتب
عنها قصيدة أخرى يقول :

" لقد انتهت قصيدة " شاطئ الأعراف " ، ولكن هذه الروح العلوية التي
غمرت سماء حياتي بنور جمالها الباهت الحزين وهي تصاحبني في شاطئ
الأعراف ماتنكف تصاحبني بعد شاطئ الأعراف فالى هذه الزوج التي أرهفت أذني
لسماع أصداى مواكب الآباد ، الى هذه الروح التي تتغنى بها كل مشاعري كما يتغنى
الجدول بكل أمواجه ، الى هذه الروح العالية واليها وحدها ، أهدي هذه
القصيدة " .

XXXXXXXXXX

في هذه الملحمة تتجلى رومانسية Romantic الهمشري المجنحة
التي تلوذ بالطبيعة فرارا من مذابات الحياة وهجيرها المؤلم ، فهو هنا
يصور " عالم خيالي " يمتلئ بعور الموت والآخرة في رحلة خيالية للشاعر بعد
أن شرب كأس الغناء ، وحملته "سفينة الذكريات" الى شاطئ الأعراف ، وهو
شاطئ خيالي تستقر عنده الألحان بعد شتات ، وتلوذ به الأرواح بعد طوائف ،
ساكن سكونا أبديا ليس فيه شيء جميل سوى الثلوج البيضاء فوق الصخور : (١)

فى انتحاء من العوالسم قـــــــــاص
حيث يرقى السكون مرقى الففــــــــاء
وطيور القضاء تنعب فى الموت
نعيبها بيزيد هول الغنــــــــــــــــاء
فير أن السكون ينهشه نهشــــــــا
ويمشى الحن على الخوفــــــــــــــــاء
سر مدى البقاء يحكم فى الموت
ويبقى على بقاء البقــــــــــــــــاء

xxxxxxxxxx

يستريح الزمان والموت فيــــــــــــــــه
بعد طول التطواف والجـــــــــولان
وكان الزمان خامره الخـــــــــوف
فأضحى مع الردى فى احتفــــــــــــــــان
وتلاشى به رويدا رويــــــــــــــــدا
ثم أهوى عليه كالوســــــــــــــــان
فاذا بالظنــــــــاء يحكم فــــــــــــــــردا
فوفويا على جلال المكــــــــــــــــان

والشاعر يصطحب معه فى هذه الرحلة الهة الشعر ويشاهد سفن الموت
وهى تسرى الى شاطئ الأعراف ، كما يشاهد مواكب الحياة ، ويطوف
الشاعر بشاطئ الأعراف حيث يشاهد قبر الليالى ، ويرى الشاعر مواكب
الحياة تمضى بسرعة الى ضريح الليالى ، ثم يسود السكون والعدم ويرى الشاعر
مغنيا فى وادى الموت القريب من شاطئ الأعراف يحمل قيثارة صامتة ، يحاول
أن يبعث أنغامها فلا تستجيب له (١) :

(١) جماعة أبولو / ص : ٥٥٤ .

تستطيب الجنوس في ظل أبيك
رفرف الطير فوقه أسرابها
يتغنن بين الثمار بلحن
هل سمعت القيان غنت طرابها
من وحيديين يسبحان سرورا
وشجين يشدون انتخابها
وجرى الماء في الغدير رحيقا
وجرت فوقه الزهور حبابها
جنة صاغها الإله من السحر
ففيها صابغة العوداء
نورها من وشائع من هواء (١)
فهى منه فى رقة القمراء
وتغنن الأطياف فيها امطحاب
فصاها من عبقرى الغناء
من خيال الأشعار قد صاغهما الله
ففيها روائع الشعراء

وقد ختم شاعرنا ملحنته بصيحة ينادى فيها " المغنن "

فيقول :

لهفى ما أراك تبعث لحنا
فأخبر الشعر ما وهى قيثارك
سوة لليد التى عطلتها
وعلى فى غنائها " أو تسارك "

xxxxxx

(١) الوشائع : اللغات .

ويذكر صالح جودت أن الهمشوى بدأ الاحساس لدية بنظم ملحمة عند احساسه باخفاق قصة الحب الكبرى فى حياته ، وهى قصة حبسه لغناسة نوسا البحر " جتسا " ، مما أصغى على نفسه أواخر عهده بالمنصورة كآبة ممزقة وابتعد عن حقل المأساة ، ونزح الى القاهرة للعلاج ولكنه لم يلبث أن عاد الى نوسا ، ليقتضى فيها خمسة أيام ، كانت هى فترة التآهب الطويل للملحمة ، فخرجت نواة " شاطيء الأعراف " التى استكملها بصورتها النهائية ونشرها فى أبوللو فى فبراير عام ١٩٣٣م .

وهناك مؤثرات وراء انجان الهمشوى لهذه الملحمة وكان أبرز المؤثرات القرآن الكريم ... ومما لاشك فيه أن هذه الصور القوية المعبرة فى القرآن الكريم فى سورة الأعراف قد أثرت فى نظمه للملحمة ، قال تعالى : (١)

" ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ، وعد ربكم حقاً . قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدرون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة كافرون . وبينهما حجاب وعلى " الأعراف " رجال يعرفون كسلاً بسيماهم . ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين . ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم وقالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون . أهؤلاء الذين أقسمتم لايئالهم الله برحمة أدخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون . ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على

(١) القرآن الكريم / سورة الأعراف .

الكافرين . الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة
الدنيا فاليوم ننسأهم كما نسأ لقأ يومهم هذا وماكانوا بآياتنا
يجحدون " .

كما أن الهمشرى قد تأثر بلا شك بقراءته لرسالة أبى العلاء
المعمرى " رسالة الفران " وملحمة ميلتون " الفردوس المفقود " و
" الكوميديا الالهية " لدانتى .

ولكن أكبر عامل فى نظمه للملحمة هو هروبه من عالم الواقع اثر
صدمة وجدانية عاصفة فذهب على أجنحة الخيال الى شاطئ الأعراف
يرسم هذه اللوحات الغريبة المبدعة بريشته المخلقة الهامسة .

xxxxxxxxxx

" شاطئ الأعراب في مرآة النقد "

أشارت ملحمة شاطئ الأعراب جدلاً طويلاً بين نقاد الأدب المعاصرين كلون منفرد في شعرنا العربي المعاصر لما لها من سمات خاصة ودلائل مميزة تختص بها خاصة أن شاعرنا بدأ في نظمها عام ١٩٢٩م وهو لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره وأنجزها عام ١٩٣٣م وهو في سن الخامسة والعشرين ، فما هو رأى النقاد في ملحمة الأعراف ؟

يقول الدكتور محمد مندور منها : (١)

" نحن أن هذه المطولة انما هي فرار بالشاعر على أجنحة الخيال من عالم الواقع المرير ، حتى لنكاد نلمس أن لها وظيفة نفسية عند قائلها عندما نقرأ قوله فيها :

منذما خدر الغنماء شكاتى
وسقانى كنوسه المنسيات
بعث الشعر من لدنه نسيماً
فأثح العطر طيب النغمات
هن قلح الصبا فأيقظ فكري
فهفت بي سفينة الذكريات
في خضم الأفكار تطوى بي الوقت
وتهفو الى ففاف الحياة

ويقول صالح جودت : (٢)

" كان المناخ الذى تأهب فيه الشاعر لنظم هذه الملحمة ، مناخاً كله حسب

(١) الدكتور محمد مندور / الشعر المصري بعد شوقي / ١٩٥٨م / ص : ١٧ •

(٢) الهمشري / حياته وشعره / ص : ٦٤ •

ويأس ونزوع الى الخلاص والنأى ولو الى حقل أشد قتاما من حقل الحياة .
وهكذا ذهب الشاعر فى رحلة خيالية بين هوج العواصف الى شاطئ الأعراف ،
الفاصل بين الحياة والموت ، ويخالف صالح جودت رأى الدكتور مندور حين يصف
شاطئ الأعراف بأنها مطولة لملحمة فيقول الأستاذ صالح : " الواقع " أن الأعراف
ملحمة لامطولة ... ملحمة ينطبق عليها كل ما يتطلبه الأدب فى شعر الملاحم من
شرائط " .

وتقول الدكتورة نازك الملائكة عنها : (١)

" والهمشرى لا يقل عن كتييس تولعا بالغناء ، حتى انه كتب ملحمة كاملة سماها
" شاطئ الأعراف " وتحدث فيها عن رحلته الأولى بعد الموت نحو الحياة الأخرى .
" والقصيدة تكاد تكون أغنية حب موجهة الى الموت ، لأثر فيها للحسرة
ولا للذكرى ، وكأن الشاعر يلتذ بكل لحظة من لحظات موته ، أن صح التعبير " .

xxxxxxxx

وبعد ، فملحمة الأعراف تعد من أعظم الآثار الشعرية فى تراثنا المعاصر
وأخصبها وأكثرها فنية وعمقا وأصاله وهى انعكاس صادق وأمين لحقبة خصته
من حياة شاعرنا تتسم بالحن والكآبة والضياع الروحى .

(١) نازك الملائكة / لغايا الشعر المعاصر / ص : ٢٧٤ .

" بين الحب والطبيعة والياس "

ونشر أبيات بعنوان " حياتى " فيها سوداوية وقنامة يقول : (١)

كان حياتى فنوة جاهلية

شدتها الليالى للقرون بلا معنى

كأنى أنا فيها شجى غنائها

أقام لها ذكرى تغنى بها الأذنسا

وكتب من الحب والطبيعة يقول لى نفس العدد :

ألم تر للحب كيف أنبـرى

يصور لى الكون أبهى المور؟

وكيف ترقق منه النسيم

وكيف ترقق منه القمـر؟

وكيف تهذب منه الحمـام؟

ولم ير لى البوم هذ الأثر؟

ثم كتب قصيدة غزلية وجدانية رقيقة بعنوان " مملكة السحر " فيها
معانى مستحدثة وصور شعرية جميلة منها هذه الأبيات : (٢)

تحيه فى ملاكـ	بواحدنا فى معـ
شابهت منى هواكـ	لقد ترقفت حتـ
لكان طرفى أحتواكـ	فلو تحولت نسـورا
لكان شغرى احتساكـ	ولو تحولت قمـرا
ولقد نشرت شذاكـ	ولو تحولت روضـا
أرف حول سناكـ	لكننت فيه فراشـا
أخسر وخيقت جناكـ	وكننت لفضيت ممـرى

(١) أبوللو / فبراير ١٩٣٣م .

(٢) أبوللو / يونيو ١٩٣٣م / ص : ١١٤ .

" قمة جتا الفاتنة "

نشر الشاعر محمد عبدالمعطي الهمشري قصيدة رقيقة بعنوان " الى جتا الفاتنة فى مدينة الأحلام " بمجلة أبوللو فى عام ١٩٣٣م وعندما أرخ الأستاذ عبدالعزيز الدسوقي فى كتابه " جماعة أبوللو وأثرها فى الشعر الحديث " لشعراء الجماعة قال عن ملهمة هذه القصيدة الرقيقة الفاتنة : (١)

" لسا ندرى هل كانت حبيبته " جتا " هذه حقيقة واقعة أم لأنها رمز للحبيبة اتخذها إطارا يصب فيه أشواق روحه الملتهفة ، وظلما نفسه الى الحب "؟

فما هو سر جتا الفاتنة ؟

هل هى ملهمة حقيقية أحبا الهمشري وعذبه الحنين اليها وناجاها بحرارة وصدق ؟

أم أنها مجرد خيال أسطوري موهوم ؟

ان هذه السطور ستكشف لأول مرة القصة الحقيقية لغرام الهمشري مع " جتا " الفاتنة .

xxxxxxxxxx

كان ذلك حوالى عام ١٩٢٩م....

فى مدينة السنبلابين الخفراء بمحافظة الدقهلية

وكان يحلو للهمشري الذى كان يقترب من الحادية والعشرين من عمره أن يسير وحيدا متأملا على شاطئ ترعة " البوهية " القريبة من منزلهم ويتوغل فى الحقول الخفراء سابحا مع الأطياف والأحلام والرؤى الخيالية الحالمية .

وكان فى ذلك الوقت مرهف الحس خالى القلب ينظم قصائده بحب وغزل لحبيبات

(١) جماعة أبوللو / ص : ٤١٥ .

من وحس الخيال الجامح . حتى وقع بصره على جتا الفاتنة فتغير الحال .
أصبح الهمشرى عاشقا متيما لا ينام الليل ... انقلب ليله نهارا ونهاره
ليلا ...

كانت جتا فتاة حسناء بارعة الجمال مرفهة المشاعر ، وكانت ابنة لطبيب أسنان من
أصل يوناني يعمل كمدير لعيادة طبية بالسنبلاوين بشارع السكة الحديد تدر عليه ربحاً
طيباً وأحبه أهل البلدة وأولوه ثقتهم ، فتجنس بالجنسية المصرية واتخذ مصر وطناً له .

كانت جتا فى تلك الحقبة تبلغ السابعة عشرة من عمرها ، وكان شاعرنا
قد ودع أيام الصبا ، ودخل فى طور الشباب ، فكان يبلغ الحادية والعشرين من
عمره ، وكان مشبوب العاطفة ، مشتعل الوجدان ، ينظم شعرا عاطفيا ملتهباً ،
يفرقنا فى الصباغة والوجد وعبادة الجمال المجرد .
والتقت نظرات الشاعر بفاتنة السنبلاوين ، فكانت قصة حب كبيرة ...

تعلق بها قلبه وأصبح يكثر من السير تحت نافذة منزلها ليتزود منها
بنظرة وابتسامة تلهمه أجمل أغانيه .

وكان الهمشرى يسعد بابتسامتها الحلوة ويقنع بها ثم أتيح للمحبين أن
يلتقيا فى مناجاة حارة طويلة بمصيف رأس البر حيث كانت تصطف أسرة كل منهما .
وبنى العاشقان آمالاً كباراً وأحلاماً شامخة للمستقبل الباسم ولعشهما
السعيد الذى سيجمعهم .

ثم عاد الى السنبلاوين ... ولم يلبث الهمشرى أن انتقل الى المنصورة حيث
التحق بمدرستها الثانوية ولم تعد تحتاج له فرصة رؤيتها والتزود بابتسامتها
سوى لحظات قليلة كل أسبوع ... حيث كان يقضى عطلة نهاية الأسبوع - يومى الخميس
والجمعة - فى بلدته يعود بعدها الى المنصورة حيث يروى لصديقه وزميله صالح
جودت أحاسيس قلبه وهمسات روحه وفتنته العارمة بهذه الحسنة الفاتنة وكيف
مر تحت نافذتها ، وكيف ابتسمت له ، وكيف بنى من ابتسامتها أحلاماً كباراً ...

ظل الهمشرى خافق القلب ، مشبوب العاطفة نحو هذه الحسناء الفاتنة المثقفة
التي كانت تقرأ الشعر الانجليزى وتهيم به خاصة الشعر الرومانسى الحالم مثل
شاعرنا تمامسا .

وظلت مورتها الفاتنة وابتهامتها الساحرة تفيض ليلاليه وتعد أيامه
الموحشة وتبعث النشوة فى كيانه كله ، وأصبحت تملك عليه حياته ...
ولكن الأيام صهرته بالعذاب فى تلك الحقبة ، بمأساة قاسية ، ففجسته فى
حبه الكبير .

كانت آمال شاعرنا أن تتوج قصة حب بملهمته بالزواج ... ولكن نشأت
مقبات بسبب صغر سنه والعامل المادى واختلاف الدين ... إذ كانت " جتا " يهودية
وهو مسلم متدين يكثر من قراءة القرآن ويسبح فى أجوائه وتحت ظلاله .
وسرعان ما تزوجت جتا من أحد تجار المجوهرات الأثرياء من قرية مجاورة ،
فكانت مدمة حياته (١) .

وامتدك الهمشرى فى وحدته بين حقول السنبلاوين يبكى حبه الفاضل وأمله
الذى تحطم على صخرة الواقع

وكان الهمشرى يملك الساعات الطوال فى وحدته فى أطراف السنبلاوين بين
الطبيعة والحقول الخضراء

والهمته " جتا " قصيدة من أجمل قصائده العاطفية وأرقها على الإطلاق هى
قصيدته " الى جتا الفاتنة فى مدينة الأحلام " .

وأهدى القصيدة اليها ، حيث قال " مهداة اليها مع أزهار سحرية من حدائق
الخيال وبساتين الشفق " .

وقد مهد للقصيدة بنص من التوراه - باعتبارها يهودية - فأورد جزءا من

(١) أخبرنى بهذه المعلومات شقيق الشاعر الأستاذ المستشار محمود الهمشرى

والأستاذ الشاعر محمد محمود عبدالعال وهو من أبناء السنبلاوين .

أصاح راعوث قبل مطلع القصيدة ، يقول :

" لا تلحى على أن أتركك وأرجع عنك ، لأنى حيثما ذهبت أذهب ، وحيثما يبيت
أبيت .

" شعبك شعبى ، والهك الهى ، حيثامت أموت ، وهنالك أدفن ، هكذا يفعل
الرب فى ، وهكذا أريد ، انما أموت بفعل بينى وبينك "

وهكذا كان هذا النص من التوراه رسالة عبادة حتى الموت موجهة الى جثاء .
ان قصيدة " جثا الفاتنة " هى مزيج من النزعة الرمزية والنزعة العاطفية ،
وقد أودعها الشاعر خفقات قلبه وهمسات روحه ، فيرسم فى الأبيات الأولى هذه
اللوحة الفنية الرائعة بريشته الساحرة ، حين ينجس محبوبته فى عالم السرى
والخيال :

هاهو الليل قد أتى فتعالسى
نتهادى على ففاف الرمسال
فنسيم المساء يسرق عطسرا
من ريساف سحيلة فى الخيسال

xxxxxxxx

صور العفرب الذكى رهاهنا
لهى تحكى مدينة الأحلام
نفحت فى الخيال منها زهور
غير منظورة من الأوهام

xxxxxxxx

وراء السياج زهرة فلل
فارلتها أشعة فى المساء
نشر النسم سرها وهو يسرى
فى مسروج مظلولة الأفياء

xxxxxxxx

ودهاليز من ظلام بونســـــــــور
صورت سحرها يد الأطيـــــــــاف
مشش الهلبل الخيالى فيها
ساكبا لحنه الحنون العافى

xxxxxxxx

ان هذى الأزهار تحلم فى الليل
وعطر النارج خلف السيـــــــــاج
وغريـــــــــر المياة والشفق الحمر
وهما من النسيم العاجى

xxxxxxxx

والندى والظلال تنعس فى الماء
وهذا الشعاع خلف الغمــــــــام
بعض الحانه تأنق فيها
فتراءى فى هذه الأجــــــــسام

هكذا يصور الشاعر فى هذه الأبيات الأولى من قصيدته ذلك الجو الخيالى
الرومانسى اللاتن الذى يعيش فيه ، ويناجى ملهمته فى ظلاله ...

ان لقاء شاعرياً تم بين الشاعر وملهمته عند الغروب فى ظلال الطبيعة اللاتنة
فأوحى اليه ذلك اللقاء مورا وظلالاً جديدة من طريق الإيحاء ، فصور مشاعـــــــــره
وأحاسيسه بالرمز والصور الخيالية المغرقة فى الشفافية والرقه فى لوحات
جميلة نابضة بالحرارة والرقه والعذوبة ، فجعل النسيم يسرق العطر من ريــــــــاف
لحيــــــــة فى الخيال ...

وقد أشارت تعبيرات الهمشرى المبتكرة وتراكيبه الغريبة فى هذه القصيدة
والتي تتالق فى الظلال والأضواء فخلا عن الاغراق فى الرمزية حيرة الشـــــــــكاد
ومساجلاتهم حول غرابه هذه التعبيرات والتراكيب وإيغالها فى الرمز والغمــــــــوف

والخيال الجامع ... كما أنها أشارت الشك في نفوس الكثيرين منهم حول تلك
الملهمة الغامضة المجهولة التي تسبح في بحار الغوء والعطر والموسيقى مع
مطر النارج وخرير المياه وهمس النسيم ...

ثم يواصل الهمشوى مناجاته الحارة المتقدة لملمته " جتا " فيذكر
لها أنه أفنى دموعه وفقر جبهته وقدم روحه على مذبح غرامها ، فيقول :

قبل هذى الحياة كنت أملـى
بإحياتى لحسنك المعـود
فيك أفنيت أدمعى فى فناءـى
فيك هفرت جبهتى فى سجـود

xxxxxxxxxx

وملى مذبح الغرام تقربـت
بروحى فى ذلـة وخشـوع
غير أنى رأيت هذا قليـلا
فتقربت بعدها بدموعـى

ويبلغ وله بها ذروته فيتخيلها إلها ملوياً فى معبد الخيال وهو يتعبد لها
ويرتل لها أشجى الألحان وأحلىها بالحب والشجن كما يتخيلها فجرا وفيهـا
مشرقاً وهو ضباب قد تاه فى أفقه المنور المضى فلا يملك إلا أن يمضى فى تراتيلـه
لهذه الشعلة المقدسة التى هبطت الحياة إليها معبوداً لقلبه الواله المحب :

كنت فى معبد الخيال ترفيـن
إلها ، وكنت من عبدانـك
كم بعثت الأشعار فيه مزامير
تجيب الحزين من الحانـك

xxxxxxxxxx

كنت فجراً ، وكنت فيه ضباباً
شاع في أفقه الوضوء فتاهباً
وهبطت الحياة شعلة تقديس
وجئت الحياة أنت الهبـاب

xxxxxxxx

ثم يبدأ الهمشي في اضواء جو من حرارة العاطفة ودفئها في تصيدته
حين يخاطب ملهمته بكلمة " أنت " في مناجاة حارة ملتزمة لا يعمل من تكرارها
وتردادها كما يفضي على ملهمته صلات موهلة في الخيال والسمو حتى أنه
يعلمها بأنها " حلم منور ذهبي " وبأنها " عطر مجنح شفق " وسر ذلك يعود
الى حرارة حبه لها ووجدته بحسنها مما جعله يراها كملهمة ملائكية من عالم آخر
غير عالم الأرض والحقيقة .

اسمعه وهو يرتل لها في معبد الحسن والجمال :

أنت لحن مقدس مـــــــلــــو
قد تهادى في عالم نوراني
سمعت وقعته السماوي روحــــي
فأناقت في معبد الأحــــزان

xxxxxxxx

أنت حلم منور ذهبي
طاف في أفق عالم مسحور
وتجلى على غياهب روحــــي
بجناح من الضياء البشــــير

xxxxxxxx

أنت عطر مجنح شفقــــي
فأوج الروح في همود الدهول

قد سرى لى الخيال طيب شذاه
من زهور لى شاطىء مجهول

xxxxxxxx

أنت ظل مقدس ، أنت كهف
طائفى لى ربوة أحلام
غمر الروح لى سكينتها السحر
فتاهت عن عالم الملام

ثم يوفى شاعرنا المولود المفتون لى مناجاة ملهمته الساحرة ، ويفرق لى
الرمزية فيبتكر التعبيرات الجديدة الغريبة ويوفى فيها حين يصف الممست
بأنه " مقمر " ، والكوخ بأنه " سرمدى الخيال " ولعل ذلك يعود لما فى هذه
التعبيرات من شحنات وجدانية خيالية أثارها فيه عاطفته المولدة الحارة نحو
ملهمته ذات النظرات الأسيرة .

ويمضى الشاعر لى مناجاة ملهمته ، فيضى عليها الكثير من سحر الخيال
وجمال الرمز وحسن الطبيعة التى يتعشقها لى رومانسية حاملة مجنحة ، فيقول
مناجيا لها لى وجد وخشوع :

أنت كوخ معشوشب لى ربابة
مقمر الصمت سرمدى الخيال
نعمت روحى الكليلة نشوى
فيه ترعى فجرى هذا الجمال

xxxxxxxx

أنت صمت مخيم ، لطفاء
لظلام مكوكب ، فنهجار
فهمود تدب فيه حياة
ويغنى لى فجرها " النوبهار "

xxxxxxxx

أنت كل الحياة أنت كيانى
أنت روحى أبهرتها فى سباتى
أنت وحيى مجسد أنت لحنى
يا سماء على سماء حياتى

xxxxxxxx

وتبلغ ذروة رمزيته وخياله المبحر ورومانسيته المرفهة حين يرسم صورة
تطلب فيها ملهمته أن يكون اللقاء بينهما وراء أسوار الحياة .
كما يبتلى ملهمته ويطلب منها أن تغمر حياته بالدفء والضوء
والحسب ؛

أنت أقويته بآن القــــــــــــــــاك
خلف سور الحياة ... فوق رباك
غير أنى بحثت منك طويــــــــــــــــلا
وأخيرا نعتت تحــــــــــــــــت ذراك

xxxxxxxx

أيقظينى من الدهول وفنى
يا ملاكى على طول حياتى
وارشدينى الى الفيــــــــــــــــا ... والا
فاتركينى أهوى الى ظلماتى

xxxxxxxx

وعلى عالمى الشتاى فيضى
نور دفء يطفى ظلامى الحالــــــــك
وارفعينى كمعبد قدســــــــــــــــى
تتهادى به طيوف جمالــــــــك

xxxxxxxx

ثم فى النهاية يذكر لمهمته أنه سىظل يغنى لها فى وحدته الموحشة
الحزينة رغم الظلام المطبق على روحه وهو بعيد عنها ، فيقول فى
أسى ووجد :

أننى فى الظلام أنصب وحدى
خيمة الغناء من الأمسى
فاسمعينى ، لأننى سأغنى
لك " جتا " فى وحدتى وظلامى

وقد كتب الهمشرى هذه القصيدة الشجية التى تتماوج فيها أنغام الرضا
والعتاب والوحشة واليأس والأمل والحنين والوجد الأسر بعد بهاسه من تحقيق
آماله فى الزواج من هذه الحسناء الفاتنة بسبب مفرسه واختلاف العقيدة
الدينية ، فانطوى فى وحدته الصامتة فى ظلال الطبيعة الخضراء الحارة
على ترعة الهوى عند أطراف السبلابين يناجى مهمته الملائكية
النورانية ويهدى لها نتاج تأملاته الحزينة فى عالم الخيال ، فكانت
تلك القصيدة الغزلية الشجية التى أهداها إليها " مع أزهار سحرية
من حدائق الخيال وبساتين الشفق " .

التجديد فى " جتنا الغاتنة "

فى هذه القصيدة الوجدانية العاطفية الرقيقة يتجلى اجتماع الرمز الشعرى
poetic symbol بالعاطفة | Emotion فى صورة متوازنة مبدعة .

ونلاحظ فيها مجموعة من التعبيرات المبتكرة والتراكيب الغريبة التى
استحدثها الهمشوى فى هذه القصيدة وأضاف جديدا لقاموسنا الشعرى التقليدى
وفى شعرنا العربى المعاصر فهى تلك التعبيرات والتراكيب : " معبد الأحزان "
و " طيوف الجمال " و " خيمة الغناء " و " رياض سحيفة فى الخيال " و
و " معبد الخيال " و " مقمر الصمت " و " ظل مقدس " و " ضفاف الخيال " و
و " الدفء المنور " و " يد الأطياف " وغير ذلك من تعابير مستحدثة جميلة
أضفى على القصيدة نوعا من الغموض الفنى | Ambiguity أكسبها
جمالا وطرافة وأمالا .

وهذه الألفاظ والتعابير والتراكيب يغلب عليها طابع التلوين والظلال
والأضواء وهى من ابتكارات خيال شاعرنا المخلق ويتناول الدكتور عبد العزيز
الدسوقى هذه القصيدة بالدراسة والتحليل فيقول عنها : (١)

" مضمون القصيدة وجدانى تغلب عليه مسحة من التصوف والشوق الروحى
والظما الى الحب ، وللشاعر مقدرة على خلق صور خيالية كثيرة ، وعوالم
متعددة ينفث فيها الحرارة والحياة ، بل يشير الى أنه كان موجودا قبل
هذه الحياة ، وكان يملأ فى ذلك الوقت لحسن حبيبته فى دنياه .

" وتصور القصيدة نزعة عاطفية عميقة الطور فى نفس الشاعر ، فرسم صوراً
بديعة للريف والطبيعة ، حتى لنشم رائحة النارج وبرى الحديقة وسورها
وزهرة الفل ، والمروج ، ونكاد نلمس الندى على الأوراق ، ونشاهد الشعاع

(١) الدكتور عبدالعزيز الدسوقى / جماعة أبولو وأثرها فى الشعر الحديث /
١٩٧١م - القاهرة .

والظلال والغمام " .

وبعد فان الهمشوى فى قميدته اندمج فى الطبيعة كروح هائمة
ظمأى للحب والجمال وأبرز لنا جمال الطبيعة الريفية بمصدق
ومذوبة وأصاله .

" شاعر النارجة الذابلية "

بعد أن تطلع الهمشرى دراسته بكلية الآداب بعد قضاء عامين بها التحق
بوظيفة متواضعة ... " محرر بمجلة التعاون " وسرعان ما آمن برسالة التعاون ،
فأحب الوظيفة ، ووهبها كل حياته وكانت تلك مرحلة جديدة فى حياته وشعره ...
إذ سمينا مرحلة أبولو " فى حياة الهمشرى مرحلة الوجدان الذاتى " فان هذه المرحلة الجديدة
يمكن أن تسمى " مرحلة الوجدان الاجتماعى القومى وكان فيها شاعرنا " شاعر
الحفارة الريفية " ...

بدأت هذه المرحلة عام ١٩٢٥م .

وكان فى عمله يتنقل بين القرى فى مختلف مدن وقرى مصر ، لـ يزور
الجمعيات التعاونية القائمة فيها ، ويكتب عنها فى مجلة التعاون وأمد ذلك
شعره بفيض جديد من المشاعر والأحاسيس والصور الشعرية الجميلة من معايشة للريف
المصرى وطبيعته الجميلة الساحرة ...

يرسم شاعرنا لوحة بعنوان " أغنية الفلاح المصرى للجاموسة الراعية "
يقول فيها : (١)

تنقلنى تنقلنى	من جدول لجدول
جاموستى ياساحره	جوبى الحقول الناضره
تنقلنى ... تنقلنى	

xxxxxxxx

يشدو لك العصفور	ويهمس الغديسر
تنقلنى ... تنقلنى	

ثم يرسم صورا لبعض طيور القرية وزهورها وأشجارها ، فيجسم لنا ملامح

الغراش الأصفر فى قصيدة مطلعها : (١)

يا طائر لا يكف
هل أنت نجم يـسـرف ؟
أم أنت خلفة نـسـور
أم أنت قلب يخـسـف ؟

ويصف اليمامة فى قصيدة مطلعها يقول :

رددى فى السكون ذكرى الهديل
وتغنى ياشهر زاد النخيل
أى ذكرى تشجيك ؟ أى خيال
راح يفنىك من فراق خليل؟

ويصف الطائر الجميل " المفرد " بقوله :

ياراحة فى ظلمة اليأس
فيها صفاء القلب والنفس
أرقمت قلبى من مرترقة
خمر تمفق فى مهدى الحس
وتدب فى قلب ابن شوبها
حتى يبيت وسرمد الأنس

ويصور مناجاة فلاح لنخلة يستريح تحتها من وعاء الطريق فى قصيدته
" شجر النخيل " فيقول : (٢)

قد طاب لى مقيلى
فى سهلـك الجميل
فى ظلك الظليل
يا شجر النخيل

xxxxxxxxxx

مروسة الصحراء
يا كعبة الرجاء
وياهدى التيهاء
يا شجر النخيل

وهناك لوحة جميلة لحلول المساء على القرية بعنوان "ليلة" يقول فيها : (٣)

(١) التعاون / مارس ١٩٣٧م .

(٢) التعاون / يوليو ١٩٣٦م .

(٣) التعاون / ديسمبر ١٩٣٨م .

والصمت يجثم خلفه الأفق	ولى النهار وأقبل المسق
هذا الشباب ويلعب الشفق	والروض ينشر فيه موكبه
بين السحاب كوكب خفق	والدوح مرتعش يخالسه
طير يرف بهسه ولاورق	والروض رنق للنعاس فلا
فوق الديار وأخت الطرق	أرض الظلام عميق وحشته

ثم تأتى أجمل تعائده فى مرحلته الجديدة وهى قصيدة " النارنجة الذابضة " التى تلمح عن نفسية حزينة قلقة تأسى على الماضى الجميل وتتحسر على ضياعه فى صورة اختلطت فيها العاطفة بالرمز الفنى والتشخيصى Personification لمظاهر الطبيعة .

فالمهمشرى تبلغ ذروة رومانسيته الحاملة فى تلك القصيدة حين يصف الطبيعة الحاملة والاستغراق فيها واصفاً براءة طفولته وجمال ذكرياتها حين كان يعـدو وراء الفراشات يصطادها مع محبوبته الصغيرة ، فاتنة نوسا البحر ثم يستريحان عند شجرة حاملة عند السياج وتغريد "الزرزور" يداعب أدنيهما ...

واستعاد شاعرنا عندما كبر هذه الصور الشاعرية الحاملة لبراءة الطفولة وجمال أيامها فكانت هذه القصيدة الخارقة فى الرومانسية الحاملة : (١)

كانت لنا عند السياج شجيرة
ألف الغناء بظلمها الزرزور
طلق الربيع يزورها متخفياً
ويفيض منها فى الحديقة نـور
حتى إذا حل الصباح تنفسـت
فيها الزهور وزرق العفـور
وسرى الى أرض الحديقة كلـها
نبأ الربيع وركبه المسحـور

كانت لنا ، ياليتها دامت لنا

أو دام يهتف فوقها الزرور
xxxxxxxxxxxx
قد كنت أجلس صوبها في شرفتي
أو كنت أجلس تحتها في ظلتي
أو كنت أرقب في الفحا زرورها
متهللا يغشى نوالذ غرفتني
طورا ينقر في الزجاج وتسارة
بسمو يزور في وكار شقيقتني
فإذا رآني طار في أغرودة
بيضاء واستولى فموني شجيرتي
كانت لنا ، ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرور

xxxxxxxxxxxx

هيهات لن أنسى بظلك مجلسي
وأنا أراعي الأفق نصف مغمر
خنقت جفوني ذكريات حلوة
من مطرك القمري والنغم الوشي
فانساب منك على كليل مشاعري
ينبوع لحن في الخيال مفغمر
وهفت عليك الروح من وادي الأسى
لتعب من خمر الأريج الأبيس
كانت لنا ، ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرور

xxxxxxxxxxxx

وهنا تحركت الشجيرة في أسى
وبكى الربيع خيالها المهجور

وتذكرت عهد الصبا فتأوهست
وكانها بيد الأسى طنبرور
وتذكرت أيام يرشف نورها
ريق الضحى ويزرر السـررور
وعرائس النارج تحلم فى النـدى
فيرف فيها طيلها المسحور
كانت لنا ، ياليتها دامت لنا
أو دام ينثر لحنه السـررور

ثم يختتم هذه القصيدة بجوها الرومانسى الحالم ونغمتها الاسبى المتحسرة
على الماضى بجماله وبرائه فيقول :

قد كنت أرجو أن تكون نهايتى
فى ظل هذا السور حيث أراك
ويكون آخر ما يخطر مسمعى
زرزورك الهتاف فوق دراك
ويطوف فى غيبوبتى فيلقنى
لجر تصير البعث من ريباك
والآن اذ عجل القضاء فأنا
سيقوم فى الذكرى خيال شذاك

أنظر الى مدى حسرتة على الماضى فى تكراره لقوله :

كانت لنا ، ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرور

حيث يرسم جو الطبيعة الحالم والزور والشجيرة والنارج الى غير ذلك
من صور الاندماج فى الطبيعة وهى من أبرز سمات الرومانسيين .

وقد استحدث شاعرنا فى هذه القصيدة تراكيب وتعبيرات جديدة تهد شوية شليسة

في قاموس شعرنا العربي المعاصر مثل : " العطر القمري " و " النغم الوفسي " و " الخيال المفغى " و " خمر الأريج " و " هرائس النارج " الى غير ذلك ممن التراكيب والتعبيرات الجديدة التي اضافها لقاموسنا الشعري والتي اشارت جسدا حاميا بين الشعراء والنقاد ، كما اشارت القصيدة نفسها اعجاب الكثير من النقاد

يقول الدكتور مندور عن هذه القصيدة : (١)

" في هذه القصيدة نجد معظم الخصائص الروحية الفنية التي تتميز بها الرومانسية عند الغربيين .

وأولى تلك الخصائص هو الحنين الى شيء غير حاضر الشاعر وواقع حياته ، ونحن هنا نطالع هذا الحنين منذ مطلع القصيدة ، وهو حنين الشاعر الى شجيرته في الريف ، وأساه على فراقها " .

xxxxxxxx

ولكني أستطيع أن أقول أن هذه القصيدة تمثل الاحساس بالماضي sense of the past منذ شاعرنا فتتمثل ذكريات غرامه البريء الطاهر وقصة حبه الأول مع " جتا " بين ربوع السنبلوين وتحت شجيرة حاملة وكان شاعرنا هو " الزرور " المرح المفرد على شجيرة الحب

وقد أبهم على البعض معاني القصيدة الخفية لاستخدام شاعرنا الرمز الشعري poetic symbol فظنوا أنه يقصد الأسى على الشجيرة وزرورها ولكنه كان يأسى على غرام ذهب وجب ذاع ...

(١) الدكتور محمد مندور / الشعر المصري بعد شوقي .

"زهرة خالدة العبير"

ترددت في شعر الهمشري أبعاد مأساة رحيله المبكر من الحياة ، فقد أكثر من ذكر الموت والعدم والنهاية في جل شعره وملحمة " شاطئ الأعراف " فيها الكثير من المعاني التي تدور حول هذه الفكرة ... ففيها تصوير لسفن الموت وشاطئ الأعراف وجنة الشعراء .

ولعل من أبرز قصائده التي تعكس احساسه المبكر برحيله مثل شعرائه الأشيريين شيللي وكيثس وببيرون قصيدته " حياة الشاعر " التي نشرت قبل رحيله بحوالى أربعة أعوام فقط ...

يقول فيها : (١)

فدا ياخيالي تنهني ضحكاتنا
وآلامنا تفنى ، وتفنى المشاعر
وتسلمنا أيدي الحياة الى البلى
ويحكم فينا الموت ، والموت جائر

وفي جلسة له هادئة على " صخرة الملتقى " في المنصورة وهي تقع بين البحر المغير والصخراء في بقعة نائية من المنصورة تراوده أحزان روحه وآلام نفسه :

جلست على الصخر الوحيد وحيدا
وأرسلت طرفي في الفضاء شريدا
وكفكت دمعاً لا يكفكف فرجاً
وواسيت قلبها في الظلوع عميدا
أرى صفحة الآمال قد ضاقت ألفها

(١) أبوللو / أبريل ١٩٣٤م / ص : ٦٨٣ .

ولاح على اليأس البعيد مديدا
لقد عشت في دنيا الخيال معذبا
فياليت شعري ، هل أموت سعيدا ؟

xxxxxxxxxxxx

كان حياتي غنوة بدويــــــــــــــــة
شدتها الليالي للقرون بلا معنى
كأنى أنا فيها شجى نغماتها
أقامت لها ذكرى تحف بها الأذنــــــــا

xxxxxxxxxxxx

لئن لائن عهد الشباب ولهــــــــــــــــوه
فانى بعمرى لست آبه أو أعنــــــــسى
فرب هواء طاف في اللجن وامحــــــــى
يخلد من ربح معمرة قرنــــــــــــــــا

ثم يطمئن نفسه على رحيله المبكر من الحياة بخلود شعره الذى
سيبقى يروى للأجيال مأساة شاعر رحل في عمر الزهور وبقي عبيره شديدا
فواحــــــــا :

لقد كنت في الدنيا جمالا يزينها
بها شاده شعري على هذه الدنيا
خلقت لروحى سحرها ، لا لغيرها
ومن أجلها ألقى ، ومن أجلها أحيــــــــا
إذا ذبل النارج عاش مبيــــــــــــــــره
وكان له في الوهم من نفعه محيــــــــا
ويخلد بعد البدر في الفكر رونق
يفدى خيالى الشعر والحب والوحيــــــــا

—————

هذه مور من مشرات المور الحزينة القاتمة التي يلفها السواد والتشاؤم واليأس والتي تفتح من نفسية حزينة قلقة تسعى الى الموت وتلح على ذكره احساس قوي بالرحيل في سن مبكرة ولكننا نكتشف أن شاعرنا في حياته كان من أكثر المحبين للحياة ، وأكثر فرقا من الموت يروى لنا صديق صباه ومطالع مشاعر الشاعر صالح جودت هذه الحقيقة الغريبة عنه فيقول : (١)

" كان الهمشري أكثر الشعراء حبا للحياة ، وفرقا من الموت .

" لقد يضلك من أمره أنه كان يكثر من ذكر الموت في شعره ، ويتوكله في كثير من قصائده .

" أما في واقع حياته ، فقد كان حريصا على الحياة ، كبير الآمال فيها ، الى حد أنه لم يكن يحب ركوب البحر حتى لا يغرق ، وكان اذا سار في شارع آسـر أن يسير في وسطه لا على افريزيه ، خشية أن تعلق إحدى العماثر فتدفنه تحت أنقاضها " .

xxxxxxxxxx

لم يمهل القدر هذا الشاعر النابغ ليكمل رسالته في مجال التعاون وفي خلال أربعة أيام رحل شاعرنا الأعراف ، الهمشري على اثر جراحه أجريت له الاستئصال الزائدة الدودية ، فأصبحت أمعاؤه بالشلل في أثناء العملية ، ولقى وجه ربه في ١٤ ديسمبر عام ١٩٣٨م .

وكأنه كان يحس بدشو أجله فزار السنبلولين مسقط رأسه قبل رحيله بفترة وجيزة ليستعيد ذكريات صباه بين ربوعها ... وخرج على نوسا البحر مهد ذكريات غرامه الأول البريء مع " جتنا " وتحسر على تلك الأيام الجميلة وكتب عن عودته الى مهد الحب وموطن الذكريات يقول : (٢)

رجعت اليك اليوم من بعد غربتي

(١) صالح جودت / الهمشري ، حياته وشعره .

(٢) التعاون / فبراير ١٩٣٨م / ص : ١٤٦ .

وفى النفس آلام تفيض تواسر
رجعت وعقلي تائه الفكر شارد
وأبت وقلبي واهن الخفق حاسر

xxxxxxxxxx

فيا أرض أحلامي ، ألقى طفولتي
ويعدنى يوم من العمر آخر؟
تعسفت فيك الليل والريح صرصر
وخفت اليك الموج والنهر شائر
أتيت لآلتي في ظلالك راحة
فيهذا قلبى وهو لهنان حاسر
أموت قريير العين فيك منعم
بيخدرنى نلح من المرج ماطر
ويلحننى هذا البنفسج ، ولتكن
مسارح ميني ... الربا والمحاسر
وآخر ما ألقى اليه من المصطفى
خزيرك يغنى وهو فى الموت سائر

ثم كأنه ينهى نفسه ويرثيها قبل الرحيل فيقول فى نهاية القصيدة :

لقد خف نسيم الصباح يهمس ناعيا
الى السهل أن قد فارق الكون شاعر
لذا نفس (١) النحل الزهور فجلبت
ونابت عن الأجراس هذى الأناهر

ثم كان رحيل شاعر الأعصر ، م . ع . هـ . الهمشري .

(١) نفسى : دق ناقوس .

وكتب صديق صباه صالح جودت يصفه بقولـه :

كان يفيض قوة وشبابا وحيوية ، فهو عملاق ، عريض المنكبين ، تكاد حمرة
الشباب تغمر من خديسه ، لا يشكو شيئا في جسده ، ويحب أن يتأنق في ملبسه ،
ويتخير رباطات عنق ذات ألوان زاهية كالوان مناديل صدره ، ويزين عـصـوة
سترتـه دائما بوردة كبيرة حمراء ، ويمشى في الأرض مرحا ، ويملأ الجو
حوله بضحكاته العالية ، ويشق طريقه في ثقة وكبرياء واعتداد " .

xxxxxxxx

وبعد ، فقد رحل شاعر الأعراف ، م . ع . الهمشري وهو لم ينتجـاـوز
الثلاثين الا قليلا ولكنه أمطى لشعرنا العربي تراثا خصبـا عميقـا
يجعله في طليعة شعرائنا الرومانسيين في شعرنا العربي المعاصر .

لقد اهتمرت الزهرة في عنفوان تفتحها وتألّفها ولكن عبيرها ما زال
مبقا فواحـا شديـا خالدا على مر العصور والأجيال .

١ - إلى نوسا

منك الجمال ومنى الحب يا " نوسا " (١)
لعللى القلب ، ان القلب قد يثما
باحبذا . نسمة من " توجة " (٢) خطرت
أطالست النفس من أسبابها النفسا
أضمها ضم مشتاق به خبـــــــــــــــــل
تد رام كتم هوى أحبابه فنسا (٣)
ان تسمعنى قرع ناقوس بلقربتكم
فى مطلع الفجر ينعى الليل والغلسا
فانه قلبى المنكود يذكركم
فهل سمعت بقلب قد فدا جرسنا ؟
وان تالق برق فى سماءكم
فانه من لهيب القلب قد قبسا

xxxxxxxxxx

الروح ان ظمئت يوما ، فحاجتها
خمر سماوية فاضتها بها قدسا
وأنت " ياتوح " روحانية خلقت
لكى تريننا علا الجنات منعسا

xxxxxxxxxx

(١) نوسا : قرية تتكىء على النيل قريبة من المنصورة واسمها " نوسا البحر "

وكانت للهمشوى ليهها قصة حب كبييرة .

(٢) الاسم المدلل للمتفرل فيهما .

(٣) نسا : قصر .

هذا جمالك يدمونسى لامشقه
لكن تفرك يادنيى مانيسا
الله يشهد انى حين اذكركم
أديبل دمعسا على الخدين محتبسا
مى نسيم الصبا يسرى فيعف بى
قلبسا يموت حزينا فى الغرام ٥٥ مى
فان بعثت لنا من " توحه " خبرا
فكم يحبك هذا القلب يا " نوسا "

٢ - ماضية في سكون الليل

أشرقنى كالفجر فرا الجبين
واتركنى نورك يهذى العالمين
واطلعى فى ليل حزنى كوكبنا
تعميننى من ضلال العاشقين
واطرحنى فى قنصر عمرى زهرة
عليها تنمو وتزكو بعد حين
وابسمى تبسم لنا بيفى المنى
واضحكى تفحك لنا من السنين

xxxxxxxxxx

ها هو الليل كما كان بدا
يحمل الحزن للقلبى والحنين
هيكل الأحزان ... فى محرابه
قرب العشاق قربان العيون
عطره أحزان أزهار الربى
ونداه عبرات البائسين
وسرى النسم فى أحشائه
مهج ذابت وأرواح فنين
كل شىء هان فى شرع الهوى
ياملاكى ... والهوى ليس يهون

xxxxxxxxxx

لم يمر الليل سوى بنيت هوى

قـرأت ماستعانسى فى الجبىــــــــــــن
لبست فى بدله ثوب الهــــــــوى
وبأخراه ثياب النادميــــــــــــن
ومعبد بات مطوى الحشــــــــا
فى سكون الليل مبجوح الأنــــــــى
قام فى الليل كطيف غابــــــــر
وكان الليل محراب القــــــــرون

xxxxxxxxxxxx

وملن قلب الحزن مــــــــسى
وتر اللهو لديه والمجــــــــون
ليس يدري فكره مالحنــــــــه
وهو رجع السحر من ماض شطــــــــون

xxxxxxxxxxxx

أيها الليل آتينا نشتكــــــــى
فاستمع شكوى الحزائى المتعبــــــــى
هدنا الحزن وأضانا الأــــــــسى
وبرائنا الوجد فى دنيا الشجــــــــون
قد شكوناك وجئنا نشتكــــــــى
لك شيئا من خيال الداهليــــــــن

xxxxxxxxxxxx

اننى بالليل أحكى غنــــــــوة
فنىت فيك على مر السنيــــــــن
واستحالت فى البلى قــــــــبرة
تتفئس فى دجى وادى المنــــــــون

xxxxxxxxxxxx

هذه أغنيتي رتلتها
لك يادنياى فى دير السكون
لحنها أنت ... وحزننى وقعها
ونذير الموت بعض السامعين
لاتلومى ما بها من حزن
انما الأحران موسيقى الحزين
أعذب الألحان لحن أقرعنت
فيه أنات الأسى طى الحنين
عائنينى فى الدجى اقتربنى
اننى أفرع مما تفرعيني
قريبى خذك ... ضمينى الى
مدرك الحانى .. ألقى هذا الجبين
انما نحن كركب فصل فسى
تبه محراء ... بقوم تائهين
قد نسينا كل ما كان لنا
وتركنا فى سد ماسيكون؟

٣ - أحلام النارجية الدابلية

كانت لنا عند السياج شجيرة
ألف الغناء بظلمها الزرزرور
طلق الربيع يزورها متخفيا
فيفيض منها في الحديقة نـور
حتى إذا حل الصباح تنفسست
فيها الزهور وزقزق العصفور
وسرى إلى أرض الحديقة كلها
نبأ الربيع وركبه المسحور
كانت لنا ... ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزرور

xxxxxxxxxxxx

قد كنت أجلس موبها في شرفتي
أو كنت أجلس تحتها في ظلتي
أو كنت أرقب في الضحى زرزرورها
متهللا يغشى نوافذ غرفتي
طورا ينقر في الزجاج وتارة
يسمو ويزرر في وكار سقيفتي (١)
فإذا رآني طار في أمرودة
بيضاء واستوفى (٢) غصون شجيرتي
كانت لنا ... ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزرور

xxxxxxxxxxxx

(١) جمع وكر - سفوف الغرفة .

(٢) استوفى - اشترى .

فمتى ييؤوب هتالفه ؟ ومتسى أرى
نوارك الثلجى يانارنجتسى
ومتى أظير اليك ترقى مهجتسى
فرحنا وآخذ مجلسى من شرفتسى

xxxxxxxxxxxx

هيهات لن أنسى بظلك مجلس
وأنا أراعى الألق نصف مغفـض
خنقت جفونى ذكريات حلـوة
من مطرك القمري والنغم الوفى
فانساب منك على كليل مشاعرى
ينبوع لحن فى الخيال ملغـض
وهفت عليك الروح من وادى الأسى
لتعب من خمير الأريج الأبيـض
كانت لنا ... ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزد

xxxxxxxxxxxx

هيهات ... لن أنسى " فحى سبتمبر "
والنحل يفسى نورك المتلالى
ومساء " مارس " كيف يهبط تله
شفقة محدودة الأظلال
نزل الحديقة تحت أوهام الندى
وفلنا عليك معطر الأذيال
فهناك كم ذهبية بها
روحى فتاهت فى مروج خيال
وهنا تحركت الشجيرة فى أسى
وبكى الربيع خيالها المهجور

وتذكرت عهد المبا فتأوهست
وكانها بيد الأسى طنبرور

xxxxxxxxxxxx

وتذكرت أيام يرشسف نورها
ريق الفحى ويرزور الزرور
ومرائس النارج تحلم فى الندى
فيرد فيها طينها المسحور
كانت لنا ، ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرور

xxxxxxxxxxxx

وتذكرت عند السياج أراها
صفراء رقت فى ظلال العوسج
زهر اللطيفة كيف خان مهودها
نسى الهوى فى مطرها المتبلج
وتذكرت فى رمشة لما سبها
زرورها منها ولم يتحرج
وهنا تمشى فى الشجيرة خلجة
وبكت حنيناً للشذى المتأرج
كانت لنا ، ياليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرور

xxxxxxxxxxxx

وتذكرت شققا توهج حمرة
خلل الغيوم على ربي الأسال
وبدت غصون الجزورين كأنها
قلع ترلرف فى بحار خيال

xxxxxxxxxxxx

وهنا تحركت الشجيرة في أسسى
وبكى الربيع خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبا فتنهـدت
وكانها بيد الأسى طنـبور
وتذكرت شجر النخيل وهدمـدا
قد كان يقمدها صباح مـساء
وتذكرت في اليوسلى يمامـة
كانت تنوح الليلة القمرأ

xxxxxxxxxxxx

وهنا تحركت الشجيرة في أسسى
وبكى الربيع خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبا فترنـحت
وكانها بيد الأسى طنـبور

xxxxxxxxxxxx

وفت على كل الغصون سحابـة
وزكا الغمين وفتح النـوار
وتهلل الزرزور في أوراقها
وزها السياج وفاحت الأمطار

xxxxxxxxxxxx

طمت بأرض في الخيال سحيقـة
في ذلك الأفق القصى النأسى
وهناك تحت " سمانجون " ساءها (١)
ناقت إلى أحلامها الزرقـاء
خلدت السى صمت هنـاك مخيم

(١) سمانجون : لفظة فارسية يقصد بها الزلزلة العميقة .

تسجدوا عليه خالق الألياء
هى جنة الأشجار والأطلسلال
والاعطار والأنغام والأنسداد

xxxxxxxxxxxx

يتزاهر " البشبن " فوق شطوطها
ويغازل الدلى زهر اللوتس
ومرائس النارج فاح عبيرها
بالنحل تحلم فى السكون المشمس
وهناك زرزور يغرد دائماً
ويقص أحلام الزهور النعس
يروى لها أسطورة سحرية
مما يفوح به خيال النرجس
كانت لنا ... بيايتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزور

xxxxxxxxxxxx

نارنجتى ... والله قد فارقتنى
وأنا طيف كآبة خرساء
أصبحت بعدك فى انقباض موحش
وكاننى منه مساء شتاء
تتناثر الأمطار فى آفاقها
روحى اليك وراء كل فضاء
وترف فى دهليز كل أشعة
قمر أو ترنيمه بيضاء

xxxxxxxxxxxx

قد كنت أرجو أن تكون نهايتى

فى ظل هذا السور حـــــــــــــــــث أراك
ويكون آخر ما يخذر مسمــــــــــــــــسى
زرزورك العتاف حـــــــــــــــــث أراك
ويطوف فى غيبوبتى فيلقــــــــــــــــسى
فجر قصير البعث من رــــــــــــــــساك
والآن اذ مجل القفا فانمــــــــــــــــسا
سيقوم فى الذكرى خيال شــــــــــــــــذاك

XXXXXXXXXXXX

كانت لنا عند السياج شجــــــــــــــــرة
الف الغناء بظلهــــــــــــــــا الســــــــــــــــرور
طلق الربيع يزورها متخفــــــــــــــــيا
فيفيض منها فى الحديقة نــــــــــــــــور
حتى اذا حل الصباح تنفــــــــــــــــست
فيهما الزهور وزلق العفــــــــــــــــور
وسرى الى أرض الحديقة كلــــــــــــــــها
نبأ الربيع وركبه المســــــــــــــــور

XXXXXXXXXXXX

كانت لنا ... ياليتها دامت لــــــــــــــــنا
أو دام يهتف لوتها الســــــــــــــــرور

محمد رضوان

- * ولد محمد محمود رضوان بمحافظة الدقهلية بمصر في ١٥ سبتمبر عام ١٩٤٨ م
- * حاصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٧١ م.
- * صحفي بدار الهلال - عضو نقابة الصحفيين - عضو اتحاد كتاب مصر.
- * يتبع المنهج النفسي في أدب السير والتراجم وله عدة تراجم أدبية.
- * من الأدباء والنقاد الذين تناولوا مؤلفاته بالدراسة والنقد والتحليل (صالح جردت - أنيس منصور - أحمد عبدالمجيد - إبراهيم عيسى - عبدالمليم القباني - د. مقداد الجنب - سعد حامد - كمال النجمي)
- * له خبرة في الصحافة الأدبية، حيث عمل في سلطنة عمان رئيساً لتحرير مجلة «السراج» ومديراً لتحرير مجلة «النهضة» ويعمل حالياً كاتباً صحفياً بمجلة «الهلال» القاهرية.

* من مؤلفاته التي صدرت :

- ١ - صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك
- ٢ - مأساة شاعر البؤس، عبدالحמיד الديب
- ٣ - شاعر النيل والنخيل، صالح جردت
- ٤ - السندباد الطائر، أنيس منصور
- ٥ - رحلتى مع القلم
- ٦ - اعترافات شاعر الكرنك، أحمد فتحي
- ٧ - قصائد الحب المتنوعة
- ٨ - قصائد سياسية متنوعة
- ٩ - ليالى هارون الرشيد بين الحقيقة والاسطورة

* له تحت الاعداد والطبع :

- ١ - نساء في حياة فاروق
- ٢ - فيلسوف الصماليك : عبدالحמיד الديب
- ٣ - يوسف السباعي : الفارس لشهيد
- ٤ - شاعر الأطلال، ناجي
- ٥ - شاعر الجندول، علي محمود طه
- ٦ - شعراء الحب

الفهرست

صفحة

٤	■ منهج محمد رضوان في أدب السير والتراجم للسفير الشاعر أحمد عبدالمجيد
١١	■ مقدمة المؤلف
١٣	■ مع شعر الحب والجمال
٢٥	■ شاعر الأطلال ، تاجي
٨٠	■ شاعر النيل والنخيل ، صالح جودت
١١٧	■ شاعر الجندول ، علي محمود طه
١٤٧	■ شاعر الكرنك ، أحمد فتحي
٢٠٧	■ شاعر الأعراف ، الهمشري

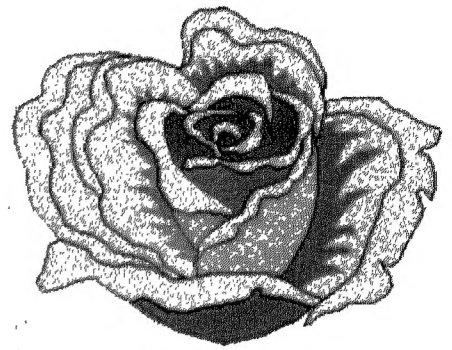


* ظل الحب هو الولعه الغناء للشعراء العشاق
الذين جعلوا من التغنى ببدائع الحس وروائع
الجمال نسورا لهم يعزفون على قيثارتهم لحن
اغريد الحب والجمال .

* وفي هذا السبب الجديد للكاتب الصفي محمد
رضوان يقدم لنا نخبه من لحن شعراء الحب
والجمال ، الذين عاشوا تجارب الحب ورتلوا
في محراب الحبيبه نغمات تصيح عن أسرار
قلوبهم وسرائر أرواحهم ، وجعلوا من العبيبة
المنار العلى الذى يضيء حياتهم بالنور والشار
وبملا حياتهم بعبر الحب الفواح .

* إنها اغريد الحب والجمال لهؤلاء الشعراء
الرومانسيين الذين أحبوا وعاشوا من ليلى الحب
والعشق وآلام الحنين والسهاد !

شعر الحب



”حب واحة العشاق وشعراء الحب كثيرين
منهم من طغى الحب على قصائده ومنهم من
هرب بقصائده من الحب وعذابه وآلامه ومنهم
من يجمع بين الاثنين ويناجي الحبيب بأبيات
شعر عما في قلبه من خفقات الهوى ، وأهات
شجوى والسهاد ، إنها رحلة ممتعة داخل قلوب
الشعراء يمر في محطاتها أديبنا محمد
رضوان في رحلة مثيرة وممتعة .

الناشر
مركز الفكر

21 1 2008
الأهرام AL-AHRAAM

تطلب إصداراتنا من
مكتبة فكرى

للنشر والإعلام



مركز الرؤية

مركز الرؤية للنشر والإعلام

٣٠ ميدان الحسين - القاهرة - ت ٦٢١٩